فقه الأخلاق

والمعاملات بين المؤمنين

تأليف
مصطفى بن العدوي

الجزء الثاني

دار ابن رجب



الطبعة الثانية

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع : ١٧٩٤٢

المركز الرئيسي : فارسكور : ٠٥٧/٤٤١٥٥٠ - ٠١٢٣٨٣٠٣٥٦
فرع المنصورة : محطة الأتوبيس الدولية : ٠٥٠/٢٣١٢٠٦٨

• تهييج مشاعر الناس لفعل الخير •

وهذا باب نافعٌ وله أثرٌ طيب وجميل في إثارة الخير في النفوس وحمل الناس على فعل الخير ولهذا طرق.

فأحيانًا يكون هذا التهييج بالتذكير بفضل المخاطب وفضل آبائه وأجداده وأقاربه:

كأن تقول للشخص مثلاً: يا ابن العلماء، أبوك رجل عالمٌ، وجدُّك عالم، وبيتُكم بيت علم، فأقبل على العلم واحمل لواءه خلفًا لآبائك وأجدادك.

وكأن تقول لمن تريد منه قتال أهل الكفر والعناد: يا ابن الشجعان تقدم فبارز، ويا ابن الأبطال المغاوير تقدَّم فقاتلْ.

وكأن تقول لمن تريد منه صدقة على الفقراء: يا ابن المحسنين تصدق، فجدُّك الفلاني بنى مسجدًا، وعمُّك أنشأ مستشفى لعلاج المرضى، وأبوك لم يترك بابًا من أبواب الخير إلا وساهم فيه.

فبمثل هذا تهيج مشاعره لأفعال الخير والبر والمعروف والإحسان.

ولهذا أدلته من الكتاب العزيز:

• قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...**﴾ [الحجرات: ١].

فيا من آمنتم باللَّه وصدقتم رسولَهُ وأقررتم بالبعث وبالحساب وبالجنة والنار، وآمنتم أن القرآن من عند اللَّه لا تقدِّموا بين يدي اللَّه ورسوله.

• وقال تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ [الإسراء: ٣].

أي: يا ذرية القوم الصالحين الذين حملهم اللَّه في الفلك مع نبيهم نوح، اذكروا صلاح آبائكم، فما حمل مع نوح إلا مؤمن، وكونوا شاكرين فإن نوحًا كان عبدًا شكورًا.

• ونحوه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧].

فيا أولاد النبي الصالح إسرائيل كونوا صالحين كأبيكم فإني قد فضلتكم على العالمين.

• ونحوه قول قوم مريم لمريم: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم:٢٨].

أي: يا أخت الرجل الصالح هارون، أخوك هارون رجل صالح، وأبوك كذلك كان من الصالحين، ولم يكن امرأ سوءٍ، وأمُّك كذلك لم تكن زانية، فيجدر بك أن تكوني عفيفة وأن تكوني مؤمنة وأن تكوني صالحة، ولا ينبغي لك أن ترتكبي المحرم الصغير فضلاً عن الكبير!!

فهكذا يُخاطب الناس، يذكروا بما فيهم وما في آبائهم من خيرٍ وصلاحٍ، فيحملهم هذا التذكير على إحياء تراث آبائهم وأجدادهم.

أمَّا أن تأتي إلى شخصٍ وتقول له: أبوك فاجر، وجدك لصٌّ، وعمُّك مفسد، وخالُك زانٍ، فهل ترى أن مثل هذا يستجيب لك؟!!

أو هل تراه يلين في يديك؟!! أو هل تراه يُحبك؟!!

ويقول جابر[1] رضي اللَّه عنه في خطابه مع ابن عباس، لما ذهب إليه ابن

(١)الدارمي (١/ ١٤١ ـ ١٤٢).

عبــاس يطلب منه علمًا: يا ابن عم رسول اللَّه مـا جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فيقول ابن عباس هو الآخر: أنا أحق أن آتيك.. فحقًا إنه أدب.

ونحوه يقول زيد بن ثابت لابن عباس وبنحوه يجيب ابن عباس أيضًا.

يأخذ ابن عباس لزيد بن ثابت رضي اللَّه عنه بالركاب وزيد يقول: تنح يا ابن عم رسول اللَّه ﷺ، وابن عباس يقول: **«هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا»**[١].

والصحابة رضـي اللَّه عنهم، كذلك كانوا يستـعملون هذا النوع من أنواع الإثارة.

فانظر إلى حـديث ابن عبـاس مع الخوارج[٢]، وتذكـيره لهم بفـضل من يحاربونه من طرف خفي بأسلوب رجل واعٍ فاهم ذكي.

قال ابن عباس: ودخلت عليـهم في نصف النهار وهم قائلون[٣] فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس فما جاء بك؟ قلت: لهم أتيتكم من عند أصحاب النبيِّ ﷺ: وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم - وليس فيكم منهم أحد - لأبلغكم ما يقـولون وتخبرون بما تقولون، ثم قال لهم: أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول اللَّه ﷺ وابن عمِّه.

فانظر إلى قول ابن عبـاس وإثارته نخوة حب رسول اللَّه ﷺ فيـهم، وأن الذي يقاتلون هو ابن عم رسول اللَّه ﷺ.

ثم انظر إلى مـقـالة[٤] ابن عبـاس لهؤلاء الخوارج إذ كـانوا يريدون سبي المؤمنات، فقال لهم: أتسـبون أمكم عائشة وتستحلون منهـا ما تستحلون من

(١) ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢/ ١٦٦).
(٢) أخرجه النسائي في «الخصائص» (حديث ١٨٥) بسند حسن.
(٣) أي وقت القيلولة.
(٤) في نفس الحديث السابق.

غيرها وهي أمكم؟!

فحقًا إنه ذكاءٌ من ابن عباس رضي اللَّه تعالى عنهما.

ومن ذلك أن تذكِّر من تخاطب بصلة تربطك به وتجمعك معه، فيتذكر هذه الصلة، ومن ثم يلين فـي يديك - إن أراد اللَّه له ذلك - وقـد سلك الأنبيـاء والفضلاء هذه الطريقـة من طرق الخطاب فترى في أقوال كثـيرين جدًا منهم قوله: «يا قوم، ويا قوم».

وكذلك قال هارون لموسى عليهما السلام: ﴿**قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي**﴾ [طه: ٩٤].

وكذلك قال الخليل إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾ [مريم: ٤٤، ٤٥].

وقال رسول اللَّه ﷺ لقومه من قريش: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى: ٢٣]، أي إلا أن تراعوا القرابة التي بيني وبينكم وتوادوني بسبب هذه القرابة.

ويقول في شأن سـعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه: «**هذا خـالي فليـُرني امرؤ خاله**».

● ويوسف عليه السلام يسـتعمل رابطة المصاحـبة في السجن في الخطاب مع سائليه فيقول لهما: «﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾» [يوسف: ٣٩].

● ويقول أيضًا: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ**

فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

وأحيانًا يكون التذكير بمنقبة للناس أو شرف قد حازوه هم أو آباؤهم:

• فمن ذلك قول الرسول ﷺ للعباس يوم حنين: «**أي عباسُ نادِ أصحاب السَّمُرة**» يريد بذلك الأنصار الذين بايعوا تحت الشجرة، والسمرة هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان.

• ففي «الصحيح»[١] من حديث العباس رضي اللَّه عنه، قال: «شهدت مع رسول اللَّه ﷺ يوم حنين[٢]، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث[٣] بن عبد المطلب رسول اللَّه ﷺ، فلم نفارقه ورسول اللَّه ﷺ على بغلة له بيضاء[٤]، أهداها له فروة بن نُفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين. فطفق رسول اللَّه ﷺ يركض بغلته[٥] قِبَلَ الكفار. قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول اللَّه ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع. وأبو سفيان آخذ بركاب رسول اللَّه ﷺ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أي عباس، نادِ أصحابَ السَّمُرة**»[٦] ....،

(١) مسلم (حديث ١٧٧٥).

(٢) «حنين»: واد بين مكة والطائف، وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، وهو مصروف كما جاء به القرآن العزيز.

(٣) «أبو سفيان بن الحارث» أبو سفيان هذا هو ابن عم رسول اللَّه ﷺ. قال جماعة من العلماء: اسمه هو كنيته وقال آخرون: اسمه المغيرة.

(٤) «على بغلة له بيضاء» كذا قال في هذه الرواية ورواية أخرى بعدها إنها بغلة بيضاء.
وقال في آخر الباب: على بغلته الشهباء. وهي واحدة، قال العلماء: لا يعرف له ﷺ بغلة سواها، وهي التي يقال لها: دلدل.

(٥) «يركض بغلته» أي: يضربها برجله الشريفة على كبدها لتسرع.

(٦) «أصحاب السمرة» هي الشجرة التي بايع تحتها بيعة الرضوان. ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

فقال ابنُ عباس ـ وكان رجلاً صيتًا [(١)] ـ : فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فواللَّه، لكأن عطفتهم، حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها[(٢)]، فقالوا: يا لبيَّك! يا لبيَّك! قال: فاقتتلوا والكفار[(٣)]، والدعوة في الأنصار[(٤)]، يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن الخزرج! فنظر رسول اللَّه ﷺ وهو على بغلته، كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«هذا حين حمي الوطيس»**[(٥)]، قال: ثم أخذ رسول اللَّه ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه

(١) «صيِّتًا» أي: قوي الصوت. ذكر الحازمي في المؤتلف أن العباس رضي اللَّه عنه، كان يقف على سَلع فينادي غلمانه في آخر الليل، وهم في الغابة، فيُسمعهم قال: وبين سلع والغابة ثمانية أميال. نقلاً عن النووي.

(٢) «لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها» أي: عودهم لمكانتهم وإقبالهم إليه ﷺ عطفة البقر على أولادها، أي كان فيها انجذاب مثل ما في الأمَّات حين حنَّت على الأولاد.

قال النوويّ: قال العلماء: في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيدًا، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم، وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة، ورشقهم بالسهام، ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه، وممن يتربص بالمسلمين الدوائر، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة، فتقدم أخفاؤهم، فلما رشقوهم بالنبل ولوا فانقلبت أولاهم على أخراهم، إلى أن أنزل اللَّه سكينته على المؤمنين، كما ذكر اللَّه تعالى في القرآن.

(٣) «والكفار» هكذا هو في النسخ، وهو بنصب الكفار أي مع الكفار.

(٤) «والدعوة في الأنصار» هي بفتح الدال يعني الاستغاثة والمناداة إليهم.

(٥) «هذا حين حمي الوطيس»: قال الأكثرون: هو شبه تنور يسجر فيه، ويضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حره. وقد قال آخرون: الوطيس هو التنور نفسه. وقال الأصمعي: هي حجارة مدورة، إذا حميت لم يقدر أحدٌ أن يطأ عليها، فيقال: الآن حمي الوطيس، وقيل: هو الضرب في الحرب، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس، أي =

الكفار، ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيأته فيما أرى، قال: فوالله، ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً[١] وأمرهم مدبرًا.

ومن التذكير بالمناقب:

- قول ابن عمر رضي الله عنهما لابن جعفر: «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»[٢].

- ومن ذلك قول النبي ﷺ[٣] لأبي هريرة رضي الله عنه عندما سأله أبو هريرة رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قبل نفسه**»، وفي رواية: «**من قلبه**».

* * *

= يدقهم قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ.

(١) «فما زلت أرى حدهم كليلاً» أي: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة.

(٢) البخاري (حديث ٣٧٠٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين».

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٠)، (٩٩).

• ويحسن تذكير الناس بحسن مدلولات أسمائهم ومدلولات أشكالهم وبمدلولات قراباتهم •

• فقد قال النبي ﷺ: «**أسلم سالمها اللَّه، وغفار غفر اللَّه لها**»[١] يريد قبيلتي أسلم وغفار.

• وكان الصحابة يقولون لابن عباس: يا ابن عم رسول اللَّه، ألا أرسلت إلينا[٢].

• وتقدم أن اللَّه قال للمؤمنين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحجرات: ٦]، ونحو ذلك.

فإذا قدم عليك شخص مثلاً يقال له: ناصر فقل له جعلك اللَّه من الناصرين لدينه، أو جاءك شخص يقال له: سعد، فقل له: جعل اللَّه قدومك وقدمك قدم سعد، أو جاءك من يقال له: سهيل، فقل له: سهَّل

(١)أخرجه البخاري (٣٥١٤)، ومسلم (حديث ٢٥٢١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢)أخرجه الدارمي (السنن ١/ ١٤١ ـ ١٤٢) بإسناد صحيح من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال: لما توفي رسول اللَّه ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب رسول اللَّه ﷺفإنهم اليوم كثير[١] فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل[٢]، فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول اللَّه ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ، فقال: كان هذا الفتى أعقل منِّي. «صحيح».

(١) لفظ مسلم: «اللهم فقهه».

(٢)من القيلولة.

اللَّه بك الأمور، أو قدم عليك من اسـمه محمد، فقل له: ألحـقك اللَّه بنبيه محمد ﷺ، ونحو ذلك.

من جاءك وهو أبيض فقل له: اللهـم كما بيضت وجهه في الدنيـا فبيض وجهه في الآخرة، من جاءك وهو أسـمر اللون فقل له: حشرك اللَّه مع بلال ابن رباح رضي اللَّـه عنه، ومن رأيتـه طويلاً فـقل له: زادك اللَّـه بسطة في العلم والجسم، ومن رأيته نحيفًا فـقل له: جمعك اللَّه مع ابن مسعود رضي اللَّه عنه، ونحـو ذلك من الكلمـات الطيبـة التي تتـرك أثرًا طيبًـا في النفس وتذكّر أيضًا بأئمة الهدى والصلاح من أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

* * *

• لا يُلدغ المؤمن من جُحر واحد مرتين •

وينبغي أن يكون المؤمن ذكيًا كيِّسًا فطنًا، إذا وقع في خطأ لا يقع فيه مرة أخرى، وقد قال النبيُّ ﷺ: **«لا يُلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»**[1].

ففي هذا الحديث تحذيرٌ للشخص من أن يكون مغفلاً أبله.

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه:

(وقال أبو عبيد: معناه ولا ينبغي للمؤمن إذا نكب من وجه أن يعود إليه.

قلت (الحافظ): وهذا هو الذي فهمه الأكثر ومنهم: الزهريُّ راوي الخبر، فأخرج ابنُ حبان من طريق سعيد بن عبد العزيز، قال: «قيل للزهري لما قدم من عند هشام بن عبد الملك: ماذا صنع بك؟ قال: أوفى عنِّي دَيْني، ثم قال: يا ابن شهاب تعود تُدان؟ قلتُ: لا»).

* * *

(١) أخرج البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (حديث ٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا. قال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم كتاب الزهد والرقائق»:

«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» الرواية المشهورة: «لا يلدغ»، برفع الغين. وقال القاضي: يروى على وجهين:

أحدهما: بضم الغين، على الخبر، ومعناه المؤمن الممدوح، وهو الكيس الحازم، الذي لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن لذلك.

وقيل: إن المراد الخداع في أمور الآخرة دون الدنيا.

والوجه الثاني: بكسر الغين. على النهي أن يؤتى من جهة الغفلة.

قال: وسبب الحديث معروف، وهو أن النبي ﷺ أسر أبا عزة الشاعر يوم بدر فمنَّ عليه وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه وأطلقه، فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء ثم أسره يوم أُحُد فسأله المنَّ. فقال النبي ﷺ: «المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين» وهذا السبب يضعّف الوجه الثاني وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضر من جهة أن يجتنبها لئلا يقع فيها ثانية.

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

أي: لا يستهزئ قوم بقوم، ولا يستخف قوم بقوم، ولا يزدري قوم قومًا، فإن الاستهزاء بالناس والاستخفاف بهم واحتقارهم وازدراءهم يدخل في الكِبْر، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنةَ من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[١] وفسر النبيُّ ﷺ الكبر بقوله: «**الكبر بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ**».

قال عدد من العلماء: ومعنى قوله: «**غمطُ الناس**» أي احتقارهم وازدراؤهم.

ففي سخريتك من المؤمنين ظلم لهم!!

وفي سخريتك منهم آثامٌ وذنوب!!

وفي سخريتك منهم ضياع لحسناتك وفوق ذلك غضب الرب عليك.

انتبه إلى مقولة رسول اللَّه ﷺ لأبي ذر لما عيَّر رجلاً بأُمِّه فماذا قال له رسولُ اللَّه ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»[٢].

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (حديث ٩١) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وفيه قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «إن اللَّه جميل يحب الجمال، الكبرُ بطر الحقِّ وغمطُ الناس».

(٢) البخاري (حديث ٣٠)، ومسلم (حديث ١٦٦١)، وفيه: أن أبا ذرٍّ قال: إنه كان بيني وبين رجل من إخوتي كلام، وكانت أمُّه أعجمية فعيَّرته بأمِّه فشكاني إلى النبيِّ ﷺ =

وبوَّب البخاريُّ في «صحيحه» باب قول اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وأورد تحت هذا الباب حديثين:

أحدهما: حديث عبد اللَّه بن زمعة[١] رضي اللَّه عنه، قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يضحك الرجل مما يخرج من الأنفس.

الثاني: حديث[٢] عبد اللَّه بن عمر قال النبي ﷺ: «**فإن اللَّه حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**».

وكذلك يدخل في السخرية من الناس السخرية منهم لذنب فعلوه أو لإثم ارتكبوه وزلت أقدامُهم فيه، وخاصة إذا تابوا من هذا الذنب وأقلعوا عنه.

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

فنعم قد يكون المسخور منه خيرًا من الساخر وأفضل عند اللَّه، فإن

= فلقيت النبي ﷺ فقال: «يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية». قلت: يا رسول اللَّه، من سب الرجال سبوا أباه وأمَّه، قال: «يا أبا ذرٍّ إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم جعلهم اللَّه تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم».

قلت: وقوله: (من سب الرجال سبوا أباه وأمَّه)، قال فيه النووي: معنى هذا الاعتذار عن سبه أمَّ ذلك الإنسان يعني أنه سبني ومن سب إنسانًا سبَّ ذلك الإنسان أبا الساب وأمَّه، فأنكر عليه النبي ﷺ وقال هذا من أخلاق الجاهلية، وإنما يباح للمسبوب أن يسب الساب نفسه بقدر ما سبه ولا يتعرض لأبيه ولا لأمه.

(١) البخاري (حديث ٦٠٤٢)، وفي روايةٍ: ثم وعظهم في الضرطة فقال: «لم يضحك أحدُهُم مما يخرج منه».

(٢) البخاري (٦٠٤٣) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا وقد تقدَّم.

أكرمكم عند اللَّه أتقاكم.

وقد يكون يوم القيامة أعلى بدرجات من الساخر فالقيامة خافضة رافعة، وكذلك المسخور منها من النساء قد تكون خيرًا من الساخرة.

- قد يكون المملوك خيرًا من مالكه وأقرب إلى اللَّه منه!
- قد يكون المرءوس خيرًا من رئيسه!
- قد يكون العامل في مؤسسة أو شركة خيرًا من صاحبها ومديرها!
- قد يكون الكاتب في محكمة خيرًا من قاضتها ومستشاريها!
- قد يكون المرض في مستشفى خيرًا من الأطباء والمديرين!
- قد يكون الفرَّاش وعامل النظافة في مدرسة خيرًا من المدير والناظر والمدرس.
- قد يكون الخادم خيرًا من المخدوم!
- قد تكون الخادمة خيرًا من المخدومة!
- قد يكن الخفير والشرطي الصغير خيرًا من الأمير والوزير واللواء!
- قد تكون من رزقت بالبنات خيرًا وأفضل عند اللَّه من أم الذكور!

فإن اللَّه يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٤ - ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وقـال تعـالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وانظر إلى هذا الحديـث الوارد عن رسول اللَّه ﷺ الذي يضع الأمـور في نصابها والحقائق في مواضعها والذي يفيد ما أفادته الآية الكريمة:

● سئل رسولُ اللَّه ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم للَّه**»[١] .

● وأخرج البخاري [٢] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي اللَّه عنه أنه قال: مرَّ رجلٌ على رسولِ اللَّه ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هـذا؟**» فقـال: رجل من أشراف الناس، هذا واللَّـه حريٌّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع قال: فسكت رسولُ اللَّه ﷺ ثم مرَّ رجل فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: يا رسول اللَّه، هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا**».

قلتُ: وهذا محمول على أن هذا الفقير خيرٌ في دينه من هذا الرجل الذي هو من أشراف الناس.

● وفي «صحـيح مسلم» أن النبيَّ ﷺ قـال: «**إن اللَّه لا ينظر إلى صـوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٣].

واقرأ حـديث[٤] رسـول اللَّه ﷺ: «**رب أشعث مدفـوع بالأبواب لو أقسمَ**

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٨٣)، ومسلم (حديث ٢٣٧٨).
(٢) البخاري (حديث ٦٤٤٧).
(٣) مسلم (ص١٩٨٧).
(٤) مسلم (حديث ٣٦٢٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا: =

على اللَّه لأبرَّه».

وكذلك فانظر إلى هذا الطفل الذي أنطقه اللَّه في المهد تقريرًا لحقيقة وبيانًا لقاعدة وإثباتًا لأصل:

● أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...**» فذكر الحديث وفيه: «**وبينا صبيٌّ يرضع من أمِّه فمرَّ رجل راكب على دابة فارِهة[٢] وشَارَة[٣] حسنة فقالت أُمُّه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثَّدْي وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على الثدي فجعل يرتضع**».

قال: فكأني أنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يَمُصُّها.

قال: «**ومرُّوا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت، وهي تقول: حسبي اللَّه ونعم الوكيل، فقالت أمُّه: اللَّهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرَّضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث[٤]. قالت: حَلْقَى[٥]! مرَّ رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلتَ: اللهم لا**

= والأشعث هو الملبد الشعر مغبَّر غير مدهون ولا مرجل، ومعنى مدفوع بالأبواب: أي مطرود يطرده الناس عن أبوابهم ويردونه ولا يحتفون به ولا يستقبلونه احتقارًا منهم له.
وقوله: «لو أقسم اللَّه لأبرَّه» أي لو حلف على وقوع شيء لأوقعه اللَّه إكرامًا له.

(١) البخاري (حديث ٣٤٦٦)، ومسلم (٢٥٥٠).

(٢) الفارهة: النشيطة الحادة القوية.

(٣) الشارة: هي الهيئة واللباس.

(٤) «تراجعا الحديث» معناه أقبلت على الرضيع تحدثه وكانت أولاً لا تراه أهلاً للكلام فلما تكرر منه الكلام علمت أنه أهل له فسألته وراجعته.

(٥) حلْقَى أي: أصابه اللَّه تعالى بوجع في حلقه.

تجعلني مثله، ومروا بهذه الأَمَة وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، فقلتُ: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلتَ: اللهم اجعلني مثلها[1] ، قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيتِ ولم تزنِ، وسرقتِ ولم تسرقْ. فقلتُ: اللهم اجعلني مثلها».

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [الحجرات: ١١].

فيه أيضًا تحذير النساء من السخرية من بعضهن البعض فهن ناقصات عقل ودين[2] والسخرية فيهن كثيرة ولذلك جاء تخصيصهن بالذكر أيضًا.

وانظر إلى هذا الوعيد الشديد والتحذير الأكيد من الطعن في الأشخاص:

فلما أشارت أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، بقولها: «حسبك من صفية هكذا - تعني أنها قصيرة - قال رسول اللَّه ﷺ: **«لقد مزجْتِ بكلمة لو مُزِجَتْ بها ماء البحر لمُزِجَ»**[3] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحجرات: ١١].

أي لا تعيبوا إخوانكم ولا تطعنوا فيهم، فأنتم وإخوانكم جسد واحد وشخص واحد فمن لمز أخاه فقد لمز نفسه، وعُبِّر عن المؤمنين بالنفس كما في قوله تعالى: **﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا**

---

(١) مثلها أي سالمًا من المعاصي كما هي سالمة.

(٢) أخرج البخاري (حديث ٣٠٤)، ومسلم (حديث ٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه: أن النبي ﷺ قال: «يا معشر النساء تصدقن فإني أُريتكن أكثر أهل النار»، فقلن: وبم يا رسول اللَّه؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن..».

(٣) الترمذي (حديث ٢٥٠٢) وإسناده صحيح.

هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

أي ظنوا بإخوانهم خيرًا.

واجتنب اللعن، فإن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة كما قال الرسول ﷺ[١] :

والمعنى عندي - واللَّه أعلم - أن اللعانين لا يشفعون للخلائق يوم القيامة، وأيضًا لا يشهدون على الأُمم ولا يستشهد بأقوالهم.

• قال النبي ﷺ[٢] : **«لا ينبغي لصديق أن يكن لعانًا»**.

• وقال النبي ﷺ: **«ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله»**[٣] .

• وفي «الصحيحين»[٤] من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»** .

• وفي «الصحيحين»[٥] من طريق المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي اللَّه عنه، قال: رأيتُ عليه بُرْدًا وعلى غلامه بُرْدًا فقلت: لو أخذت هذا فلبستَه كانت حُلة، وأعطيته ثوبًا آخر فقال: كانت بيني وبين رجل كلام، وكانت أُمُّه أعجمية، فنلتُ منها، فذكرني إلى النبي ﷺ فقال لي: **«أسابَبْتَ فلانًا؟!»**

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه مرفوعًا (حديث ٢٥٩٨). وأحد ألفاظه اللفظ المذكور، وفي لفظ آخر: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٤٧)، ومسلم (حديث ١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٦٠٤٥)، ومسلم (حديث٦١).

(٥) البخاري (حديث ٦٠٥٠) ومسلم (حديث ١٦٦١).

قلتُ: نعم، قال: «**أفنلتَ من أمِّه؟**» قلتُ: نعم، قال: «**إنَّك امرؤ فيك جاهلية**» ، قلتُ: على حين ساعتي هذه من كبر السنِّ؟ قال: «**نعم هم إخوانكم جعلهم اللَّه تحت أيديكم فمن جعل اللَّهُ أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليُلبسه مما يلبس ولا يكلِّفه من العمل ما يَغْلبُه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه**» .

ولما دعا رسول اللَّه ﷺ على قوم ولعنهم نزل قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٨].

● أخرج البخاري[1] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما: أنه سمع رسول اللَّه ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول: «**اللهم العن فلانًا وفلانًا**» بعدما يقول: «**سمع اللَّه لمن حمده ربنا ولك الحمد**» . فأنزل اللَّه: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

أي لا تتداعوا فيما بينكم ولا تتنادوا بالألقاب المكروهة التي يتضايق منها الناس ويسوؤهم سماعها، فلا تنادِ الناس إلا بأحب الأسماء إليهم.

ويدخل في التنابز بالألقاب قول الرجل لأخيه المسلم: يا كافر، يا منافق.

أو يقول لمن أسلم: يا يهودي أو: يا نصراني.

أو يقول: يا كلب، يا خنزير، أو يقول: يا غبي، يا جاهل.

أو يقول له: يا قصير، يا أعور، يا أعرج، إذا كان يكره ذلك.

---

(١) البخاري (حديث ٤٠٦٩).

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

• أخرج الترمذي[١] بإسناد صحيح إلى أبي جبيرة بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فـيُدعى فعسى أن يكره، قال: فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

معناه: بئس أن يُسمَّى الرجل كافرًا أو زانيًا بعد إسلامه وتوبته.

وقال بعض العلماء: المعنى أن من لقَّب أخـاه بلقب يكرهه، أو سخر منه وعابه فهو فاسق مستحق لاسم الفسق.

فبئس هذا الاسم أن يطلق على الرجل بعد أن كان مؤمنًا.

قلتُ: وقد قال النبيُّ ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحـمه اللَّه: ففي الحديث تعظيم حق المسلم والحكم على من سبَّه بغير حقٍّ بالفسق.

فاتق يا عبد اللَّه السباب والشتم واللمز والتنابز بالألقاب.

فإن ذلك يُدخلك في عداد الفساق بعد أن كنت في عداد المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

فيه فتحٌ لباب التوبة بعد الوقوع في الخطأ والمحظور.

أي: يا من سخـرتم من الناس واحتـقرتموهم وازدريتـموهم وعـبتـموهم

---

(١) الترمذي (٣٢٦٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلتُ: ورواه أحمد أيضًا (٥/ ٣٨٠) من طريق أبي جبيرة عن عمومته، وكذلك (٤/ ٦٩).

(٢) البخاري (حديث ٤٨)، ومسلم (حديث ٦٤) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وطعنتم فـيهم ودعـوتموهم بالألفـاظ المكروهة؛ فوقـعتم في عـداد الفسـاق بسـبابكم وطعنكـم في إخوانكم وعـيبكم لإخـوانكم، وندائكم لإخـوانكم بالألفاظ المكروهة والألقاب المذمومة.

ها هو باب التـوبة مفتـوح لكم للرجوع إلى ربكم والإقـلاع عن ذنوبكم فأقبلوا إلى ربكم وحسِّنوا أخلاقكم.

ومن امتنع وأبى الرجوعَ إلى اللَّه والإقلاعَ عن ذنبه فهذا هو الظالم.

* * *

قوله تـعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾

وقال النبي ﷺ: «**إياكم والظن فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث**»[1].

فظُنَّ بالمؤمنين خيرًا.

فهذا أمر ربك سبحانه وتعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

واجتنب كثيرًا من الظن السيئ بالمؤمنين:

فـإن اللَّه يقـول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وانظر إلى قوله: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فلم يقُل: اجـتنبـوا بعض الظن، ولكن قـال: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾

(١) صحيح، وقد تقدم.

[الحجرات:١٢]؟ وذلك والله أعلم حتى يدخل البعض الذي هو إثم في الكثير المجتنب.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الظن ظنان: أحدهما: إثمٌ، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر: ليس بإثم، وهو أن تظن ولا تتكلم[1] وقال بعض العلماء في قوله: ﴿**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ : هو أن تظن بأهل الخير سوءًا، فأمَّا أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

وذهب كثير من العلماء إلى أن الظنَّ القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح.

وقال آخرون من أهل العلم: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حرامًا واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد والخيانة به محرم، بخلاف من اشتهر عند الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢].

أما التجسس فهو البحث عن عيوب الناس والاطلاع على عوراتهم وما خفي من أمرهم.

فلا تتجسس على الناس[2] ولا تستمع إليهم وهم يفرون منك.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي».

(٢) أما التجسس على أهل الريب والفساد لمنع فسادهم، وكذلك التجسس على اللصوص لمنعهم من السرقات فكل ذلك جائز لقوله تعالى: ﴿والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة:٢٠٥].
وقد أخرج البخاري (حديث ٣٠٣٣)، ومسلم (٢٩٣١) من حديث ابن عمر رضي الله =

فعن هذا التجسس نهاك ربُّك، ومن هذا الاستماع حذرك نبيُّك ﷺ قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال النبيُّ ﷺ أيضًا: «**ولا تحسسوا ولا تجسسوا**»[(١)] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صبّ في أذنه الآنك يوم القيامة...**»[(٢)] .

وقال النبيُّ ﷺ: «**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم**»[(٣)].

* * *

= عنهما، قال: انطلق رسول اللَّه ﷺ ومعه أُبي بن كعب قِبلَ ابن صياد فحُدِّث به في نخل فلما دخل عليه رسول اللَّه ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل وابن صياد في قطيفة له فيها رمرمة فرأت أم صياد رسولَ اللَّه ﷺ فقالت: يا صاف هذا محمد، فوثب ابن صياد فقال رسول اللَّه ﷺ: «لو تركته بيَّن».

(١) البخاري (حديث ٦٠٦٤)، ومسلم (حديث ٢٥٦٣).

(٢) البخاري (حديث ٧٠٤٢) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما.
وأما الآنك: فهو الرصاص المنصهر.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) بإسناد صحيح من حديث معاوية رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ •

• وفصل في الغيبة •

إياك واغتياب المؤمنين والمؤمنات:

والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، وإن كان في أخيك ما تقول.

• قال رسول اللَّه ﷺ[1]: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**».

• وقال اللَّه سبحانه: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [2] [الحجرات: ١٢].

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٩).

(٢) قال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيِّم»:

قول اللَّه تعالى ذكره: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢].

هذا من أحسن القياس التمثيلي فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت.

ولما كان المغتاب عاجزًا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبًا عن مجلس ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والطعن: كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه. ولما كان المغتاب متمتعًا بعرض أخيه متفكهًا بغيبته وذمه متحليًا بذلك شُبِّه بآكل لحم أخيه بعد تقطيعه ولما كان المغتاب محبًا لذلك معجبًا به شُبِّه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتًا ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس! =

فإياك أن تُضيع حسناتك ويذهب بها غيرك:

• وإياك أن يستهويك الشيطان ويوقعك في الاغتياب ويُزين لك الخوض في أعراض المسلمين والمسلمات.

• وقد قال النبي ﷺ[١] يوم النحر: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه**».

«**والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» [٢] كما قال النبي ﷺ.

فاحذر أن تقع في عرض أخيك المسلم: «**فإن أربى الربا عرض الرجل المسلم**»[٣].

• وفي «مسند الإمام أحمد»[٤] بإسناد صحيح من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لما عرج بي ربي عزَّ وجلَّ مررت بقوم لهم**

= وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتًا ووصفهم بذلك في آخر الآية والإنكار عليهم في أولها: أن يحب أحدهم ذلك فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره.

فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهو أشد شيء نفرة عنه. فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة: أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه وباللَّه التوفيق.

(١) البخاري (حديث ٦٧)، ومسلم (حديث ١٦٧٩).

(٢) البخاري (حديث ١٠)، ومسلم (٤٠).

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قلت: وفي إسناده مقال، لكن لهذه الفقرة منه شواهد. وانظر «سنن أبي داود» (عون المعبود ١٣/ ٢٢٢).

(٤) أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤) وأبو داود (٤٨٧٨).

أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم».

وإذا سمعت أحدًا يغتاب مسلمًا من المسلمين فعليك بالدفاع عن عِرضِ أخيك المسلم:

• فقد ورد من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: نال رجلٌ من رجلٍ عند النبيِّ ﷺ فردَّ عليه رجلٌ فقال النبيُّ ﷺ: **«من ردَّ عن عِرضَ أخيه كان له حجابًا من النار»**[1] .

• وقد تقدم حديث النبي ﷺ: **«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»** قيل: يا رسول اللَّه، هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: **«تمنعه من الظلم..»** الحديث.

ويدخل في الاغتياب بعض الألفاظ التي ظاهرها السلامة من الاغتياب لكنها تحمل معناه، وتؤدي مؤداه وتُفهم السامعَ الانتقاصَ من المذكور والطعن فيه:

كأن تقول عن شخصٍ مثلاً: اللَّه يهديه (بقصد الطعن فيه وإفهام السامع ذلك).

أو تقول عند ذكره: (اللَّه يعافينا)، أو: (نسأل اللَّه السلامة)، أو: (ربنا يسهل له).

ونحو ذلك مما يحمل إرادة الطعن وإفهام السامع ذلك.

---

(١) أخرجه عبد بن حميد: في «المنتخب» بتحقيقي حديث (٢٠٦).
وانظر تخريجه هناك وهو صحيح وله شاهد عند أحمد (٦/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠).

وهناك من الكلمات: كلمات طيبة، ولكنها قد تخرج في وقت يُراد بها شيء من الانتقاص والذَّم فحينئذ يُلام قائلها:

من ذلك كلمة: (اتق اللَّه) فهي كلمة طيبة.

- وقد قالها اللَّه لنبيه ﷺ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ**﴾ [الأحزاب: ١].
- وقالها اللَّه لعباده المؤمنين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ [الأحزاب: ٧٠].
- وقالها اللَّه لعموم الخلق: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ**﴾ [النساء: ١].

ولكن لما قال الخارجي لرسول اللَّه ﷺ: اتق اللَّه يا محمد[١]، قال له رسول اللَّه ﷺ: «**فمن يطع اللَّه إن عصيته؟ أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني**».

- وفي رواية في «الصحيح»[٢] كذلك أن الرجل قال: يا رسول اللَّه اتق اللَّه، فقال: «**ويلك! أولستُ أحقَّ أهل الأرض أن يتقي اللَّه**».

فكلمة: (اتق اللَّه) في نفسها كلمة طيبة، ولكن قائلها أراد بها أن الرسول لم يعدل فحينئذ غضب الرسولُ ﷺ، وقال له الذي ذُكر.

* * *

---

(١) مسلم (مع النووي ٣/١٠٩).
(٢) مسلم أيضًا (٣/ ١١٠).

• وإياك والنميمة •

والنميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

ويدخل فيها بعض صور الغيبة كأن تذكر الشخص في غيبته بما فيه مما يسوؤه قاصدًا بذلك الإفساد.

والنميمة من الكبائر.

وعلى ذلك جملة أدلة:

• قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ [القلم: ١٠، ١١].

• وقال النبيُّ ﷺ: «**لا يدخل الجنةَ قتَّاتٌ**» وفي رواية: «**لا يدخل الجنةَ نمامٌ**» والنَّمامُ هو القتَّاتُ.

• ففي «الصحيحين»[(١)] من طريق همام بن الحارث قال: كنا جلوسًا مع حذيفة في المسجد فجاء رجلٌ حتى جلس إلينا فقيل لحذيفة: إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة ـ إرادةَ أن يُسمعه: سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنةَ قتاتٌ**».

• وفي رواية لمسلم: «**لا يدخل الجنة نمامٌ**» من حديث حذيفة أيضًا.

• وفي رواية لمسلم من طريق همام أيضًا، قال: كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير فكنا جلوسًا في المسجد فقال القوم: هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير، قال: فجاء حتى جلس إلينا فقال حذيفة: سمعت رسول اللَّه ﷺ

(١) البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (حديث ١٠٥) وفي رواية البخاري: إن رجلاً يرفع الحديث إلى عثمان.

يقول: «**لا يدخل الجنة قتَّاتٌ**».

هذا ويجدر بنا أن ننقل هنا مـا ذكره النووي في «شرح مسلم» قـال رحمه اللَّه:

قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه اللَّه في «الإحياء»: اعلم أن النميمة إنما تطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: فلان يتكلم فيك بكذا، قال: وليست النمـيمة مخصوصة بهذا بل حد النمـيمة كشف ما يكره كـشفه سـواء كرهه المنقـول عنه أو المنقـول إليه أو ثالث، وسـواء كان الكشف بالكناية أو بالرمز أو بالإيماء.

فحقيقة النميمة: إفشـاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، فلو رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة.

قال: وكل من حملت إليه نميمة وقـيل له: فلان يقول فيك أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور:

(الأول): ألا يصدقه لأن النمام فاسق.

(الثاني): أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله.

(الثـالث): أن يبغضه في اللَّه تعـالى فإنه بغيض عند اللَّه تعالى، ويجب بغض من أبغضه اللَّه تعالى.

(الرابع): ألا يظن بأخيه الغائب السوء.

(الخامس): ألا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن ذلك.

(الســـادس): ألا يرضى لنفسه مـا نهى النمام عنه فلا يحكي نميـمته عنه فيقول: فلان حكى كذا فيصير به نمامًا ويكون آتيًا ما نهى عنه.

هذا آخر كلام الغزالي رحمه اللَّه.

وكل هذا المذكور في النميمة إذا لم يكن فيهـا مصلحة شرعية، فإن دعت الحاجة إليها فلا مانع منهـا، وذلك كما إذا أخبره بأن إنسانًا يريد الفتك به أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام أو من له ولاية بأن إنسانًا يفعل كذا ويسعى بما فيه مفسدة، ويجب على صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته.

فكل هذا وما أشبهه ليس بحرام، وقد يكون بعضه واجـبًا وبعضه مستحبًا على حسب المواطن. واللَّه أعلم.

وبعد هذه الزواجر عن الغيبة والنميمة:

هل يليق بك يا عبد اللَّه أن تكون من المغتابين والنمامين؟!

هل يليق بك يا حامل كتاب اللَّه أن تأكل لحم أخيك ميتًا؟!

هل يليق بك يا حامل سنة رسول اللَّه ﷺ أن تذكر أخاك بما يكره؟!

هل يليق بك أيها العاقل أن تضيع حسناتك ويذهب بها غيرك؟!

هل يليق بك يا وارث الأنبـياء ويا حامل علمـهم أن تأتي يوم القيـامة في هذا المنظر الفظيع المخـزي، أظافرك طويلة ثم هي من نحـاس ثم إنك تُشرِّح بها وجهك وصدرك وجلدك وتخمش بها وجهك وصدرك وجلدك؟!

إنه حقًا منظر مخزٍ مهين!!

فاتق اللَّه يا عـبد اللَّه ولا تشوه منظرك بخـموش تخمش بهـا وجهك يوم القيامة؟!!

لا تملأ بطنك بالجيف والنتن من لحوم الأموات؟!!

احذر ثم احذر فإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

مواطن تباح فيها الغيبة:

وتُباح الغيبة في بعض المواطن كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في «فتح الباري» حيث قال: قال العلماء: تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعًا حيث يتعين طريقًا إلى الوصول إليه بها كالتظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء والمحاكمة، والتحذير من الشر.

ويدخل فيه:

تجريح الرواة والشهود.

وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده.

وجواب الاستشارة في نكاح أو عقد من العقود.

وكذا من رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به.

وممن تجوز غيبتهم: مَن يتجاهر بالفسق أو الظلم أو البدعة.

ومن الأدلة على ما ذكر ما يلي:

في باب الاستفتاء: جاءت هند إلى رسول اللَّه ﷺ وقالت: يا رسول اللَّه إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي فهل عليَّ جناح أن آخذ من ماله وهو لا يعلم، قال عليه الصلاة والسلام: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**»[1].

---

(١) البخاري (٥٣٦٤)، ومسلم (١٧١٤) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: دخلتْ هند بنتُ عتبة امرأةُ أبي سفيان على رسول اللَّه ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه، إن أبا سفيان =

فلو كان قـولها: «إن أبا سفيـان رجل شحيح» فيـه اغتياب مـذموم لأبي سفيان ما أقرها عليه رسول اللَّه ﷺ، ولكن لما كان الباب باب فتيا لم يمنعها رسول اللَّه من ذكرها زوجها بما يحتاج إليه المقام.

● ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عـائشة رضي اللَّه عنها: أن رفاعة القُرَظِيَّ طلق امرأته فبتَّ طلاقـها فتزوجتْ بعده عبد الرحمن ابن الزَّبِير، فجاءت النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه، إنها كانت تحت رفاعة فطلقهـا آخر ثلاث تطليقـات، فتزوجتُ بعـده عبد الرحـمن بن الزَّبِير، وإنه واللَّه ما مـعه إلا مـثْلُ الهُدْبَة[2] وأخَذَتْ بِهُدْبة من جلبابهـا، قالت: فتبسم رسـولُ اللَّه ﷺ ضاحكًا، فـقال: **«لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفـاعة، لا، حتى يذوق عُسَيْلتَك وتذوقي عسيلته»**[3] وأبو بكر الصديق جالس عند رسول اللَّـه ﷺ، وخالد بن سعيد العاص جـالس بباب الحجرة لم يؤذن له قالت: فطفق خالد ينادي أبا بكر: ألا تزْجُرُ هذه عما تجهر به عند رسول اللَّه ﷺ؟

= رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيَّ إلا ما أخذتُ من ماله بغير علمه فهل عليَّ في ذلك من جناح؟ فقـال رسول اللَّه ﷺ: «خُذي من مـاله بالمعـروف، ما يكفيك ويكفي بنيك».

(١) البخاري (حديث ٦٠٨٤)، ومسلم (حديث ١٤٣٣، ص ١٠٥٦).

(٢) تعني الذَّكر.

(٣) قال النووي رحمه اللَّه: عسيلته: تصغير عسلة، وهي كناية عن الجماع. شبه لذته بلذة العسل وحلاوته.
وفي «المصباح»: ذاق الرجل عسيلة المرأة وذاقت عسـيلته، إذا حصل لهما حلاوة الخلاط ولذة المباشرة بالإيلاج، وهذه استعارة لطيفة شـبهت لذة المجامعة بحلاوة العسل، وسمى الجماع عسلاً، لأن العرب تسمي كل ما تستحليه عسلاً.
وفي «الأساس»: ومن المستعار العسيلتـان في الحديث للعضوين لكونهما مظنتي الالتذاذ، والتأنيث فيه لتأنيث مكبره في الأكثر. =

قلت: ولا شك في أن زوجها يكره أن يُقال عنه: إنه ما معه إلا مثل الهدبة، لكن لما كان الباب باب استفتاء فلم تمنع من ذكر مثل هذا.

وكذلك في باب الاستشارات:

● جاءت فاطمة بنت قيس إلى رسول اللَّه ﷺ تستشيره في شأن من خطبها، وكان قد خطبها معاوية وأبو جهم رضي اللَّه عنهم، فقال النبيُّ ﷺ: «**أما معاوية فصعلوك، لا مال له، وأما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه**».

فوصف الرسول معاوية رضي اللَّه عنه بأنه صعلوك لا مال له، وأبا جهم بأنه لا يضع عصاه عن عاتقه، ثم رشح لها رسول اللَّه ﷺ رجلاً آخر وهو أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما، فقال: «**أنكحي أسامة**».

وهذا هو الحديث بذلك:

● أخرج مسلم[1] من حديث فاطمة بنت قيس رضي اللَّه عنها: أن أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة وهو غائبٌ فأرسل إليها وكيلَه بشَعيرٍ فسَخِطَتْه[2]، فقال: واللَّه، ما لك علينا من شيء فجاءتْ رسولَ اللَّه ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «**ليس لكِ عليه نفقةٌ**» فأمرها أن تعتدَّ[3] في بيت أمِّ شَرِيك، ثم قال: «**تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدِّي عند ابن أمِّ مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللتِ فآذنيني**[4]» قالت: فلما حللتُ ذكرتُ له

= قال الشماخ:

كأن عيون الناظرين يشوقها بها عسل طابت يدا من يشورها

(١) مسلم (حديث ١٤٨٠).

(٢) فسخطته: أي ما رضيت به لكونه شعيراً، أو لكونه قليلاً.

(٣) تعتدُّ: أي تستوفي عدتها، وعدة المرأة، قيل: أيام أقرائها، وقيلك تربصها المدة الواجبة عليها.

(٤) فآذنيني: أي فأعلميني.

أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه**[١] ، **وأما معاوية فصعلوك**[٢] **لا مال له، أنكحي أسامة بن زيد**» فكرهتُه ثم قال: «**أنكحي أسامة**» قالت: فنكحتُه، فجعل اللَّه فيه خيرًا، واغتبطت[٣] .

وفي باب التحذير والتعريف: تقدم قول النبيِّ ﷺ في الرجل: «**بئس أخو العشيرة**»[٤] .

---

(١) فلا يضع العصا عن عاتقه فيه تأويلان مشهوران:
أحدهما: أنه كثير الأسفار، والثاني: أنه كثير الضرب للنساء، وهذا أصح. والعاتق هو ما بين العنق إلى المنكب.

(٢) فصعلوك: أى فقير في الغاية.

(٣) واغتبطت في بعض النسخ: واغتبطت به ولم تقع لفظة «به» في أكثر النسخ.
قال أهل اللغة: الغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه وليس هو بحسد تقول منه: غبطته بما نال أغبطه، بكسر الباء، غبطًا وغبطة فاغتبط هو، كمنعته فامتنع، وحبسته فاحتبس.

(٤) البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها: أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة، أو بئس رجل العشيرة» فلما دخل عليه ألان له القول! قالت عائشة: فقلتُ: يا رسول اللَّه، قلتَ له الذي قلتَ، ثم ألنت له القول! قال: «يا عائشة إنَّ شر الناس منزلة عند اللَّه يوم القيامة، من وَدَعَه الناسُ اتقاء فحشه».
قال النووي رحمه اللَّه: قال القاضي: هذا الرجل هو عيينة بن حصن، ولم يكن أسلم حينئذ، وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبيُّ ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس، ولا يغترَّ به من لم يعرف حاله، قال: وكان منه في حياة النبيِّ ﷺ وبعده، ما دل على ضعف إيمانه وارتد مع المرتدين وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر رضي اللَّه عنه، ووصفُ النبي ﷺ بأنه بئس أخو العشيرة، من أعلام النبوة، لأنه ظهر كما وصف، وإنما ألان له القول، تألفًا له ولأمثاله على الإسلام.
والمراد بالعشيرة قبيلته: أي بئس هذا الرجل منها.

وقـال النبيُّ ﷺ في شـأن رجلين: «**ما أظن فـلانًا وفلانًا يعـرفان من ديننا شيئًا**»[١].

وفي رواية أخـرى: «**يا عائشـة، ما أظن فلانًا وفلانًا يعـرفان ديننا الذي نحن عليه**».

• وقول النبي ﷺ في شأن الخوارج والرجل الذي قال له: يا رسول اللَّه اعـــدل: «**دعه فإن له أصـحابًا يحقر أحـدكم صلاته مع صلاتهم، وصـيامه مع صيامهم يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرميّة**».

• وأيضًا ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث سلمة بن الأكوع رضي اللَّه عنه، قال: عُـدنا مع رسول اللَّه رجلاً موْعُـوكًا، قال: فوضـعتُ يدي عليه فـقلتُ: واللَّه، ما رأيـتُ كاليـوم رجلاً أشـد حـرًا، فقـال النبيُّ ﷺ: «**ألا أُخبركم بأشد حرًا منه يوم القيامة! هاذينك الرجلين الرَّاكبين المقفِّيَيْنِ**»[٣] لرجلين حينئذ من أصحابه[٤].

• وفي «مسند الإمام أحمد» رحمه اللَّه بإسناد حسن عن ابن عباس رضي اللَّه عنهـمـا، قـال ﷺ: «**يدخل علـيكم رجل ينظر بعـين شـيطان أو بعــيني شيطان**»[٥].

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٦٧).

(٢) مسلم (حديث ٢٧٨٣).

(٣) المقفيين: أي المنصرفين المولين.

(٤) قال النووي: سـماهما من أصـحابه لإظهارهمـا الإسلامَ والصحـبة، لا أنهمـا ممن نالته فضيلة الصحبة. (نقلاً عن محمد فؤاد).

(٥) أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠).

وفي باب المصالح العامة للمسلمين: ونقل ما يعود بالنفع على عموم المسلمين، كما أشار الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: «وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده»[١]، نقلُ زيد بن أرقم مقولة عبد الله بن أُبي ابن سلول: ﴿**يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**﴾ [المنافقون: ٨] إلى رسول الله ﷺ[٢].

وكذلك لما قال رجل في شأن قسمة قسمها رسول الله ﷺ: إن هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله نقل ابن مسعود هذه المقولة إلى رسول الله ﷺ.

وهذا باب يجب أن يفهم بلا إفراط ولا تفريط.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتًا.

قلتُ: وفي هذا دفاع عن سنة رسول الله ﷺ ونصح لأُمَّة محمد ﷺ وتحذير من أهل الشر والباطل والكذب والافتراء.

وإلا لطعن الظالمون والمفترون والكذَّابون في السُّنَّة ولأدخلوا فيها ما ليس منها وحينئذ يضيع الدِّين وتذهب معالمه ويختلط الحق بالباطل.

---

(١) «الفتح» (١٠/ ٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع عمي فسمعتُ عبد الله بن أُبيّ بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لعمي، فذكره عمي للنبي ﷺ وصدقهم، فدَعاني فحدثته، فأرسل إلى عبد الله بن أُبي بيتي، وقال عمي: ما أردت إلى أن كذَّبك النبي ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ [المنافقون: ١] وأرسل إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأها وقال: «إن الله قد صدقك».

ولا يدخل في الاغتياب: التعريف بالشخص في حالة كون الشخص لا يكره ذلك التعريف الذي تعرفه به، كأن تُعرِّف شخصًا وتقول: «فلان الأعمى» أو: «الأعرج»، أو: «الأفطس»، أو: «ابن دقيق العيد» لشدة بياضه، أو: «ذو اليدين» أي طويل اليدين، أو: القصير، أو: الطويل، ونحو ذلك.

ومحل هذا كله إذا كان الشخص المعرَّف لا يكره ذلك.

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ**﴾ [عبس: ١ - ٢].

فوصفه اللَّه بالأعمى!!

وقال النبيُّ ﷺ: «**أحقًا ما يقول ذو اليدين؟**»[١].

واشتهر من علماء السلف الأعرج، والأعمش، والأفطس، والحذاء، والأحول.

وحتى الأموات لا تذكرهم إلا بخير:

● أخرج النسائي[٢] بإسناد صحيح عن عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالكٌ بسوء فقال: «**لا تذكروا هلكاكم إلا بخير**».

● وفي «سنن الترمذي»[٣] بإسناد صحيح عن عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي وإذا مات صاحبكم فدعوه**»[٤].

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) النسائي (٤/ ٥٢).

(٣) الترمذي (مع التحفة ١٠/ ٣٩٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وروي هذا عن هشام ابن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٤) أي لا تذكروه بسوء.

إلا إذا كـان الميت إمامًـا من أئمـة البدع والضـلال ويُخـشى أن يقتـدى به فحينئذ يجوز سبه وبيان مساوئه، بل ويستحب ذلك تحذيرًا للأُمَّة:

- قال اللَّه تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿ **وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ** ﴾ [القصص: ٤٢].
- وقال تعالى: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾ [المسد: ١].
- وقال النبي [١] ﷺ: «**رأيت عمرو بن لُحيٍّ يجـرُّ قُصبه** [٢] **في النـار؛ لأنه أول من سيَّب السوائب**» [٣] .

وقد تقدم لهذا الباب مزيد.

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٢٤)، ومسلم (حديث ٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) قُصبه: أي أمعاءه.

(٣) السوائب: جمع سائبة.

قال النووي رحمه اللَّه: كانوا إذا تابعت الناقـة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو ضيف وتركوها مسيبة لسبيلها وسموها السائبة، فما ولدت من ذلك من أنثى شـقوا أذنها وخلوا سـبيلها وحـرّم ما حـرّم من أمها وسـموها البحيرة.

• والشجاعة محمودة ولكن !! •

ومن ثم فقد تحلَّي بها لأنبياء والفضلاء وأُثني على الشجعان والأبطال.

شجاعة في الأقوال والأفعال.

وشجاعة في إلقاء كلمات الحق وفي الصدع بالحقِّ!!

وشجاعة في ميدان القتال وفي مواطن النزال!!

شجاعة في حسم الأمور وفي اتخاذ القرار!!

شجاعة في كل ما يحتاج إلى إقدام!!

فعليك بالتحلِّي بهذه الخصلة الطيبة والصفة الكريمة التي تحلَّى بها الأنبياءُ من قبلك، وتحلَّى بها أول العزم من الرسل عليهم جميعًا الصلاة والسلام!!

• فها هو نبي اللَّه نوح ﷺ يقول لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ**﴾ [يونس: ٧١].

• وها هو الخليل إبراهيم ﷺ يقسم لقومه فيقول: ﴿**وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾ [الأنبياء: ٥٧].

• وينفذ ما وعد به: ﴿**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ**﴾ [الأنبياء: ٥٨].

• ويقول لقومه: ﴿**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

• ويقول هو ومن آمن به لقومهم: ﴿**إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ**

اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

• وها هو يُجابه الطاغية الجبار المستكبر الذي يقول: أنا أحيي وأميت، فيقول له إبراهيمُ عليه السلام: ربي الذي يحيي ويميت، وها هو ذكر ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

• ها هو الخليل إبراهيمُ يُلقى في النار ولا يتردد ولا يبالي، فجعلها اللَّه عليه بردًا وسلامًا.

انظر إلى شجاعة الخليل إبراهيم عليه السلام في اتخاذ القرار، بالامتثال لأمر اللَّه.

إنه قرار بتنفيذ ما أمره اللَّه به من ذبح ولده إسماعيل عليه السلام!

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٧].

• وها هو نبي اللَّه موسى عليه الصلاة والسلام، يجابه الطاغية الذي يَذبح الأبناء ويستحيي النساء ويسخر الرِّجال، يجابه فرعون المتكبر الذي بلغ به

كبره إلى أن يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النزعات: ٢٤].

وبلغت به سفاهته إلى أن يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

● يجابهه موسى عليه الصلاة والسلام بكل قوة وبكل حزم، وبالرفق واللين أيضًا كما قال تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: ٤٤ ـ ٤٧].

● وانظر إلى طريقته في الخطاب مع فرعون في أول الأمر وفي نهايته: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦ ـ ٢٨].

● فانظر إلى خطابه مع فرعون وشجاعته مع فرعون وقوته في الحديث مع فرعون!!

● بل انظر إلى ما هو أقوى من هذا الموقف وهذا الرد لما قال له فرعون:

﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

فحقًا إنها جرأة في الخطاب وشجاعة في المواجهة!!

مع الرفق واللين والثبات واليقين!!

- وانظر إلى شجاعة أتباعه من السحرة بعد أن منَّ اللَّه عليهم بالهداية والإيمان.

- انظر إلى ثباتهم وفرعون الطاغية يتهددهم ويتوعدهم بقوله: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١].

فماذا قالوا؟ وبماذا أجابوا؟! ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٢ - ٧٦].

- وانظر إلى قولهم في سورة الشعراء: ﴿لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥٠، ٥١].

فحقًا إنها شجاعة، شجاعة من أتباع الرسل، وشجاعة من المؤمنين بالرسل، شجاعة من المصدقين بوعد اللَّه!!

● انظر إلى شجاعة موسى عليه السلام وهو يقول لقومه من بني إسرائيل: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢١ - ٢٥].

● أما عيسى عليه السلام، فها هو يوشك أن ينزل من السماء يقتل الدَّجال[١] ويقتل الخنزير ويكسر الصليب[٢].

● وقد أثنى اللَّه سبحانه على عموم أنبيائه بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

● وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وقد أثنى نبينا محمد ﷺ على نبي اللَّه داود عليه السلام، فقال: «ولا يفرُّ إذا لاقى»[٣].

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (حديث ٢١٣٧).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (حديث ٣٤٤٨)، ومسلم (حديث ١٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٩٧٧)، ومسلم (ص ٨١٥) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

● أما نبيُّنا محمد ﷺ فكان أشجع الناس عليه الصلاة والسلام:

● أخرج البخـاري ومسلم[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه، قـال: كان النـبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشـجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناسَ إلى الصوت وهـو يقول: «**لم تراعوا لـم تراعوا**» ، وهو على فرس لأبـي طلحة عري ما عليه سرجٌ في عنقه سيف فقال: «**لقد وجدته بحراً أو إنه لبحر**»[٢] .

● وقال البـراء بن عازب[٣] رضي اللَّه عنهما: «كنا واللَّه إذا احـمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يُحاذي به - يعني النبي ﷺ».

● ونحوه عند أحمد من حديث عليّ رضي اللَّه عنه، قال: «كنا إذا احمر البأس ولقي القومُ القـومَ اتقينا برسول اللَّه ﷺ فمـا يكون منَّا أحد أدنى من القوم منه»[٤] .

كان ﷺ شجاعًا في أقواله فصدع بالحق وبقول: «لا إله إلا اللَّه» في وسط كافر مشرك يعبد الأوثان ويعظم الأصنام!!

وناله في سبـيل اللَّه ما ناله وهو صابر مقـدام شجاع يحتـسب الأجر عند اللَّه في كل شيء أصابه ولا يخشى في اللَّه لومة لائم.

وجاءت شريعتـه السمحة السهلة اليسيـرة مع سماحتها وسهـولتها ويسرها تأمر بهذه الخصلة الطيبة وتحث عليها وتحذر من الفرار أيما تحذير!!

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٧).
(٢) أي وجدت الفرس واسع الخطى سريع الجري.
(٣) أخرجه مسلم (ص١٤٠١).
(٤) أحمد «المسند» (١/١٥٦).

• قال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

• وعدَّ النبي ﷺ التولي يوم الزحف من الموبقات[١].

• وقال تعـالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الأحزاب: ١٦].

• وقال تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا.

وكـان صلوات اللَّه وسلامـه عليه دائم الـتعـوذ من الجُبن، يتعـوذ باللَّه من الجبن في جملة مواطن:

• فـفي «الصحـيح»[٢] من طريق مصعب بن سعد قـال: كان سعد يأمر بخمس، وذكرهن عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن: «**اللَّهم إني أعوذ بك من البخـل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بـك أن أرد إلى أرذل العُمُر، وأعـوذ بك من فتنة الدنيا** - يعني فتنة الدجال - **وأعوذ بك من عذاب القبر**».

• وأخرج البـخاري [٣] من حديث جبيـر بن مطعم أنه بينما هو يسير مع

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٧٦٦)، ومسلم (حديث ٨٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قـال رسول اللَّه ﷺ «اجتنبوا السبع الموبقـات»، قالوا: ما هنَّ؟ قال: «الشرك باللَّه، والسحـر، وقتل النفس التي حـرم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليـتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٧٤).

(٣) البخاري (حديث ٢٨٢١).

رسول اللَّه ومعه الناس مقـفلة من حنين فعلِقَتِ الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال: «**أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا**».

● وفي «الصحـيحين»[1] من حديث أنس بن مـالك رضي اللَّه عنه قال: كان رسـول اللَّه ﷺ يقـول: «**اللهم إني أعـوذ بك من العجـز والكسل والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات**».

وهكذا تعلم منه أصحابه الشجاعـة، واقتبس منه أصحابه الإقدام: وها هي بعض مواقفهم في ذلك:

ها هو أنس بن النضر وهذا طرف من شجاعته:

● أخرج البخاري ومسلم [2] من حديث أنس رضي اللَّه عنه، قال: غاب عمِّي أنس بن النضر عن قـتال بدر فقال: يا رسول اللَّه، غـبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن اللَّهُ أشهدني قتال المشركين ليرين اللَّه ما أصنع فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلـمون قال: اللهم إني أعـتذر إليك مما صنع، هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعـد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحُد، قال سـعد: فما استطعت يا رسـول اللَّه ما صنع، قال أنس: فـوجدنا به بضـعًا وثمـانين ضربة بالـسيف أو طعنة برمح أو رمـية بسـهم، ووجدناه قد قُتِلَ وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أُختُه ببنانه.

قال أنس: كنَّا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ

(١) البخاري (حديث ٢٨٢٣)، ومسلم (حديث ٢٧٠٦).

(٢) البخاري (حديث ٢٨٠٥)، وانظر أيضًا «مسلم» (حديث ١٩٠٣).

الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وها هو جعفر، وهذا شيء من شجاعته:

● أخـرج البخـاري [١] من حديث عـبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهـما، قال: أمَّر رسول اللَّه ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن قُتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد اللَّه بن رواحة**» قال عبد اللَّه: كنت في تلك الغزوة فالتـمسنا جعفر بن أبي طالب فوجـدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية.

● وفي روايـة[٢] عن ابن عمر أيضًا في «صحيح البخاري» أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين[٣] بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دُبُرِه - يعني في ظهره.

أما سيف اللَّه خالد بن الوليد:

فأذكر فقط قوله الـذي أخرجه البخاري[٤] : لقـد انقطـعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية.

وشجاعته رضي اللَّه عنه لا يأتي عليها الحصر.

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٦١).

(٢) البخاري (حديث ٤٢٦٠).

(٣) الذي يظهـر لي من الاختـلاف في العدد أنـه عدَّ مـرتين ففي المرة الأولى اعـتدَّ ببـعض الضربات في التعداد، وفي المرة الثانية لم يعتد بها أو العكس، واللَّه أعلم.

(٤) البخاري (حديث ٤٢٦٥).

• وذكر بعض أهل العلم أن النصر الذي أحرزه خالد بن الوليد رضي اللَّه عنه يوم مؤتة، والفتح المذكور في حديث النبي ﷺ حيث قال: «**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفرٌ فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف اللَّه حتى فتح اللَّه عليهم**»[١] .

هذا الفتح ذكر بعض أهل العلم أنه انحياز خالد بالجيش بحكمة وذكاء وحفظًا لماء الوجه[٢] .

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٦٣) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى في «فتح الباري» (٧/ ٥١٣):

واختلف أهل النقل في المراد بقوله حتى فتح اللَّه عليه هل كان هناك قتال فيه هزيمة للمشركين، أو المراد بالفتح انحيازه بالمسلمين حتى رجعوا سالمين؟

ففي رواية ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن عروة: فحاز خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه، ثم انصرف بالناس، وهذا يدل على الأول، ويؤيده ما تقدم من بلاغ سعيد ابن أبي هلال في الحديث الأول.

وذكر ابن سعد عن أبي عامر: أن المسلمين انهزموا لما قتل عبد اللَّه بن رواحة حتى لم أر اثنين جميعًا، ثم اجتمعوا على خالد.

وعند الواقدي من طريق عبد اللَّه بن الحارث بن فضيل عن أبيه قال: لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة، وميمنته ميسرة، فأنكر العدو حالهم وقالوا: جاءهم مددٌ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين.

وعنده من حديث جابر قال: أصيب بمؤتة ناسٌ من المشركين وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين.

وفي مغازي أبي الأسود عن عروة: «فحمل خالد على الروم فهزمهم»، وهذا يدل على الثاني أو يمكن الجمع بأن يكونوا هزموا جانبًا من المشركين وخشي خالد أن يتكاثر الكفار عليهم، فقد قيل: إنهم كانوا أكثر من مائة ألف فانحاز بهم حتى رجع بهم إلى المدينة.

وهذا السند وإن كان ضعيفًا من جهة الانقطاع والآخر من جهة ابن لهيعة الراوي عن أبي الأسود، وكذلك الواقدي، فقد وقع في «المغازي» لموسى بن عقبة ـ وهي أصح المغازي كما تقدم ـ ما نصه: ثم أخذه ـ يعني اللواء ـ عبد اللَّه بن رواحة فقتل، ثم اصطلح المسلمون على خالد ابن الوليد فهزم اللَّه العدو وأظهر المسلمين.

وهذا أبو دجانة رضي اللَّه عنه:

● أخرج الإمام مسلم[1] في «صحيحه» من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسـول اللَّه ﷺ أخذ سيفًـا يوم أُحُد فقال: «**من يأخـذ مني هذا؟**» فبـسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا أنا. قال: «**فمن يأخذه بحقِّه؟**» قال: فأحجم القوم، فقال سِماك بن خرَشَة أبو دجـانة: أنا آخذه بحقِّه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين.

أما ثابت بن قيس بن شماس[2] رضي اللَّه عنه:

فها هو يتحنط وينشر أكفانه بين يدي المعركة.

● أخرج الطبراني والحاكم بإسناد صحيح عن أنس رضي اللَّه عنه أن ثابت ابن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنّط ونشر أكفانه، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر مما صنع هؤلاء، فقتل.. الحديث.

وهذا هو المقداد بن الأسود: وهو ابن عامر رضي اللَّه عنه:

= قال العماد بن كثير: يمكن الجمع بأن خالدًا لما حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر كما تقدم، وتوهم العدو أنهم قد جاء لـهم مددٌ، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبـعهم ورأى الرجـوع بالمسلمين هي الغنيمة الـكبرى. ثم وجدت في «مـغازي ابن عائذ» بسند منقطع أن خالدًا لما أخـذ الراية قاتلهم قتالاً شديدًا حتى انحـاز الفريقان عن غير هزيمة، وقفل المسلـمون فمروا على طريقهم بقرية بها حـصن كانوا في ذهابهم قتلوا من المسلمين رجـلاً فحاصـروهم، حتى فـتح اللَّه عليهم عنـوة، وقتل خالد بن الـوليد مقاتلهم فسمي ذلك المكان نقيع الدم إلى اليوم.

(١) مسلم (حديث ٢٤٧٠).

(٢) الطبـراني في «المعجم الكبـير» (١٣٠٧)، والحـاكم في «المستـدرك» (٣/ ٢٣٥). وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

● أخرج الإمام أحمد [١] بإسناد صحيح عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: لقد شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون أنا صاحبه أحب إليَّ مما على الأرض من شيء، قال: أتى النبيَّ ﷺ وكان رجلاً فارسًا قال: فقال: أبشر يا نبي اللَّه، واللَّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﷺ: اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا هاهُنا قاعدون، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك حتى يفتح اللَّه عليك.

أما عمير بن الحمام رضي اللَّه عنه:

فهذا هو ، وهذا يقينه، وتلك شجاعته:

● أخرج الإمام مسلم[٢] رحمه اللَّه من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: بعث رسولُ اللَّه ﷺ بسيسة[٣]، عينًا[٤] ينظر ما صنعتْ عير أبي سفيان[٥] فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول اللَّه ﷺ قال: (لا أدري ما استثنى بعض نسائه) قال: فحدثه الحديث.

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) وأخرجه البخاري مختصرًا (٤٦٠٩)، وانظر مزيدًا من التخريج والطرق في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص ٣٢٤).

(٢) مسلم (حديث ١٩٠١).

(٣) بسيسة: قال القاضي: هكذا هو في جميع النسخ. قال: والمعروف في كتب السيرة: بَسْبَس، وهو بسبس بن عمرو، ويقال: ابن بشر من الأنصار، ومن الخزرج، ويقال: حليف لهم.

قلت (أي الإمام النووي): يجوز أن يكون أحد اللفظين اسمًا له، والآخر لقبًا.

(٤) عينًا: أي متجسسًا ورقيبًا.

(٥) عير أبي سفيان: هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره.

قال في «المشارق»: العير هي الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات. قال: ولا تسمى عيرًا إلا إذا كانت كذلك. وقال الجوهري في «الصحاح»: العير: الإبل تحمل الميرة. جمعها: عِيَرَات.

قال: فخرج رسول اللَّه ﷺ فتكلم فقال: «**إن لنا طلبة**[١] **فمن كـان ظهره**[٢] **حاضراً فليركبْ معنا**» فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم[٣] في علو المدينة، فقال: «**لا إلا من كان ظهره حاضراً**» فانطلق رسولُ اللَّه ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يقدمن أحدٌ منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**» [٤] فدنا المشركون فـقال رسول اللَّه ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» قال: يقـول عمير بن الحُـمام الأنصاري: يا رسـول اللَّه، جنة عرضُها السـموات والأرض؟ قال: «**نـعـم**» قال: بخْ بخٍ[٥] فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ**» قال: لا، واللَّه يا رسول اللَّه إلا رجاءة[٦] أن أكون من أهلها قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قَرَنه[٧] ، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحـياة طويلة! قال: فـرمى بما كان معه من التـمر، ثم قاتلهم حتى قُتل.

---

(١) طلبة: أي شيئًا نطلبه.

(٢) ظهره: الظهر الدواب التي تركب.

(٣) ظهرانهم: أي مركوباتهم.

(٤) حتى أكون أنا دونه: أي قدامه متقدمًا في ذلك الشيء. لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها.

(٥) بخ بخ: فـيه لغتـان: إسكان الخاء، وكـسرها منونًا، وهـي كلمة تطلق لتـفخـيم الأمر وتعظيمه في الخير.

(٦) إلا رجاءة: هكذا هو في أكثـر النسخ المعتمدة، رجاءة، بالمد ونصب التاء وفـي بعضها: رجاء بلا تنوين، وفي بعضها بالتنوين، وكله صحيح معروف في اللغة، ومعناه: واللَّه ما فعلته لشيء إلا رجاء أن أكون من أهلها.

(٧) قرنه: أي جعبة النشاب. (قاله النووي).

وهذا صحابي آخر جليل:

• أخرج مسلم[١] رحمه اللَّه من طريق أبي بكر بن عبد اللَّه بن قيس عن أبيه، قال: سمعت أبي، وهو بحضْرة العدوِّ يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**»[٢] فقام رجل رثّ الهيئة. فقال: يا أبا موسى، آنت سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، قال: فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأُ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه[٣] فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدوِّ فضرب به حتى قُتل.

وكذلك سائر الأصحاب الأبطال المغاوير: كحمزة أسد اللَّه وعليٍّ وطلحة والزبير وسعد وغيرِهم وغيرهم، سيرهم كلها مليئة بالشجاعة ومليئة بالبطولة ومليئة بالرجولة والإقدام.

* * *

(١) مسلم (حديث ١٩٠٢).

(٢) قال النووي: قال العلماء: معناه: إن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها.

(٣) الجفن: هنا هو الغمد الذي يوضع فيه السيف.

• ولكن على المرء أن يعرف قوته وقوة خصومه

وينظر متى يُقبل ومتى يتوقف عن الإقبال •

فصحيحٌ أن الشجاعة محمودة، ولكن الشجاعة لا تقتضي المواجهة في كل الأحوال، فقد يكون التأخر للتفكير وللاستعداد وللانقضاض وللتحرف للقتال أولى في كثير من الأحيان.

بل وقد يكون العفو أولى وأولى.

والإقدام في موطن يحتاج إلى تريثٍ وتأنٍ قد يكون نوعًا من التهور والطيش والإلقاء باليد إلى التهلكة!

وكذلك التأخر في موطن يحتاج إلى إقدام قد يُعدُّ نوعًا من الجبن والخذلان!! بل قد يُطمع فيك عدوَّك ويجعل للفاسق عليك سبيلاً.

• وقد قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٤٠].

• وقال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقد قال بعض العلماء في تفسير قول موسى عليه السلام للإسرائيلي: ﴿**إنك لغوي مبين**﴾ [القصص: ١٨].

قالوا: إن معناه طائش خائب لأنك تقاتل من لا طاقة لك بقتاله.

فقد كان الإسرائيلي بالأمس يقاتل رجلاً من آل فرعون، والملك في البلاد آنذاك للفراعنة والقوة بأيديهم، بعد اللَّه سبحانه وتعالى.

فقد كان الفراعنة يذبحون الأبناء ويستحيون النساء ويسومون الإسرائيليين سوء العذاب، ومع هذه الحال من الضعف الذي يعيشه الإسرائيليون يقاتل الإسرائيلي رجلاً قبطيًا من آل فرعون!!! ثم يستغيث الإسرائيلي بموسى ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

ولكن ما هو إلا أن مضى يوم وإذا بالإسرائيلي يقاتل قبطيًا آخر ويستصرخ موسى، ويطلب من موسى النصرة! فحينئذ قال له موسى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٨].

أي: طائش خائب لكونك تتعرض لقتال من لا طاقة لك به وبقتاله!!

ومعنى قريب في قول الله تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

ونفس المعنى في قول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١].

ومن هذا الباب: حَفْرُ رسول الله ﷺ للخندق، فلو كان في مواجهة هذه الجيوش الجرارة - جيوش الأحزاب المتدفقة على مدينة رسول الله ﷺ - خير لواجههم رسولُ الله، ولكن لما كان عدد المسلمين لا يكاد يُذكر أمام هذه الجيوش الجرَّارة، أشير على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، فقام عليه الصلاة والسلام هو وأصحابُه رضي الله عنهم بحفر الخندق، والاستعداد من وراء الخندق!!

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله يرى النبيَّ ﷺ ينهال عليه القرشيون بالأذى ولا يستطيع أن يُحرك ساكنًا، ولو حرَّك ساكنًا لقُتِلَ!

فابن مسعود موقفه في القرشيين ضعيف!!

• أخرج مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه قال: فيَّ نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال: نزلتْ في ستةٍ أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء؟!!

• وفي رواية أخرى عند مسلم[1] أيضًا عن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا.

قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أُسمِّيهما فوقع في نفس رسول اللَّه ﷺ ما شاء اللَّه أن يقع! فحدَّث نفسه فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

ثم إن ابن مسعود ضعيف في بدنه، لا طاقة له بقتال هؤلاء الجبابرة.

• أخرج الإمام أحمد رحمه اللَّه في «مسنده»[2] بإسناد صحيح بمجموع طرقه عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان

---

(١) مسلم (حديث ٢٤١٣).

(٢) أحمد «المسند» (١/ ٤٢٠ - ٤٢١)، انظر شواهده في «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» «تاليفي ص ٢٣٢».

دقيق الساقين فجعلت الرِّيح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«مم تضحكون؟»** قالوا: يا نبي اللَّه من دقة ساقيه.

فقال: **«والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد»**.

● أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: بينما رسول اللَّه ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جَزُور[2] بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلا[3] جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم[4] فأخذه فلما سجد النبيُّ ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا[5]، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة[6] طرحته عن ظهر رسول اللَّه ﷺ! والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٠)، ومسلم (حديث ١٧٩٤).

(٢) جزور: أي ناقة.

(٣) سلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الآدمية المشيمة.

(٤) فانبعث أشقى القوم: أي بعثته نفسُه الخبيثة من دونهم فأسرع السير وهو عقبة بن أبي مُعيط، كما صرَّح به في الرواية الثانية.

(٥) فاستضحكوا: أي حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية ثم أخذهم الضحك جدًا، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض من كثرة الضحك.

(٦) لو كانت لي منعة: هي بفتح النون، وحكي إسكانها وهو شاذ ضعيف، ومعناه: لو كان لي قوة تمنع أذاهم، أو كان لي عشيرة بمكة تمنعني.

وعلى هذا، منعة جمع مانع. ككاتب وكتبة.

قال الفيومي: هو في منعة، أي في عزّ قومه فلا يقدر عليه من يريده.

قال الزمخشري: وهي مصدر مثل الأنفة والعظمة، أو جمع مانع وهم العشيرة والحماة.

فاطمة فـجاءت - وهي جويرية -[١] فطرحتْه عنه ثم أقبلت عليـهم تشتمهم[٢] فلما قـضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليـهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل[٣] ثلاثًا ثم قال: «**اللَّهم، عليك بقـريش**» ثلاث مرَّات، فلما سمـعوا صوتَه ذهب عنهم الضحك وخافـوا دعوته، ثم قال: «**اللـهـم عليك بأبي جهل بن هشام...**» .

ويختلف الحال بالنسبة لأبي بكر رضي اللَّه عنه:

فأبو بكر رجل من قريش ومن قبيلة لها وضعها من قريش، فمركزه أقوى من مركـز ابن مسعـود في أوساط القرشـيين، هذا كله فضـلاً عن قوة إيمانه وكونه صـدِّيقًا، فـمن ثم تقدم للدفـاع عن رسول اللَّه ﷺ، والمسلـمـــون مستضعفون بمكة.

● أخرج البخاري[٤] من طريق عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخْبِرْني بأشدِّ شيء صنعه المشركون بالنبيِّ ﷺ. قال: بينا النبيُّ ﷺ يصلي في حِجـر الكعبة، إذ أقبل عقـبة بن أبي مُعيط فـوضع ثوبه في عنقه فخنقـه خنقًا شديدًا ، فأقـبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفـعه عن النبي ﷺ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي اللَّه.

وهذا عمرو بن عبسة رضي اللَّه عنه:

يأتي الـنبيَّ ﷺ مسلمًا فـينصحه النبيُّ ﷺ أن يرجع إلى أهله حـتى يسمع

---

(١) جويرية: هو تصغير جارية، بمعنى شابة، يعني: أنها إذ ذاك ليست بكبيرة.

(٢) تشتمهم: الشتم وصف الرجل بما فيه إزراء ونقص.

(٣) وإذا سأل: هو الدعاء لكن عطفه لاختلاف اللفظ توكيدًا. (نووي).

(٤) البخاري (حديث ٣٨٥٦).

بظهور النبيِّ ﷺ فحينئذ يأتي:

• أخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي اللَّه عنه، قال:

كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول اللَّه ﷺ مستخفيًا، جُرءاءُ عليه قومه، فتلطَّفتُ عليه حتى دخلت بمكة.

فقلت له: ما أنت؟

قال: «**أنا نبيٌّ**».

فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «**أرسلني اللَّه**».

فقلت: وبأي شيء أرسلك؟

قال: «**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يُوَحَّد اللَّهُ لا يُشْرَكُ به شيء**».

فقلتُ له: فمن معك على هذا؟

قال: «**حُرٌّ وعبدٌ**» (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلالٌ ممن آمن به).

فقلت: إني متبعك.

قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرتُ فأتني**».

---

(١) مسلم (حديث ٨٣٢).

قال: فذهبت إلى أهلي.

ويختلف الحال شيئًا ما بالنسبة لأبي ذر رضي اللَّه عنه:

• فأبو ذر رضي اللَّه عنه رجل جريءٌ، ومن قبيلة غِفار، وهي قبيلة كانت مشهورة بقطع الطريق، وموقعها - جغرافيًا - موقع قوي إذ هو طريق التجارة إلى الشام، وقبل هذا إيمانٌ وقر في قلب أبي ذر وفاض على لسانه فلم يستطع كتمانه.

• فانظر إلى ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، قال:

لما بلغ أبا ذر مبعثُ النبيِّ ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ يأتيه الخبرُ من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني.

فانطلق الأخُ حتى قدم وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذرٍّ فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر.

فقال: ما شفيتني مما أردت، فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبيَّ ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فرآه عليٌّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح.

ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ

(١) البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

حتى أمسى فعـاد إلى مضجعه، فمرَّ به عليٌّ فـقال: أما نال للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد عليٌّ مثل ذلك فأقام معه.

ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟.

قال: إن أعطيتني عـهـدًا وميثـاقًا لترشـدني فـعلت ففعل، فأخبره قال: فإنـه حـق، وهـو رسـول اللَّه ﷺ فـإذا أصبحـت فاتبعني، فإني إن رأيت شيـئًا أخاف عليك قـمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فـاتبعني حتى تدخل مدخلي.

ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه، فـقـال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فـأخبرهـم حتى يأتيك أمري».

قـال: والـذي نفسي بيـده لأصـرخـن بها[1] بين ظهرانيـهم فـخـرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشـهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمـدًا رسول اللَّه.

ثم قـام القـوم فـضـربـوه حـتى أوجـعـوه، وأتى العـبـاس فـأكب علـيـه قـال: ويلكـم، ألسـتم تعلمـون أنـه من غِـفـار، وأن طريـق تجـارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلهـا فضربوه وثاروا عليه فأكب العباس علـيـه.

---

(١) أي لأصرخن بـ (لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه).

وكتنزيل لهذا على واقعنا:

● فقد يكون هناك رجل ضخم الجثة قوي البنية ظالم غشوم جاهل عتل جواظ، أتى هذا الرجل الظالم فلطم شخصًا ضعيفًا لطمة وضربه ضربة، فهل ترى أن من الأولى أن يرد هذا الضعيف اللطمة باللطمة في الحال؟!

إنه إن فعل أوشك أن يُقتل.

ولأن يُلطم لطمة خير من أن يلطم عشر لطمات، فعليه حينئذ أن يُفكر بطريقة جيدة في أخذ حقه أو النظر في أمره.

● وأيضًا فقد يمرُّ أحد الفضلاء بسوق من الأسواق فيرميه بذيءٌ بكلمة أو يسبه بمسبة، فإن وقف ورد عليه مسبته، أمطره الآخر بوابل من السباب والشتائم.

فلأن يسمع كلمة واحدة فيها مسبة خير له من أن يسمع مائة كلمة ويُقذف بكل قبيح، فحينئذ ما يسعه إلا التخلق بأخلاق أهل الفضل الذين ذكرهم اللَّه بقوله: ﴿ **وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴾ [الفرقان: ٧٢].

● وبقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٣].

● وبقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ [القصص: ٥٥].

فافهم يا عبد اللَّه واعقل إن كنت تعقل.

وأيضًا فكما أن المرء عليه أن ينظر في قوته المادية وقوة خصومه، عليه

أيضًا أن ينـظر في موقفـه من نواحٍ أُخر، ألا وهو مـوقفـه مع اللَّه سبـحانه وتعالى عند الإقدام على مخاصمةٍ أو قتال.

فينظر هل هو ظالم أو مظلوم؟!

فإن كان ظالمًا فعليه فورًا أن ينسحب من مـعركته مع أخيه ويستسلم للحق ويرد المظالم إلى أهلها.

فإن المظلوم منتصر إما عاجلاً وإما آجلاً.

• قال تعالى: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً**﴾ [الإسراء: ٣٣].

• وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ [الحج: ٦٠].

• وقال تعالى في الحـديث القدسي للمظلوم: «**بعـزتي لأنصرنك ولو بعـد حين**»[1].

• وفي «الصـحـيـحين»[2]: «**اتق دعـوة المظلوم فـإنهـا ليس بـينهـا وبين اللَّه حجاب**».

وعليه أيضًا أن ينظر فـيما سيجنيـه من وراء معركته مع أخيـه هل سيجني خيرًا من وراء خصومته؟!!

أم هل سيجني ذبًا عن عرضه وعرض إخوانه؟!!

---

(١) ابن ماجه (حديث ١٧٥٢)، وإسناده حسن لشواهده.

(٢) البـخاري (مع الفـتح ٥/ ١٠٠)، ومـسلم (ص٥٠) من حديـث ابن عبـاس رضي اللَّه عنهما.

أم ما هو الحصاد الذي سيحصده؟!!

فإن كان يأمل أن يحصد حصاد خيـر ينتفع به في الدنيا والآخرة فحيهلا، وإن كان سـيجني الحصاد المر فـعليه حينئـذ أن ينتبه وأن يفـيق، واللَّه وحده المستعان.

* * *

• النصح للمسلمين •

وهذا من حق المسلم على أخيه، وقد أخذ النبي ﷺ البيعة من بعض أصحابه على النصح لكل مسلم.

• ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث جرير بن عبد اللَّه البجلي رضي اللَّه عنه قال: بايعت رسول اللَّه ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

• وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث تميم الداري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«الدين النصيحة»** قلنا: لمن؟ قال: **«للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**.

• ولما اعتدت بنو إسرائيل في السبت وتجرءوا على الصيد في اليوم الذي حرَّم اللَّه فيه عليهم الصيد، وقامت طائفة تنصح قالت طائفة: ﴿ **لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا** ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قالت الطائفة الناصحة: ﴿ **مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فماذا كان المصير؟!!

أخذ اللَّه الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون؟

وأنجى اللَّه الذين ينهون عن السوء؟

وأُهملت الطائفة الثالثة وأُهمل ذكرها، فاللَّه أعلم بها هل عُذبت أم أنها نجت؟!

---

(١) البخاري (حديث ٥٧)، ومسلم (حديث ٥٦).

(٢) مسلم (حديث ٥٥).

فجدير بكل مسلم أن يقدم النصح لإخوانه في بيعه وشرائه وعقوده وأنكحته وفي سائر أمور الدين والدنيا، ومحل هذا النصح إذا لم يكن سيرتد بفساد أكبر، أما إذا كانت النصيحة يتوقع من ورائها - توقعًا شديدًا - أنها سترتد بمفسدة أعظم على الناصح فحينئذ يتوقف الناصح عن تقديم نصحه.

وذلك لأن اللَّه لا يحب الفساد، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ**﴾ [الأعلى: ٩].

قال بعض المفسرين: أي حيث تنفع الذكرى، واللَّه أعلم.

واحرص على أن لا تجرح أخاك وقت نصحك له، فلا تنصحه في ملإٍ ولا تفضحه بل تحيَّن المكان المناسب للنصح وكذلك زمن النصح المناسب، وكذلك الحال المناسب لأخيك كي يستقبل النصح فيه، فلا تنصحه في وقت هو فيه مغضب غضبًا لا يجعله يميز من أمامه، بل تحيَّن الفرص المناسبة ووقت الهدوء التام، ثم استعن باللَّه، ووجِّه نصيحتك لأخيك، فإنها حينئذ أحرى بالقبول وأقرب إلى النفع، ثم بيِّنْ لأخيك حرصك عليه ومحبتك له ورغبتك في نفعه، وزهدك فيما عنده من دنيا[1] (إن احتيج إلى ذلك).

* * *

---

(١) فإن الناس إذا رأوا منك طمعًا فيما في أيديهم وحرصًا على دنياهم نفروا منك وزهدوا فيك وفي قولك.

ومن ثم قال تعالى: ﴿أم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون﴾ [القلم: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ [سبأ: ٤٧].

وبنحو ذلك قال عموم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

• مزيد بيان لتناسب الأخلاق مع المراقبة والإيمان •

• نعم ينبغي أن يزداد الإيمان، وأن تزداد مراقبة العبد لربه سبحانه وتعالى، وليعلم أن الرقابة حوله شديدة محكمة فليراقب هو الآخر ربه سبحانه وتعالى.

فالأخلاق تتناسب طردًا مع الإيمان باللَّه والعلم به ومراقبته، فكلما قوي الإيمان باللَّه وازدادات مراقبة العبد لربه حسن خُلقه.

وكلما ضعف الإيمان باللَّه، وغابت الخشية والمراقبة ساء الخلق، والعياذ باللَّه.

والأخلاق الحسان دليل في أكثر الأحيان على إيمان صاحبها ومراقبته لمولاه، وسوء الأخلاق دليل على قلة المراقبة وضعف اليقين.

• فهل يا ترى هذا الكذاب المخادع يراقب اللَّه ويؤمن أنه يسمع سِرَّه ونجواه؟!!

• وهل هذا الغادر اللئيم يوقن أن اللَّه يعلم ما في الصدور، ويطلع على النوايا، ويسأل عن العهود والمواثيق؟!!

• وهل ترى هذا السارق، وهو يمد يده الأثيمة لسرقة الأموال يؤمن باللَّه وهو يسرق، وهل تراه يخشى اللَّه ويتقيه؟!!

• وهل ترى هذا النمام يستحضر حديث رسول اللَّه ﷺ: **«لا يدخل الجنة نمام»**[1]؟!

(١)مسلم (حديث ١٠٥) من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

● وهل هذا المتجرئ على اليمين الفاجرة يوقن بقول النبي ﷺ: «من حلف على يمين صبرٍ يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»[1].

● وبقوله عليه الصلاة والسلام: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة»[2].

● وبقوله عليه الصلاة والسلام: «الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس»[3] ؟!

● وهل هذا الذي يُزكي نفسه ويملأ المجالس بتعديد مناقبه وبيان بطولاته يتذكر قوله تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

● وهل هذا البخيل قد أيقن بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وازداد يقينه بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ ؟! [الليل: ٥ - ٧].

● وهل هذا الذي يحب الإكثار من ثناء الناس عليه ويجعل ذلك همه وغايته يوقن بقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ؟! [النحل: ٥٣].

● وهل هذا الثرثار كثير الكلام الخائض مع الخائضين يستذكر حديث النبي الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[4] ؟!

---

(١) البخاري (٦٦٧٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، واليمين الصبر: هي التي يحبس عليها صاحبها بعد العصر حتى يحلف.

(٢) مسلم (حديث ١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (حديث ٦٦٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (حديث ٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

• وهل هو بمؤمن جيد الإيمان ذلكم الطعان اللعان الفاحش البذيء؟!! كلا، ثم كلا، ثم كلا!!!

فالإيمان باللَّه يصد عن كل قبيح ومراقبة اللَّه تصرف عن كل مكروه وسوء وخلق رديء.

• إن اللَّه سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم شخصًا طاغيًا مؤذيًا فقال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ٦ - ١٤].

نعم لو علم أن اللَّه يراه ما صنع الذي صنع ولا أقدم على الشر والفساد، ونهى العباد عن الصلاة.

نعم لو علم أن ربه يراه ما كذب ولا تولى، وما مشى بالنميمة، ولا سعى في الأرض بالفساد.

لو أدرك الشخص أن اللَّه يسمع كلامه، ويرى مقامه ما اغتاب العباد ولا تلفظ إلا بخير، ولكنه ضعف اليقين! ولكنها الغفلات!.

فلا ينفك الإيمان باللَّه ولا ينفصل أبدًا عن الأخلاق:

• فالإيمان به سبحانه ومراقبته تصد عن الكذب، والزور، والبهتان، وعن الغش، والتضليل، والتزوير، وتحمل على الصدق، والوفاء، وقول الحق.

• انظر إلى مقولة كعب بن مالك رضي اللَّه عنه لما تخلَّف عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك، ولم يكن ثمَّ سبب يدعوه إلى التخلف ولم يكن هناك

عذر يُقعده عن الغزو، اقـرأ قوله وهو يقول لرسول اللَّه ﷺ: إني واللَّـه لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سـأخرج من سخطه بعذرٍ، ولقد أعطيت جـدلاً، ولكني واللَّه لقـد علمت لئن حـدثتك اليـوم حديث كـذب ترضى به عني ليوشكـن اللَّه أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حـديث صدق تجدُ عليَّ فيه، إني لأرجو فيـه عفو اللَّه، لا واللَّه ما كان لي من عذرٍ، واللَّه ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك[1].

فما الذي حمل كعبًا على هذا الـصدق؟! إنها مراقبة اللَّه، وإنه الخوف من مقام الرب سبحانه؟!.

● وكذلك ما الذي حمل هذا الذي تأججت في قلبه نار الشهوة، واشتعل جسمه بلـهيبها، وبذل الأموال من أجلهـا على أن يترك تلك الأموال ويطفئ ذلك اللهيب، ويُصرف عن تلك الشهوة الجارفة؟ إن الذي صدَّه عن ذلك هو الإيمان باللَّه ومراقبـته له سبحانـه وتعالى وهذا الحديث ـ جـزء من حـديث أخرجه البخاري ومسلم[2] ـ وفيه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم..**» فذكر الحديث، وفيه أن أحدهم قال: «**اللَّهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عمٍّ من أحب الناس إليَّ وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق اللَّه ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة الدينار**»[3].

---

(١) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) البخاري (حديث ٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) وفي «سنن الترمذي» بإسناد ضعيف من حديث ابن عـمر رضي اللَّه عنهما قال: سمعت الـنـبـي ﷺ يقول: كـان الكفل من بني إسرائيل لا يتـورع من ذنبٍ عمله، فأتتـه امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت =

● وصاحبه في المأزق كذلك ما الذي حمله على تثمير مال أجيره حتى يمتلئ الوادي بالغنم، ثم يرد الغنم إلى الأجير، ولا رقيب آنذاك إلا اللَّه؟! ففي نفس الحديث السابق: «**قال أحدهم: اللَّهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها...**».

● وكذلك ما الذي حمل ثالثهم على القيام بباب والديه حتى بزغ الفجر، واللبن بيديه لا يشرب ولا يسقي بنيه حتى يستيقظ الأبوان الشيخان الكبيران فيشربان؟! ففي الحديث السابق أيضًا: «**فقال الآخر: اللَّهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا...**» الحديث.

إن الحامل على ذلك كله هو الإيمان باللَّه، ومراقبته سبحانه وخشيته في السر والعلن!

ففي الإيمان باللَّه والتصديق بوعده ووعيده، والاعتقاد بأنه يسمع ويرى

= فقال: ما يبكيك؟ أأكرهتك؟ قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته؟ اذهبي فهي لك، وقال: واللَّه لا أعصي اللَّه بعدها أبدًا، فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه إن اللَّه قد غفر للكفل.

تعزية للمسلم فـيما يلاقيه من جحـد الجاحدين وأذى المؤذين وظلم الظالمين. فتحمله معرفته باللَّه ومراقبته إياه ويقينه بأن اللَّه يسمع ويرى على الصبر على الناس والإعـراض عن الجـاهلين واحتـسـاب الأجـر في ذلك كله، ومن ثم جاءت آيات التسلية لرسول اللَّه ﷺ.

- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر: ٩٧].
- وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].
- وقال سبحانه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٨].

فكلهـا آيات تذكر بأن اللَّه مطلـع لا يخفى عليـه شيء، فمن ثم يتـسلى المسلم المبتلى، ويتعزى المصاب، ويستجم فؤاد الحزين!!

فـعلى المسلم في كل وقت وحين أن يتـذكر أن اللَّه يراه ويسـمعـه ويعلم أقواله وأفعاله ونواياه، فبذلك تسمو الأخلاق وتزكو النفوس.

ولذلك كثر التذكير بهذا الأصل في كتاب اللَّه في مواطن لا تكاد تحصى، في ثنايا الأحكام، وفي ثنايا القصص القرآني، وفي ثنايا الإخبار بما هو آت، في مطالع السور، وفي أوساطها، وفي أواخرها.

كثـر التذكيـر بأن اللَّه سميع، وأنه عليم، وأنه بصـير، وأنه خبـير، وأنه رقيب، وأنه قريب، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا.

وهذه كلها تشير إلى شيء وتدل عليه وتحث على مراعاته، كلها تؤكد هذا الأصل أن اللَّه يرى ويسمع ويبصر، ولا يخـفى عليه شيء، فصرِّفت الآيات وتعددت الأسـاليب وتنوعت الألفاظ حتى يعقلهـا البشر، وحتى يتـذكر من

تذكر ويتعظ من يخاف وعيد، فمن ثمَّ تصلح الأحوال وتستقيم الأخلاق.

- فانظر إلى آيات الطلاق وكيف ختمت؟؟ ختم أغلبها بما يذكرك بمراقبة اللَّه سبحانه وتعالى:

- قال تعالى: ﴿**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٧].

- وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا** . . . إلى قوله: **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٣٧].

- ويقول سبحانه: ﴿**وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾.

[البقرة: ٢٣٧]

- وفي الرضاع تختم الآية بقوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٣٣].

- وفي العِدد والإحداد تختم بقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.

[البقرة: ٢٣٤]

- وفي التعريض بخطبة النساء يقول تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ**﴾ [البقرة: ٢٣٥].

- وفي ختام آية الدَّين التي هي أطول آية: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٨٢].

- وفي التحذير من كتمان الشهادة يقول تعالى: ﴿ ...**وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٨٣].

- وفي الحث على الإنفاق والوفاء بالنذر يقول سبحانه: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن**

نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [القرة: ٢٧٠].

• ويقول تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

• وفي إبداء الصدقات أو إخفائها يقول تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ...﴾ ثم تختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

• وفي الإخلاص في الإنفاق، يقـول اللَّه سبحانه: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ...﴾ تختم الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

• وفي الإنفاق: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

• وفي بيان المواريث والفرائض في ختام سورة النساء: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

• وفي الزجر عن الغش والخداع يقول تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا ...﴾ [البقرة: ٧٦] إلى قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

فلو علموا أن اللَّه يعلم ما يسرون وما يعلنون ما خادعوا الناس.

• وفي باب اطلاع اللَّه على كـيد الكائدين، يقول يوسف عليـه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

• وفي باب الدعاء يقول زكريا عليه السلام: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

• ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

● وفي عموم الأعمال يقول تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

● ويقول: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

● ويقول: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

● ويقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وانظر إلى التذكير بهذا الأصل في جملة من أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العلى، فأخبرنا اللَّه سبحانه عن نفسه أنه سميع في جملة مواطن من كتابه العزيز:

● ففي عدة آيات يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

● ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١].

● ويقول: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

● وكذلك يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

● ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

● ويقول سبحانه لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٢٦].

● ويقول سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

● ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

● ويقول سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى

اللَّه وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

● وتقول عائشة رضي اللَّه عنها[1]: الحمد للَّه الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ إلى آخر الآية [المجادلة: ١].

ويبين سبحانه وتعالى علمه بكل شيء ويصف نفسه بالعليم:

● فيقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

● وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣].

● وبيَّن سبحانه أنه عليم بالأقوال فقال سبحانه: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [طه: ١٠٤].

● وبالأعمال فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩].

● وبالأشخاص: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

● وبالمتقلبات والمثاوي فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

● وبكيد الكائدين: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

● وبافتراء المفترين قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

● وهو سبحانه: ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، و﴿عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥]، و﴿أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]، و﴿عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥].

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٦/٤٦)، والبخاري معلقًا («مع الفتح» ١٣/٣٧٢).

- وبكل شيء في السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].
- قال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].
- وقال لقمان لولده: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

وبيَّن اللَّه سبحانه وتعالى إحاطته علمًا بكل شيء:

- فقال سبحانه: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].
- وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].
- وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧].
- وكذلك فهو سبحانه رقيب قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]
- وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

والسر والعلن، والجهر والكتمان، والغيب والشهادة كل ذلك عند اللَّه سواء:

وقد تضافرت الآيات التي توضح هذا المعنى وتثبته وتُجلِّيه؛ وذلك حتى لا يغفل عبدٌ ولا يضل ولا ينسى، فلا تكاد تجاوز سورة إلا والتي بعدها تذكر بذلك.

• قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

• وقال سبحانه: ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

[البقرة: ٧٧]

• وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾.

[آل عمران: ٢٩]

• وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

• وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ٨١].

• وقال سبحانه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

• وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

• وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [براءة: ٧٨].

• وانظر إلى قول عيسى عليه السلام لما قال اللَّه له: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

وانظر إلى هذه الآيات وتدبرها :

• قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

• وكذلك فاقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠].

• وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

• وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٧].

• وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

• وقوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ [الممتحنة: ١].

• وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

• وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

• وقوله تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٣، ١٠٤].

• وكم من آية فيها عن اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٢].

• وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٧٤].

● وقال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد:٢٦].

● وانظر إلى إقرار أهل الإيمان وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء:٤].

● وقول الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم:٣٨].

فهل بعد هذا البيان بيان؟!!

وحثنا ربنا على فعل الخير مذكرًا إيانا بالأصل السابق ألا وهو علمه بهذا الخير:

● فقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة:١٩٧].

● وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٥].

● وقال سبحانه: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٥٨].

فإذا علم العبد وأيقن أن اللَّه يراه ويعلم عمله، تشجع على فعل الخير والمعروف، فنحن معشر البشر ضعفاء نحتاج إلى تذكير، ونحن والحمد للَّه مؤمنون باللَّه مصدقون به وبوعده ووعيده، ولكن الإكثار من التذكير بعلم اللَّه بأحوالنا واطلاعه على أفعالنا وإحاطته بأخبارنا، يزيد قلوبنا طمأنينة وأفئدتنا ثباتًا.

● ألا ترى إلى الخليل إبراهيم عليه السلام وهو يقول: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[1] [البقرة:٢٦٠].

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾» [البقرة:٢٦٠].

● وكذلك فاقرأ قول الحواريين: ﴿**عيسى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾

[المائدة: ١١٢ ـ ١١٣].

● وكذلك لما كـذِّب رسول اللَّه ﷺ من قريش واشـتد أذاهم له منَّ اللَّه عليه بالإسراء ليرى عظيم قدرة اللَّه فتهـون عليه مصائب الدنيا، ويهون عليه تكذيب قومـه له، قال اللَّه سبـحانه: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء: ١].

● وتحضـرني هنا واقعـة لعدي بن حـاتم الطائي رضي اللَّه عنه مع عـمر رضي اللَّه عنه:

ففي «صحيح البخاري»[١] من حديث عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه قال: أتينا عمر في وفدٍ فجعل يدعو رجلاً رجـلاً ويسميهم، فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قـال: بلى أسلمتَ إذ كفروا[٢] وأقبلتَ إذ أدبـروا، ووفيتَ إذ غدروا، وعرفتَ إذ أنكروا، فقال عدي: فلا أبالي إذن.

فانظر إلى مقالة عدي: فلا أبالي إذن.

فلما اطمأن عدي إلى أن عمر يتذكر فضائله ولا ينساها اطمأن قلبه وسكن خاطره.

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٩٤).

(٢) قال الحافظ في «الفـتح» (٨/ ١٠٣): يشير بذلك إلى وفاء عدي بالإسلام والصـدقة بعد موت النبي ﷺ، وأنه منع من أطاعه من الردة، وذلك مشهور عند أهل العلم بالفتوح.

• فمنا ظـنك برب العالمين حـيث قال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾؟!! [البقرة:١٥٨].

• ومـا ظنك بـرب العـالمين: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ؟!! [الشعراء:٢١٨ ـ ٢١٩].

* * *

• وأخبرنا الله سبحانه أنه بصير •

• ففي عدة آيات يصف ربنا نفسه بأنه: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

• وبأنه هو: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

• ويقول سبحانه: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١].

• ويقول سبحانه: ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٥].

• ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

• ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

• ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

• ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦].

• ويقول سبحانه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

• ويقول سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

• ويقول سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

• ويقول سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

* * *

• وهو سبحانه الخبير •

• قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤].

• وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

• وقال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٨].

• وأخبر تعالى عن نفسه أنه: ﴿خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، و﴿خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨].

• وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:٩١].

والآيات في هذا كثيرة جداً وإنما فقط ذكرنا أمثلة للتنبيه والتذكير.

• وربنا لا يغفل ولا ينام قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٣٢].

• وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢].

• وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:٩٨].

وكذلك فخائنات الأعين يعلمها الله:

• ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

وانظر إلى هذه الآيات الكريمة وتدبرها و تأمل ما فيها، حتى تؤمن أن الله معك ويراك في كل وقت وحين، وأن حالك لا يخفى عليه:

• قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ

إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١].

• وكذلك فانظر إلى قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ...﴾ [هود:٥].

ولهذه الآية الكريمة سبب نزول، فقد أخرج البخاري[1] من حديث محمد ابن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ...﴾ [هود:٥]. قال: سألته عنها فقال: أُناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم.

وفي رواية[2] كان الرجل يجامع امرأته فيستحيي، أو يتخلَّى فيستحيي فنزلت: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ...﴾ [هود:٥].

• وكذلك أمعن النظر في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

• وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

• وها هي امرأة تأتي إلى رسول اللَّه ﷺ تشكو إليه حالها، وما آل إليه أمرها فتسر إليه بالحديث، وعائشة بجوارها لا تسمع، ولكن اللَّه يسمع، قال اللَّه تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١].

---

(١) البخاري: (٤٦٨١).
(٢) البخاري (٤٦٨٢).

• والرسـول ﷺ يُسر إلى بعض أزواجه بحديث فتخبر به فيطلع اللَّهُ نبيَّه ﷺ على إخبارها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

وإذا تجولت بين صفحات الكتاب العـزيز وجدت ما يؤكد هذا المعنى غاية التأكيد:

• قال تعـالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

• وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

• وقال تعـالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٨، ٩].

• وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧].

• وقال لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

فهل يليق بك بعد ذلك أن تخطو خطوة أو تتحرك حركة تعصي فيها الرب سبحانه وتعالى أو تؤذي فيها العباد؟!!

هل يليق بك بعد ذلك ـ إن كنت تؤمن باللَّه والـيوم الآخر ـ أن تفكر في شرٍّ أو تُضمر في قلبك حقدًا لأحد؟!!

هل يليق بك أن توسوس في مكروه أو تفكر في إثم أو عدوان؟!

فلذلك نؤكد أن حسن الخلق لا ينفك عن الإيمان باللَّه ومراقبته بحال من الأحوال:

نعم قد يكون هناك كافرٌ حسنَ السمت حسنَ اللقاء عنده تؤدة - وهذا جانب حسن من جوانب الأخلاق - لكنه إذا دُعي مثلاً للشهادة على حقٍّ جَارَ في شهادته وظلم، فهو آنذاك (آثم قلبه) أي فاجر قلبه.

وقد يكون هناك كافر قوالاً بالحق لكنه لا يتورع عن الفاحشة والزنا والاغتياب.

رقابات أُخر :

ولتعتقد ولتوقن كذلك أنه ثمَّ رقابات أُخر عليك بعد رقابة اللَّه سبحانه عليك.

فالملائكة تراقب، ترصد حركاتك وأقوالك وأفعالك وتسجل ذلك وتكتبه ويسطره.

- قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].
- وقال سبحانه: ﴿ **إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾ [الطارق: ٤].
- وقال سبحانه: ﴿ **وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً** ﴾ [الأنعام: ٦١].
- وقال تعالى: ﴿ **بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف: ٨٠].
- وقال سبحانه: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨].

وكذلك فجوارحك رقيبة عليك شاهدة بما صنعت:

• قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٧ - ٩].

• وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

• وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢٣].

• وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

• وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: كنان عند رسول اللَّه ﷺ فضحك، فقال: «**هل تدرون مما أضحك؟**» قال قلنا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربَّه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أُجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخلَّى بينه وبين**

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٩).

الكلام. قال: فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسحقًا، فعنكن كنت أُناضل».

فأنى للعبد بالمخالفة، وأنى له العصيان، وأنى له ظلم العباد، والرقابة حوله شديدة، والأعمال مسجلة، والأقوال مسطرة، والرب قريب وشهيد وسميع وبصير وعليم وخبير والملائكة الكرام شهود، والجوارح ناطقة بما صنع؟!!

وهل فيها رفعة لدرجاتك في الآخرة؟!

ادرس هذا جيدًا، واعقله تمامًا، افهمه على وجهه الصحيح.

واتق اللَّه في نفسك، واتق اللَّه في دماء الآخرين وأعراض الآخرين وأموال الآخرين.

* * *

• رسالة إلى مسئول •

ولا أعني بالمسئول الملك أو الرئيس أو الأمير أو الوزير أو المدير فحسب بل الكل راع، والكل مسئول عن رعيته، كما قال النبي ﷺ، فقد قال صلوات اللَّه وسلامه عليه[1]: «**ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسئولٌ عن رعيته، والرجلُ راعٍ على أهل بيته، وهو مسئولٌ عنهم، والمرأة راعيةٌ على بيت بعلها وولده، وهي مسئولةٌ عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسئولُ عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته**».

فإن كنت مسئولاً فهذه رسالتي إليك:

عليك أولاً بحمد اللَّه سبحانه وتعالى على ما منَّ به عليك وأنعم؛ إذ جعلك فوق كثيرٍ من خلقه!

فنعمةٌ من اللَّه عليك أن تكون الكلمةُ ـ بعد أمر اللَّه ـ كلمتَك، وأن تكون أنت المسئول لست بالسائل، وأن تكون أنت المعطي، ويدك هي العليا ولست بالسائل ذي اليد السفلى.

فنعمةٌ من اللَّه عليك حيث جعلك قيمًا على العباد، تَفْصلُ هذا من العمل، وتكلِّف ذاك بعملٍ، فعليك إذن بشكر نعمة اللَّه عليك وإلا سُلبت منك تلك النعم، وأصبحت مرءوسًا بعد أن كنت رئيسًا، وأصبحت الأدنى بعد أن كنت الأعلى، وأصبحت مأمورًا بعد أن كنت أميرًا، وذلك كله؛ لأن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٥٨)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

نعم لئن شكرتم ليزيدنكم اللَّه، وعـد اللَّه ولا يخلف اللَّه الميعاد، يزيدكم سعةً، يزيدكم رضًا، يزيدكم إيمانًا، وراحةً للبال.

يزيدكم رفعة في درجـاتكم في الآخرة، يزيدكم ثوابًا، يدفع عنكم بلاء، يصرف عنكم سوءًا.

﴿ **وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم: ٧] نعم عذاب اللَّه شديد للجاحد، قد تزال عنه النعـمة في الدنيا، فيصـبح يقلب يديه على ما أنفق فيـها، وقد رآها خاوية على عروشها!

نعم قـد تزال عنه الرياسـة ويصبـح مرءوسًـا، ويزول عنه الملك ويصـبح مملوكًا، وبعد أن كانت يده العليا تصبح يده هي السفلى، وللَّه الأمر من قبل ومن بعد، وقـد تكون النعمة بين يديه ولكن لا أثر لها في قـلبه، ولا صدًى لها في فـؤاده، قد تكون النعـمة التي بين يديه وبالاً عليـه، يكون المال بيده وهو مهموم مغموم بهـذا المال، خائف عليه، حذرٌ من طمع الناس فيه، ينام مضطرب الفؤاد حيرانًا.

وأبشع من ذلك وأدهى وأمر: هـو العذاب الشديد المدخـر في الآخرة لمن لم يشكر النعم، ولمن لم يقر بفضل اللَّه عليه!! فعلينا إذًا بالشكر.

● ألا ترى أن موسى الكليم عليه الصلاة والسـلام يقول لقومه: ﴿ **يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٠].

فها هو يحثهم على شكر نعمة اللَّه.

● وها هو سليمان النبي الكريم لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده قال:

﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].

• وها هو أيضًا عليه السلام يقول لما أفهمه اللَّه لغة النمل: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

واعلم أن ما أنت فيه من منصب وجاه إنما هو فتنة لك، فإن اللَّه سبحانه وتعالى جعل بعض الناس فتنة لبعض: فالراعي فتنة للرعية، والرعية فتنة للراعي، والقوي فتنةٌ للضعيف، والضعيف فتنة للقوي، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والجميل فتنة للدميم، والدميم فتنة للجميل، والكل مبتلى بالآخر، ومفتونٌ به.

• كما قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ [الفرقان: ٢٠].

• وكما قال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣].

• وكما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩].

• وقال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

• وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فإذا علمت ذلك فاتق اللَّه في منصبك، واتق اللَّه فيمن هم تحت يديك، واتق اللَّه في نفسك.

● وتذكر أنك حتمًا مفارقٌ لمنصبك وتارك له، إنْ عاجلاً أو آجلاً بالموت أو بغيره قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٩٤].

فعليك بتذكر ذلك، وتذكر أن غيرك ممن قد ماتوا وفارقوا هذه الحياة، تقلدوا منصبًا أعظم من منصبك في دنياهم، فأين أنت من قارون وفرعون وهامان؟! وأين أنت أيضًا من أنبياء اللَّه عليهم الصلاة والسلام؟!

فاعمل ليوم تفارق فيه هذا المنصب، ويزول عنك ملكك، كما قد زال عن غيرك.

وتذكر قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٩٤].

● وتذكر قول اللَّه تعالى: ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** ﴾ [التكاثر: ١، ٢].

● وتذكر قول اللَّه تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد: ٢٠].

• ثم تذكر حديث رسول اللَّه ﷺ الذي رواه مسلم من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال[١] : قال رسول اللَّه ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة**[٢] ، **ثم يُقال: يا بن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا واللَّه يارب! ويؤتى بأشد الناس بؤسًا**[٣] **في الدنيا من أهل الجنة، فَيُصبَغُ صبغةً في الجنة، فَيُقالُ له: يا بن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا واللَّه يا رب! ما مر بي بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط**».

* * *

(١) مسلم (حديث ٢٨٠٧).
(٢) يصبغ صبغة: أي: يغمس غمسة.
(٣) بؤسًا: أي: شدةً.

• صفات يتحلى بها المسئول •

وعلى المسئول أن يتحلى بهذه الصفات :

تقوى اللَّه والورع :

عليه أن يتحلى بتقوى اللَّه وبالورع فَهُما مفتاح كل خير، والمخرج من كل فتنة، ثم هما مجلبة للأرزاق وتفريج للكرب، ورفعة في الدرجات وحط للخطيئات، ومجلبة لحب الخالق والخلق.

• قال اللَّه سبحانه: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

• وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٤].

• وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**﴾ [الطلاق: ٥].

• وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ**﴾ [الأنفال: ٢٩].

القيام بالعدل والقسط بين الرعية :

فعليه أن يقوم بين الناس بالقسط: فالإمام العادل من السبعة الذين يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله[1] كما قال رسول اللَّه ﷺ.

• وقال النبي ﷺ[2] : «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا**».

(١) أخرجه البخاري (حديث١٤٢٣)، ومسلم (حديث١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...».

(٢) مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

● وفي «مسند الإمام أحمد»[١] بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك، إلا أتى اللَّهَ عز وجل مغلولاً يوم القيامة يَدُه إلى عنقه، فَكَّهُ بِرُّهُ، أو أوبقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزيٌ يوم القيامة»**.

وينبغي أن يتسم المسئول بالشجاعة والنجدة والكرم والشهامة وجميل الأخلاق:

فهل يليق بأبٍ في بيته، وقد سمع فزعًا في البيت أن يقول لزوجته: اذهبي فانظري ماذا يحدث؟!! إنه إن فعل استقر في ذهن امرأته عنه أن به جبنًا، ولكن ليكن هو الأسبق، وليكن هو الأسرع إلى مكان الفزع.

● وفي «الصحيح»[٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلةً فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرسٍ لأبي طلحة عُري، وفي عنقه السيف وهو يقول: **«لم تراعوا، لم تراعوا»**، ثم قال: **«وجدناه بحرًا»**[٣] أو قال: **«إنه لبحر»**.

● وفي «الصحيح» أيضًا يقول الصحابة: «كنا إذا احمر البأس، ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول اللَّه ﷺ»[٤].

---

(١) أحمد (٥/ ٢٦٧).

(٢) البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٣) أي: وجدنا الفرس سريعًا.

(٤) أحمد (١/ ١٥٦) من حديث علي رضي اللَّه عنه مرفوعًا، ونحوه عند مسلم (ص١٤٠١) من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال: «كنا واللَّه إذا احمر البأس نتقي به..».

وعليك أيها المسئول بالرفق واللين :

● وذلك لأن النبي ﷺ قد قال: «**اللَّهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»[١].

فالأصل في المعاملات مع الرعية هو الرفق بهم ورحمتهم.

● وقد قال اللَّه تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

● وقد قال النبي ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[٢].

ولا يُعدل عن الرفق إلى الشدة إلا إذا لم يُجْدِ الرفقُ، وعدم جدواه في الغالب يكون مع قوم يحتاجون إلى شدة لتأديبهم وزجرهم، فحينئذ يستعمل مع هؤلاء ما هو لائقٌ بهم كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ [الحديد: ٢٥].

فمن لم يُجْدِ معه الكتاب والميزان، ومن لم تصلح معه البينات وتُصلحه المواعظ، فالحديد له رادع، والشدة له دواءٌ[٣].

---

(١) مسلم (حديث ١٨٢٨) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٩٤).

(٣) وقد قدمنا بابًا في ذلك آنفًا.

وانظر إلى الرفق واللين والحزم والصَّرامة في آن واحد في قول الصديق يوسف ﷺ لإخوته: ﴿**ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ**﴾ [يوسف: ٥٩ - ٦٠]، فانظر إلى قوله: ﴿**أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾ [يوسف:٥٩]، وقوله: ﴿**فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ**﴾ [يوسف: ٦٠].

الصبر وتحمل الأذى:

● **فعلى كل راعٍ أن يتحلى بالصبر وتحمل الأذى**: وذلك لأنه إذا خالف الرعية في شيء مما يهوونه فكثير منهم لا يرضى بالمخالفة فيتجه للطعن والغمز واللمز، إذا لم تُمضَ شهوته وتتحققْ رغبته.

فيجد المسئول نفسه بين أمرين: إما أن يمضي لهذا المفتري شهوته ورغبته! وإما أن يقوم بالقسط ويعمل بما يقتضيه الصالح العام؛ فعليه حينئذ أن يقوم بالقسط ويفعل ما يقربه إلى ربه سبحانه وتعالى.

وقد أوذي أنبياء اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليهم الذين هم أفضل الخلق وأعدل الخلق بأنواع من الأذى:

● قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾ [التوبة: ٥٨].

● وعليه أن يستعين بالصبر والصلاة؛ فإن اللَّه سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾ [البقرة: ١٥٣].

● وقال اللَّه لنبيه ﷺ: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨].

• وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا...﴾ [طه: ١٣٠].

ففي الصلاة عون كبير على ما يواجه المسئول من مشاكل، وفي دعاء الرب سبحانه وتعالى تفريج لكل كُربة، ورفع لكل غُمة، والمستعان هو اللَّه سبحانه.

وما أحوجك أيها المسئول إلى الخلق الحسن، والطيب من القول، والبشاشة في الوجوه:

فهذه أسباب تجلب لك محبة الخلق ومحبة الخالق، ومن ثمَّ تستقيم لك أعمالك، فقد توقع جزاءً على بعض العمال وأنت تبتسم وتبين له خطأه فيتقبل ذلك منك بارتياح ويصحح خطأه، وعلى النقيض قد تكرم شخصًا وتغدق عليه بالأموال، مصحوبًا بجبين مقطب ووجهٍ مكفهرٍ وكلمات لاذعة مؤذية، فيأخذ منك المال ويتسخط عليك، ويدعو عليك بعدم البركة، وقد قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

الحلم والأناة:

وعليك بالحلم والأناة، فإنهما صفتان يحبهما اللَّه عز وجل كما قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس.

أما الأناة: فهي التأني في الأمور والقرارات، وعدم التسرع في شيء من ذلك.

وأما الحلم: فهو ترك المعاجلة بالعقوبة، بل تَمَهَّلْ وتَرَيَّثْ وتَثَبَّتْ، وإن رأيت الأمر يحتاج بعد ذلك إلى عفوٍ فعليك به، وإن رأيته يحتاج إلى عقوبة فأنزلها بقدرها ولا تتعداها بالزيادة.

• وقد أثنى اللَّه عـلى خليله إبراهيم عليه السـلام بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

وعلى المسئول أن يُيَسِّر ولا يُعَسِّر:

• وبهذا أوصى النبي ﷺ أصحابه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا مُعسِّرين**»(١).

• وأوصى صلوات اللَّه وسـلامه عليه أبا مـوسى ومعاذًا لما بـعثهـما إلى اليمن فقال: «**يسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»(٢).

• وفي «الصحـيحين» أيضًا من حـديث أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وسكِّنوا ولا تنفروا**»(٣).

• والرسـول ﷺ ما خيِّر بين أمرين إلا اختـار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه(٤).

• وفي «صحـيح مسلم» من حـديث جابر رضي اللَّه عنـه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّه لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني مُعلمًا ميسرًا**»(٥).

---

(١) أخرج البـخاري (حديث ٢٢٠) من حـديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قـام أعرابيٌّ فبال في المسجـد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، وهريقوا علـى بوله سجلاً من ماء - أو ذنوبًا من ماء - فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا مُعسرين».

(٢) البخاري (حديث ٦١٢٤)، ومسلم (١٧٣٣) من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه.

(٣) البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤).

(٤) البخاري (١٦٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

(٥) مسلم (حديث ١٤٧٨).

وعليك بإكرام العشيرة :

فكم من شخصٍ يتنكر لعشيرته بعد أن يتقلد منصبًا، وكم من شخص يُفني أبوه عمره من أجله، فيعلمه ويرقيه في المناصب، ثم إذا تقلد منصبًا تنكر لأبويه ولعشيرته واستكبر عليهم واستعلى، بل ويستحيي أن يذكر أن أباه فلان.

فأين هذا من يوسف الصديق؟ فبعد أن جعله اللَّه على خزائن الأرض، إذا به يستقبل أبويه وإخوته بحفاوة بالغة كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي** ﴾ [يوسف: ٩٩ - ١٠٠].

واتق ذميم الصفات ، ومن ذلك الكذب :

فالمسئول لا يكون كذابًا.

«**فالكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند اللَّه كذابًا**»[1]، كما قال النبي ﷺ.

وكلما عظم منصبك عظم إثم كذبك، فالملك الكذاب لا ينظر اللَّه إليه يوم القيامة، ولا يزكيه، ولا يكلمه، وله عذاب أليم، كما جاء عن رسول اللَّه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللَّه كذابًا».

ﷺ[1]، والذي يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق، يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، كما جاء عن رسول اللَّه ﷺ[2]، ثم إنه بكذبه على الرعية يسقط من أنظارهم ويقابلونه بالازدراء والاحتقار.

ولا يكون المسؤول جبانًا كذلك:

فالجبن خصلة ذميمة، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من الجبن، ففي «الصحيح»[3] من طريق مصعب بن سعد قال: كان سعد يأمر بخمسٍ ويذكرهن عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن: **«اللَّهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا** - يعني فتنة الدجال - **وأعوذ بك من عذاب القبر»**.

وأيضًا فليبتعد المسؤول عن البخل والشح:

فمن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من

---

(١) عند مسلم (١٠٧)، قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة. ولا يزكيهم (ولا ينظر إليهم)، ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا؟» قال: فيقص عليه ما شاء اللَّه أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي: انطلق انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجلٍ مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة... فذكر الحديث وفيه: فانطلقنا فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه - وفي رواية: فيشق - ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى».

البخل[١]، وفي «صحيح مسلم»[٢] من حديث عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: قسم رسول اللَّه ﷺ قسمًا فقلت: واللَّه يا رسول اللَّه لغير هؤلاء كان أحق به منهم، قال: «**إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش، أو يبخّلوني فلست بباخل**».

وهذا إثم الوالي الغشاش:

- في «صحيح البخاري»[٣] من طريق الحسن أن عبيد اللَّه بن زياد[٤] عادَ معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: إني محدثك حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من عبدٍ يسترعيه اللَّه رعيةً، فلم يَحُطها بنصحه، لم يجد رائحة الجنة**».

- وفي رواية: «**ما من والٍ يلي رعيةً من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرَّم اللَّه عليه الجنة**»[٥].

وسيد القوم لا يكون بخيلاً:

- أخرج البخاري في «الأدب المفرد»[٦] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من سيدكم يا بني سلمة؟**» قلنا: جدُّ

---

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٧٤).

(١) انظر الحديث المتقدم.

(٢) مسلم (حديث ١٠٥٦).

(٣) البخاري (حديث ٧١٥٠)، ومسلم (ص١٢٥ ـ ١٢٦).

(٤) عبيد اللَّه بن زياد: هو أمير البصرة في زمن معاوية وولده يزيد.

(٥) عند البخاري (١٧٥١)، ومسلم (حديث ١٤٢).

(٦) البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦) وإسناد حسن لشواهده، وقد ذُكِرَتْ له شواهد في حاشية «الأدب المفرد» للبخاري (١/ ٣٩٥) فراجعها إن شئت. وتقدم أيضا أن أبا بكر رضي اللَّه عنه قال: «وأي داءٍ أدوى من البخل؟!».

بن قيس على أنا نُبخِّله، قال: «**وأي داءٍ أدوى من البخل؟! بل سيدكم عمرو بن الجموح**» وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية وكان يُولم عن رسول الله ﷺ إذا تزوَّج.

وإياك أن تكون من الذين قال اللَّه فيهم:

﴿**وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦].

• معاملات الراعي مع الرعية •

بطانة الخير:

وعليك أيها الراعي ببطانة الخير لا تفارقها ولا تتخلَ عنها، وإياك وبطانة السوء.

وبطانة الرجل: أهل مشورته، وأهل سره، وهم دخلاؤه في أموره، فلا ينبغي أن يكون هؤلاء إلا من أهل الخير والصلاح.

● قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

فمعنى الآية الكريمة - واللَّه أعلم بمراده - يا من آمنتم باللَّه وصدقتم به وبوعده وبوعيده، وأقررتم بشرعه، وآمنتم برسله، لا تتخذوا مستشاريكم وخاصتكم قومًا من غيركم، فإن هؤلاء إذا كانوا من غيركم، من اليهود أو النصارى أو أهل الشرك لا يقصرون في إغوائكم وإضلالكم وصرفكم عن

الحق، ويرغبون دائمًا في حلول المشقة بكم ونزول المصائب عليكم، ثم إن البغضاء تظهر من أفواههم تجاهكم، والكلمات التي تحمل معانى الكراهية تخرج من أفواههم وتبدو على شفاههم، وما تخفيه صدورهم أكبر مما تتلفظ به أفواههم.

• هذا وقد قال النبي ﷺ[1] : «**ما بعث اللَّه من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه وبطانة تأمره بالشَّر وتحضُّه عليه، فالمعصوم من عصم اللَّهُ تعالى**».

• هذا وقد كانت بطانة رسول اللَّه ﷺ أفاضل أصحابه كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي اللَّه عنهم أجمعين فكان كثيرًا ما يقول: «**خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر**».

• وقد دخل عليه أبو بكر وعمر وعثمان مرارًا، أما علي فهو ابن عمه وزوج ابنته ومشورة رسول اللَّه له ودخول الرسول ﷺ عليه ودخوله على رسول اللَّه ﷺ أكثر من أن يحصى، وكذا سائر أصحابه الفضلاء، وكذا كانت بطانات أصحابه من بعده، فعمر رضي اللَّه عنه من أخص بطانة أبي بكر رضي اللَّه عنهما.

• أما عمر رضي اللَّه عنه فكان أهل مشورته وبطانته من القراء حملة القرآن، فقد أخرج البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: . . . فذكر الحديث وفيه: «وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبانًا».

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
(٢) البخاري (حديث ٤٦٥٢).

فبطانة الخير تحض الشخص على الخير وترغبه فيه وتذكره بالله، وبطانة الشر تعينه على الشر وتفتح له أبوابه وتنسيه ذكر الله.

• وأخرج النسائي في «سننه» من طريق القاسم بن محمد[1] قال: سمعت عمتي تقول: قال رسول الله ﷺ: **«من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيرًا جعل له وزيرًا صالحًا إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه»**[2] .

* * *

(١) القاسم هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعمته هي عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح لشواهده، أخرجه النسائي (٧/ ١٥٩)، وانظر شواهده عند أبي داود (٢٩٣٢)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٧٠).

• كن ميمونًا مباركًا •

وكن أيها المؤمن ميمونًا مباركًا أينما كنت، وادع اللَّه بذلك، ولا تكن مُثيرًا للشرور والفتن والقلاقل، واحرص على ألا تُجتنى من ورائك إلا ثمار الخير، وقطوف المودة والمحبة.

واقرأ مقالة رسول اللَّه ﷺ التي قالها لما شفاه اللَّه.

• قال عليه الصلاة والسلام: «... **أما واللَّه فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحدٍ من الناس شرًا**» وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

---

(١) البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).
قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في شرح هذا الحديث «فتح الباري» (١٠/ ٢٤١): قوله: «فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا» في رواية الكشميهني «سوءًا» ووقع في رواية أبي أسامة «أن أثوِّر» بفتح المثلثة وتشديد الواو وهما بمعنى، والمراد بالناس التعميم في الموجودين، قال النووي: خشي من إخراجه وإشاعته ضررًا على المسلمين من تذكر السحر وتعلمه ونحو ذلك، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة ووقع في رواية ابن نمير: «على أمتي» وهو قابل أيضًا للتعميم؛ لأن الأمة تطلق على أمة الإجابة وأمة الدعوة وعلى ما هو أعم، وهو يرد على من زعم أن المراد بالناس هنا لبيد بن الأعصم لأنه كان منافقًا فأراد ﷺ ألا يثير عليه شرًا لأنه كان يؤثر الإغضاء عمن يظهر الإسلام ولو صدر منه ما صدر، وقد وقع أيضًا في رواية ابن عيينة: «وكرهت أن أثير على أحد من الناس شرًا» نعم وقع في حديث عمرة عن عائشة: فقيل يارسول اللَّه، لو قتلته. قال: «ما وراء من عذاب اللَّه أشد»، وفي رواية عمرة: «فأخذه النبي ﷺ فاعترف فعفا عنه» وفي حديث زيد بن أرقم: «فما ذكر رسول اللَّه ﷺ لذلك اليهودي شيئًا مما صنع به ولا رآه في وجهه»، وفي مرسل عمر بن الحكم «فقال له: ما حملك على هذا؟» قال: «حب الدنانير». وقد تقدم في كتاب الجزية قول ابن شهاب: أن النبي ﷺ لم يقتله، وأخرج ابن سعد من مرسل عكرمة أيضًا أنه لم يقتله، ونقل عن الواقدي أن ذلك أصح من رواية من قال إنه قتله، ومن ثم حكى عياض في «الشفاء» قولين: هل قتل، أم لم يقتل؟ وقال=

• إخبارك الأصدقاء والأصحاب الذين يحبونك بفضل الله وبنعمه عليك •

وهذا باب طيب ونافع في توطيد أواصر المحبة وتدعيم أركانها.

• وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] ومحل هذا في كثير من الأحيان عند من يحبونك ويرغبون لك في مزيد من الخير، أما عند من يكرهون لك الخير ويحسدونك على ما أنت فيه من النعم فلا، قال يعقوب عليه السلام ليوسف: ﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

• وقال النبي ﷺ: «**إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب**»[1]. فإذا جاءتك نعمة من نعم الله ورزقت برزق من الله، فحدِّث إخوانك الذين تحبهم ويحبونك، وأدخل عليهم السعادة بذلك، فهم يسعدون لسعادتك ويفرحون لفرحك، وهم أيضًا يحزنون لمصابك ويتألمون لأوجاعك فلا تجعل نصيبهم منك الحزن والآلام فقط، ولكن يحزنون من أجلك، فليفرحوا لنعم الله عليك كذلك.

• وها هو رسولنا ﷺ يدخل السرور على أصحابه ويأمر بإبلاغهم بما

= القرطبي: لا حجة على مالك من هذه القصة؛ لأن ترك قتل لبيد بن الأعصم كان لخشية أن يثير بسبب قتله فتنة، أو لئلا ينفر الناس عن الدخول في الإسلام، وهو من جنس ما راعاه النبي ﷺ من منع قتل المنافقين حيث قال: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

(١) البخاري مع «الفتح» (١٢/ ٤٣٠) (حديث ٧٠٤٤)، ومسلم (ص١٧٧٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.

حدث له من نعمـة اللَّه عليه في البركة التي حلت بالطعـام لما وضع فيه يديه صلوات اللَّه وسلامه عليه:

أخرج البـخاري[1] من حديث جابر بن عبـد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: توفي أبي وعليه دينٌ، فعرضت على غرمـائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا، ولم يروا أن فيه وفـاءً، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك لـه فقال: «**إذا جـددته فوضعته في المربد، آذنتَ رسولَ اللَّه ﷺ**». فجاء ومعه أبو بكرٍ وعمر، فجلسَ عليه ودعا بالبركة ثم قال: «**ادع غرماءك فأوفهم**». فما تركت أحدًا له على أبي دينٌ إلا قضيـته، وفضل ثلاثة عشر وسـقًا: سبعةٌ عجـوةٌ وستةٌ لونٌ، أو ستةٌ عجوةٌ وسبعةٌ لونٌ. فوافيتُ مع رسول اللَّه ﷺ المغرب فذكرتُ ذلك له، فضحكَ فقال: «**ائت أبا بكرٍ وعمر فـأخبرهما**»، فقالا: لقد علمنا ـ إذ صنع رسول اللَّه ﷺ ما صنع ـ أن سيكون ذلك.

فانظر إلى مقولة رسول اللَّه ﷺ: «**ائتِ أبا بكرٍ وعمر فـأخبرهما**»!! فحقًا إنه رسول اللَّه ﷺ نعم المُعلم ونعم المؤدب ونعم الصاحب، فليدخل السرور على أبي بكر وعمر وليزدادوا يقينًا برسالة نبيهم محمد ﷺ.

فكما أنهـما يحزنان لحزنه كـذلك فليفرحا بما حلَّ على يديه مـن البركة، وكذلك فلنكن.

لا تنل منك أمُّك كلَّ يومٍ الهمـوم والأحزان، وكذلك أصـحابك كل يوم يستمعون منك إلى التـشكي والتوجع والآلام، وفي اليوم الذي تتوالي عليك نعم اللَّه لا يعرفون عنك شيئًا! إذا كنت خسرت في التجارة يومًا فقد ربحت فيها أيامًا وأعوامًا! إذا مرضت يومًا فقد عوفيت شهورًا وسنوات!

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٠٩).

فحدِّث بنعم اللَّه عليك، وليُرى أثر النعمة عليك، وليرى محبوك وأصدقاؤك أثر نعم اللَّه عليك، فأهْدِ لهم ووسِّعْ عليهم وذكرهم بفضل اللَّه.

* * *

• وشاورهم في الأمر •

• فبهذا أمر اللَّه نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

• وأثنى اللَّه على عباده المؤمنين بقوله: ﴿**أَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: ٣٨].

وقد كان النبي ﷺ يستشير أصحابه فيما يحتاج إلى مشورتهم فيه من الأمور الخاصة والعامة فلا غنى لولي الأمر عن المشاورة.

ومن المعلوم أن الشخص يستشير أهل الخبرة وأهل الاختصاص في الأمر الذي يحتاج إلى المشورة فيه: فلا يستشار الضابط في أمور الطب والهندسة، وكذلك لا يستشار الطبيب في أمور القتال وإعداد العُدَّة، ومدرس اللغة الإنجليزية لا يستشار في أمور الزراعة والحرث وهكذا، فكلٌّ يُستشار فيما يتقنه ويفهمه ويُجيده.

واستشار الرسول ﷺ أصحابه يوم بدر، فلما تكلم المهاجرون ما أصغى إليهم رسول اللَّه ﷺ كثيراً، إنما كانت استشارته موجهة إلى الأنصار لاعتبارات معينة:

• أخرج مسلم في «صحيحه»[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن

---

(١) مسلم (حديث ١٧٧٩).

رســـول اللَّه ﷺ شاور حين بلغه إقـبال أبي سفيان، قـال: فتكلَّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلَّـم عمر فأعرض عنه، فـقام سعد بن عبـادة فقال: إيانا تريد يا رسـول اللَّه، والذي نفـسي بيـده لو أمـرتنا أن نخـيـضـها البـحـر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا.

• وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح[1] عن أنس قال: لما سارَ رسول اللَّه ﷺ إلى بدرٍ خَرَجَ فـاستشـار الناسَ فأشار عليـه أبو بكر رضي اللَّه عنه، ثم استشارهم فأشار عليه عـمرُ رضي اللَّه عنه فسكت، فقال: رجلٌ من الأنصار إنما يُريدكم رسولُ اللَّه ﷺ، فقالوا: يا رسول اللَّه، واللَّه لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فـقاتلا إنا ههنا قاعدون! ولكن لو ضربت أكبادَ الإبل حتى تَبْلُغَ بَرْكَ الغمادِ لكنا معك.

• وفي حديث الإفك[2] استشار الرسول ﷺ بعض قرابته كعليٍّ رضي اللَّه عنه، ومحبيه: كأسامة بن زيد رضي اللَّه عنه، وبعض أهل بيته كزينب رضي اللَّه عنها، واستشار أيضًا بريرة لما لها من معرفة بأم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها، واستشار عموم أصحابه في شأن المنافقين الذين طعنوا في عرضه وقال لهـم: «**أشيروا عليَّ في قـوم بلغ أذاهم في أهلي، واللَّه ما علمت على أهلي إلا خيرًا**» وكل ذلك في حديث الإفك.

• وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة في آية التخيير: «**إني ذاكرٌ لك أمرًا فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك**»[3].

---

(١) أحمد (٣/ ١٠٥) وله شواهد.

(٢) وقد تقدم تخريجه مرارًا، وهو في «الصحيحين».

(٣) البخاري (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٧٥).

• واستشار رسول اللَّه ﷺ عددًا من أصحابه في أسارى بدر[1].

وكذلك كان الصحابة رضي اللَّه عنهم فكان أبو بكر يستشير أصحابه فيما يشكل عليه وأما استشارات عمر للصحابة رضي اللَّه عنهم فأكثر من أن تُحصى.

ولا يلزم العمل بمشورة كل من أشار عليك، بل تتبين وجه الصواب من ذلك وتعمل به وتتوكل على اللَّه.

وإن استشارهم وأتى له بعضهم بدليل في المسألة من كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ مطابق للمسألة النازلة أو أتاه بإجماع لـلمسلمين في هذه المسألة فلا يسعه الخروج على كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ولا يسعه الخروج على الاجماع.

أمـا إذا كان أمرًا قد تنازع فيه المسلمون فعليه أن يتبين وجه الصواب من ذلك والأقرب إلى الدليل والأنفع للرعية فيعمل به، واللَّه تعالى أعلى وأعلم.

قبول النصيحة ممن هو أدنى :

وكما قدمنا فينبغي أن يستشير الراعي رعيته، ويعمل بالرأي السديد، ولو كان قائله دونه في الفضل ما دام قد تبين له سداد هذا الرأي.

• فالرسول ﷺ أقر أبا هريرة على ما قاله الشيطان في شأن آية الكرسي وأن اللَّه يحفظ قارئها حتى يصبح[2].

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عهما وفيه: ... فلما أسروا الأسرى قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسرى...».

(٢) في البخاري معلقًا مع «الفتح» (٤/٤٨٧) من حديث أبي هريرة وفيه أن الشيطان قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ اية الكرسي: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] فإنك لن يزال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال رسول اللَّه ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب».

• والرسول ﷺ منع أصحابه من قولهم: ما شاء اللَّه وشاء محمد، ومن قولهم: والكعبة، لما جاءه اليهود وقالوا: إنكم تشركون وتنددون[١] . . . الحديث.

• ولما جاء الحبر اليهودي إلى رسول اللَّه ﷺ وقال: يا محمد إنا نجد أن اللَّه يجعل السموات على إصبع. . الحديث، وفيه فضحك النبي ﷺ. . .[٢]، قال ابن مسعود: تصديقًا لخبر الحبر.

• وفي «مسند الإمام أحمد»[٣] من طريق عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قال: حدثني أبي قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في غزاة، فأصاب الناسَ مخمصةٌ، فاستأذن الناسُ رسولَ اللَّه ﷺ في نحر بعض ظهورهم، وقالوا: يبلغنا اللَّه به. فلما رأى عمر بن الخطاب أن رسول اللَّه ﷺ قد نهاهم أن يأذن لهم في نحر بعض ظهورهم، قال: يا رسول اللَّه، كيف بنا إذا نحن لقينا القوم غدًا رجالاً؟ ولكن إن رأيت يا رسول اللَّه أن تدعو لنا ببقايا أزوادهم فنجمعها، ثم تدعو اللَّه فيها بالبركة، فإن اللَّه تبارك وتعالى

---

(١) أخرج النسائي في «السنن» (٧/ ٦) بإسناد صحيح من حديث قتيلة ـ امرأة من جهينة ـ أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: «إنكم تنددون، وإنكم تشركون تقولون: ما شاء اللَّه وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورِبِّ الكعبة، ويقول أحدهم: ما شاء اللَّه ثم شئت». وأخرجه أيضًا في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٦)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٢) وتمام الحديث: والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لخبر الحبر، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر: ٦٧].

(٣) أحمد في «المسند» (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨).

سيبلغنا بدعوتك. أو قال: سيبارك لنا في دعوتك، فدعا النبي ﷺ ببقايا أزوادهم، فجعل الناس يجيئون بالحثية من الطعام وفوق ذلك، وكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر، جمعها رسول اللَّه ﷺ، ثم قام فدعا ما شاء اللَّه أن يدعو، ثم دعا الجيش بأوعيتهم، فأمرهم أن يحتثوا، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملئوه، وبقي مثله، فضحك رسول اللَّه ﷺ حتى بدت نواجذه، فقال: «**أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه، لا يلقى اللَّهَ عبدٌ مؤمن بهما إلا حجبت عنه النار يوم القيامة**».

● وقد قبل النبي ﷺ مشورة عمر لما أشار عليه بألا يخبر الناس أن من قال: لا إله إلا اللَّه دخل الجنة، وذلك حتى لا يتكل الناس.

وإقرار الحق نوع من أنواع العدل، واللَّه سبحانه يقول: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ [المائدة: ٨].

● وانظر إلى هذا الحديث الذي أخرجه أحمد[1] بسند حسن من حديث عائشة رضي اللَّه عنها وفيه أنها قالت: أتت سلمى مولاة رسول اللَّه ﷺ أو امرأة أبي رافع مولى رسول اللَّه ﷺ إلى رسول اللَّه ﷺ تستأذنه على أبي رافع قد ضربها، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ لأبي رافع: «**ما لك ولها يا أبا رافع؟**» قال: تؤذيني يا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**بم آذيتيه يا سلمى؟**» قالت: يا رسول اللَّه ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلي، فقالت له: يا أبا رافع إن رسول اللَّه ﷺ قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم الريح أن يتوضأ، فقام فضربني، فجعل رسول اللَّه ﷺ يضحك ويقول: «**يا أبا رافع، إنها لم تأمرك إلا بخير**».

---

(١) أحمد (٦/ ٢٧٢).

• من نستأجر؟ •

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾

فهكذا ينبغي أن يكون الأجراء، وهكذا ينبغي أن تُختار العمالة، فينبغي أن تراعى فيهم القوة والأمانة، وهذه جملة من الأدلة على ذلك :

• قال اللَّه تـعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] فوصفته بوصفين: القوة والأمانة.

• وهذا العفريت من الجن الذي عرض على سليـمان عليه السلام أن يأتي بالعـرش يقـول: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل:٣٩] فوصف نفسه بالوصفين أيضًا: القوة والأمانة.

• ويقول ربنا سبحانه وتعالى في شأن سفيره جبريل ﷺ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١] فوصفه بالقوة في قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وبالأمانة كما في قوله: ﴿أَمِينٍ﴾.

• وقال اللَّه سـبحـانه وتعالى في شـأن موسى ﷺ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:١٤].

فجمع بين القوة في قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص:١٤].

وبين الحكم والعلم والإحـسان في قـوله: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:١٤]، وهذه تتضمن الأمانة أيضًا.

• وفي شأن الأنبياء عليهـم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ۝٤٥ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٥، ٤٦].

• فقوله تعالى: ﴿أُوْلِي الْأَيْدِي﴾ [ص:٤٥] يخبر بقوتهم.

• وقوله: ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص:٤٦] يتضمن العلم والفهم والأمانة خاصة إذا ضم إليها قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص:٤٦] أي: خصصناهم بخاصية وهي كثرة تذكر الدار الأخرى، فهذا التذكر يتطلب منهم الأمانة والدين.

• وقوله تعالى في شأن يوسف ﷺ أيضًا: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢].

• وقول ملك مصر ليوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤].

• وكذلك قول يوسف ﷺ عن نفسه لما طلب العمل على خزائن الأرض زكَّى نفسه بشيئين فقال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] فقوله: ﴿حَفِيظٌ﴾ يتضمن الأمانة، وقوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ يتضمن القوة والقدرة على العمل.

وهذا يَجرُّنا إلى شيءٍ ألا وهو:

توضيح معنى القوة المصاحبة للأمانة:

أيُّ قوةٍ هذه؟ وما المراد بها؟ فلإيضاحها أقول:

إن المراد بالقوة: القوة الملائمة والمناسبة للعمل الذي يكلف به الشخص:

• فقوة العامل المكلف بحمل أشياء، والسعي في أمور الذهاب والإياب والدفاع والهجوم ونحو ذلك تكمن في بدنه، فيختار لها العامل قوي البدن.

• وقوة العالم تكمن في حفظه وذكائه وقوة استنباطه، وإنزال الفتاوى في منازلها، ووضع الأمور في نصابها.

• وقوة الطبيب تكمن في قدرته على تشخيص المرض ووصف العلاج المناسب له.

• وقوة الطباخ في البيت تكمن في جودة الطهي.

• وقوة المدرس تكمن في حصيلته العلمية وقدرته على إفهام الطلاب.

• وقوة المهندس تكمن في حسن تخطيطه ومهارته في التنفيذ.

• وقوة الفلاح تكمن في بدنه وفي معرفته بالزراعة والحرث ورعاية الماشية.

• وقوة الأمير في الحرب تكمن في بدنه أيضًا وفي علمه بفنون الحرب وفي شجاعته.

• وكل صانع تكمن قوته في معرفته بصنعته ومهارته فيها.

• وكل عالم يكمن علمه في تخصصه الذي يقوم بتدريسه وتعليمه، وهكذا كل الأعمال.

فليست القوة المرادة هي القوة البدنية في كل الأحوال، وذلك لأن احتياجات الناس تختلف وتتنوع، وكذلك قدراتهم تختلف وتتنوع:

• فابن مسعود رضي اللّه عنه رجل نحيف البدن ولكنه[1] من أعلم الصحابة بالتفسير.

---

(١) أخرج البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢) من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: واللّه الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب اللّه إلا أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب اللّه إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب اللّه تبلغه الإبل لركبت إليه. =

• وخالدٌ سيف سلَّه اللَّه على المشركين[1]، ومع ذلك رواياته للأحاديث قليلة جدًا لا تكاد تُذكر.

• وأبو ذر رجل قوالٌ بالحق جريءٌ فيه، فما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجةً من أبي ذر[2]، ومع ذلك هو مع الإمارة ضعيف.

قال النبي ﷺ: **«يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي: لا تأمّرن على اثنين، ولا تولَّين مال يتيم»**.

• وهأنذا أؤيد مقالتي هذه بهذا الكلام الطيب الرائع الجميل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى، من كتابه «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»، قال رحمه اللَّه:

والقوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها - فإن الحرب خدعة - وإلى القدرة

= وفي رواية أخرى عند البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢) من طريق شقيق بن سلمة قال: خطبنا ابن مسعود فقال: واللَّه لقد أخذت من فيِّ رسول اللَّه ﷺ بضعًا وسبعين سورة، واللَّه لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب اللَّه، وما أنا بخيرهم، قال شقيق: فجلست في الحِلَق أسمع ما يقولون ما سمعت رادًا يقول غير ذلك.

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح (١/ ٤٢٠ - ٤٢١) عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبي اللَّه من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد».

(١) قال رسول اللَّه ﷺ في شأن خالد، كما في «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح (٥/٢٩٩): «اللَّهم هو سيف من سيوفك فانصره». وانظر أيضًا البخاري (٤٢٦٢).

(٢) أخرج الإمام أحمد (٦/٤٤٢) بإسناد صحيح لغيره من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». والغبراء هي الأرض، والخضراء: السماء، واللَّه أعلم. وانظر: «المنتخب» لعبد ابن حميد (بتحقيقي) رقم (٢٠٩).

على أنواع القتال: من رمي وطعن وضرب، وركوب وكر وفرٍّ، ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: «**ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا**»، وفي رواية: «**فهي نعمةٌ جحدها**» رواه مسلم(١).

والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام.

والأمانة ترجع إلى خشية اللَّه، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلاً، وترك خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها اللَّه على كل من حكم على الناس، في قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ولهذا قال النبي ﷺ: «**القضاةُ ثلاثةٌ: قاضيان في النَّار، وقاضٍ في الجنة، فرجلٌ علمَ الحقَّ وقضى بخلافه، فهو في النار، ورجلٌ قضى بين الناس على جهلٍ، فهو في النارِ، ورجلٌ علم الحق وقضى به، فهو في الجنةِ**» رواه أهل السنن(٢).

---

(١) الحديث باللفظ المشار إليه لم أقف عليه في مسلم، والذي في مسلم الفقرة الأخيرة منه: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصى» من حديث عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه مرفوعًا (١٩١٩).

وعند مسلم أيضًا (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول وهو على المنبر: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

أما الحديث ـ بلفظ قريب من المشار إليه ـ فقد أخرجه أبو داود (٢٥١٣)، والنسائي (٦/ ٢٢٣) وغيرهم وفي إسناده بعض كلام.

(٢) صحيح بمجموع طرقه، وانظر: «سنن أبي داود» (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، وابن ماجه (٢٣١٥)، والحاكم (٤/ ٩٠) فقد أخرجوه من حديث بريدة رضي اللَّه عنه مرفوعًا بلفظ قريب.

والقاضي اسم لكل من قضى بين اثنين أو حكم بينهما، سواءٌ كان خليفة، أو سلطانًا، أو نائبًا، أو واليًا، أو كان منصوبًا ليقضي بالشرع، أو نائبًا له، حتى يحكم بين الصبيان في الخطوط، إذا تخايروا، هكذا ذكر أصحاب رسول اللَّه ﷺ وهو ظاهر) اهـ.

وقال رحمه اللَّه: (اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، ولهذا كان عمر ابن الخطاب رضي اللَّه عنه يقول: اللَّهم أشكو إليك جَلَدَ الفاجر، وعجز الثقة، فالواجب في كل ولاية، الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر أعظم قوة، قُدّم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررًا فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أمينًا.

كما سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو. أحدهما قويٌّ فاجر، والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يُغزى؟ فقال: أمَّا الفاجر القوي، فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف، فصلاحه لنفسه، وضعفه على المسلمين، يغزى مع القويِّ الفاجر.

وقد قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللَّه يُؤَيِّدُ هذا الدين بالرجلِ الفاجرِ**»[1]، وروي:

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (حديث ٣٠٦٢)، ومسلم (حديث ١١١ ص ١٠٥) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: شهدنا مع رسول اللَّه ﷺ حنينًا فقال لرجلٍ ممن يُدعى بالإسلام: «هذا من أهل النار»، فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديدًا فأصابته جراحةَ. فقيل: يا رسول اللَّه، الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالاً شديدًا وقد مات، فقال النبي ﷺ: «إلى النار» قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب. فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه لم يمت ولكن به جراحًا شديدًا، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأُخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «اللَّه أكبر أشهد أني عبد اللَّه ورسوله»، ثم أمر بلالاً فنادى في الناس: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن اللَّه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

«**بأقوامٍ لا خَلاقَ لهم**»[١]، فإذا لم يكن فاجرًا، كان أولى بإمارة الحرب ممَّنْ هو أصلح منه في الدين، إذا لم يسد مسدَّه.

ولهذا كـان النبي ﷺ يستعمل خـالد بن الوليد على الحرب، منذ أسلم، وقال: «**إنَّ خالدًا سَيْفٌ سلَّه اللَّه على المشركين**»[٢] مع أنه أحيانًا كان قد يعمل ما ينكره النبي ﷺ، حتى إنه - مرة - رفع يديه إلى السماء وقال: «**اللَّهم إني أبرأُ إليك مما فـعل خـالدٌ**»[٣] لما أرسله إلى بني جذيمة فقـتلهم، وأخذ أموالهم بنوع شـبهـة، ولم يكن يجوز ذلك، وأنـكره عليه بعض من كـان معـه من الصحـابة، حتى وداهم النبي ﷺ وضمن أموالهم، ومع هذا فـما زال يقدمه في إمارة الحـرب، لأنه كان أصلح في هذا الباب من غـيره، وفعل مـا فعله بنوع تأويل.

وكان أبو ذر رضي اللَّه عنه أصلح منه في الأمانة والصدق، ومع هذا فقد قال النبي ﷺ: «**يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحبُّ لك ما أحب لنفسي: لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مـال يتيمٍ**» رواه مسلم[٤]. فنهى أبا ذر عن الإمارة والولاية؛ لأنه رآه ضعيـفًا، مع أنه قد رُوي: «**مـا أظلت الخضـراءُ ولا أقلت الغبراءُ، أصدق لهجةً، من أبي ذرٍ**»[٥].

وأمَّـــر النبي ﷺ مرة عـمرو بن العاص، في غـزوة: «ذات السلاسل»[٦] استعطافًا لأقاربه الذين بعثـه إليهم، على من هم أفضل منه. وأمر أسامة بن زيد رضي اللَّه عنه لأجل ثأر أبيه.

---

(١)رواه ابن حبان «موارد الظمآن» (١٦٠٦) بإسناد فيه ضعف لكنه يصح لشواهده.
(٢)صحيح لشواهده، وقد تقدم بمعناه.
(٣)أخرجه البخاري (حديث ٤٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
(٤)صحيح، وقد تقدم. (٥)صحيح، وقد تقدم.
(٦)البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٢٨٤).

ولذلك كان يستعمل الرجل لمصلحة، مع أنه كان قد يكون مع الأمير من هو أفضل منه في العلم والإيمان.

وهكذا أبو بكر خليفة رسول اللَّه ﷺ رضي اللَّه عنه ما زال يستعمل خالدًا في حرب أهل الردة، وفي فتوح العراق والشام، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل، وقد ذُكر له عنه أنه كان له فيها هوى، فلم يعزله من أجلها، بل عَتَبَه عليها لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه، وأن غيره لم يكن يقوم مقامه، لأن المتولّي الكبير، إذا كان خلقه يميل إلى اللين فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى الشدة، وإذا كان خُلقه يميل إلى الشدة؛ فينبغي أن يكون خُلق نائبه يميل إلى اللين، ليعتدل الأمر.

ولهذا كان أبو بكر رضي اللَّه عنه يؤثر استنابة خالد، وكان عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه يؤثر عزل خالد واستنابة أبي عبيدة بن الجراح رضي اللَّه عنه؛ لأن خالدًا كان شديدًا كعمر بن الخطاب، وأبا عبيدة كان لينًا كأبي بكر، وكان الأصلح لكل منهما أن يولي من ولاه، ليكون أمره معتدلاً، ويكون بذلك من خلفاء رسول اللَّه ﷺ الذي هو معتدل حتى قال النبي ﷺ: **«أنا نبيُّ الرحمة، أنا نبيُّ الملحمَة»**[1]، وقال: **«أنا الضحوكُ القتَّالُ»**[2]، أمته

(١) في «صحيح مسلم» (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يُسمي لنا نفسه أسماء قال: «أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة».

ولفظة: «نبي الملحمة» وفي رواية: «الملاحم» عند أحمد (٤/ ٣٩٥) و(٥/ ٤٠٥)، والترمذي في «الشمائل» (حديث ٣٦٨) باب ما جاء في أسماء رسول اللَّه ﷺ، وهي صحيحة بمجموع طرقها، وانظر: «كنز العمال» (١١/ ٤٦٢، ٤٦٣).

(٢) قوله: «أنا الضحوك القتَّال» لم أقف عليه مسندًا، وقد ذكره ابن تيمية رحمه اللَّه هنا بلا سند، وكذا ذكره ابن كثير رحمه اللَّه بلا سند (٢/ ٤٠٢) عند تفسير قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾.

وسط، قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾ [الفتح:٢٩]، وقال تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة:٥٤].

ولهذا لما وَلِّيَ أبو بكر وعمر رضي اللَّه عنهما صارا كاملين في الولاية، واعتدل منهما ما كان ينسبان فيه إلى أحد الطرفين في حياة النبي ﷺ، من لين أحدهما وشدة الآخر، حتى قال فيهما النبي ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[1] وظهر من أبي بكر من شجاعة القلب، ففي قتال أهل الردة وغيرهم ما برز به على عمر وسائر الصحابة رضي اللَّه عنهم أجمعين.

وإن كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، قُدِّمَ الأمين، مثل حفظ الأموال ونحوها، فأما استخراجها ،وحفظها، فلابد فيه من قوة وأمانة، فيولى عليها شادٍ قوي يستخرجها بقوته، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته، وكذلك في إمارة الحرب، إذا أمر الأمير بمشاورة أُولي العلم والدين جمع بين المصلحتين، وهكذا في سائر الولايات إذا لم تتم المصلحة برجل واحد، جمع بين عدد، فلابد من ترجيح الأصلح، أو تعدد المولَّى، إذا لم تقع الكفاية بواحد تام.

ويقدم في ولاية القضاء، الأعلم الأورع الأكفأ، فإن كان أحدهما أعلم، والآخر أورع قُدِّم - فيما قد يظهر حكمه ويخاف فيه الهوى - الأورع، وفيما يدق حكمه، ويخاف فيه الاشتباه: الأعلم، ففي الحديث عن النبي ﷺ، أنه

---

(١) في إسناده ضعف وقد أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، (٣٨٠٥) بأسانيد فيها ضعف.

قال: «**إنَّ اللَّه يحبُّ البَصَرَ النَّافذَ عند ورودِ الشُّبهات، ويُحبُ العقل عند حلولِ الشهواتِ**»[1].

ويقدمان على الأكفاءِ، إن كان القاضي مؤيدًا تامًا، من جهة والي الحرب، أو العامة.

ويُقدَّم الأكفأ، إن كان القضاء يحتاج إلى قوة وإعانة القاضي، أكثر من حاجته إلى مزيد العلم والورع، فإن القاضي المطلق، يحتاج أن يكون عالمًا عادلاً قادرًا، بل وكذلك كل والٍ للمسلمين، فأي صفة من هذه الصفات نقصت، ظهر الخلل بسببه، والكفاءة: إما بقهر ورهبة، وإما بإحسان ورغبة، وفي الحقيقة فلابد منها.

وسئل بعض العلماء: إذا لم يوجد من يولى القضاء، إلا عالم فاسق، أو جاهل ديِّن، فأيهما يُقدم؟ فقال: إن كانت الحاجة إلى الديِّن أكثر لغلبة الفساد، قُدم الدَّين، وإن كانت الحاجة إلى العلم أكثر لخفاء الحكومات، قُدم العالم، وأكثر العلماء يقدمون ذا الدين، فإن الأئمة متفقون على أنه لابد في المتولي من أن يكون عدلاً أهلاً للشهادة، واختلفوا في اشتراط العلم: هل يجب أن يكون مجتهدًا، أو يجوز أن يكون مقلدًا، أو الواجب تولية الأمثل فالأمثل كيفما تيسر؟ على ثلاثة أقوال، وبسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع.

ومع أنه يجوز تولية غير الأهل للضرورة، إذا كان أصلح الموجود، فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال، حتى يكمل في الناس، ما لا بد لهم منه، من أمور الولايات والإمارات ونحوها، كما يجب على المعسر السعي

---

(١) لم أقف عليه، وقد عزاه بعض أهل العلم إلى أبي نعيم في «الحلية» من حديث عمران بن حصين، وضعف إسناده.

في وفاء دَيْنه، وإن كان في الحال لا يطلب منه إلا ما يقدر عليه، وكما يجب الاستعداد للجهاد، بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب، بخلاف الاستطاعة في الحج ونحوها، فإنه لا يجب تحصيلها؛ لأن الوجوب هناك لا يتم إلا بها.

والمهم في هذا الباب معرفة الأصلح، وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية، ومعرفة طريق المقصود، فإذا عُرفت المقاصد والوسائل تم الأمر، فلهذا لما غلب على أكثر الملوك قصد الدنيا دون الدين، قَدَّموا في ولايتهم من يعينهم على تلك المقاصد، وكان من يطلب رياسة نفسه، يؤثر تقديم من يقيم رياسته) انتهى كلام شيخ الإسلام رحمه اللَّه.

وهل لصاحب العمل أن يستأجر كافراً[1] للعمل عنده ؟

الذي يظهر أن ذلك جائز عند الضرورة، إذا كان عندهم قوة على العمل وأمانة فيه، وقد استأجر رسول اللَّه ﷺ رجلاً كافرًا ليدله على الطريق أثناء هجرته صلوات اللَّه وسلامه عليه:

● ففي «الصحيح»[2] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أنها ذكرت حديث الهجرة وفيه: واستأجر رسول اللَّه ﷺ رجلاً من بني عبد الدِّيل هاديًا خرِّيتًا - والخريت: الماهر بالهداية - قد غمس حلفًا في بني العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في «فتح الباري» (٤/٥١٧): قال ابن بطال: عامة الفقهاء يجيزون استئجارهم عند الضرورة وغيرها لما في ذلك من المذلة لهم.

(٢) البخاري (حديث ٢٢٦٣).

• وفي «الصحيح»[١] أيضًا من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: أعطى رسول اللَّه ﷺ خيبر اليهود أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها.

ولا تستكبر ولا تستعل على من هم تحت يديك، ولا تبغ الفساد في الأرض، فما بك من نعمة فمن اللَّه، واللَّه لا يحب كل مختال فخور.

فلا تحب من الناس أن يتمثلوا لك قيامًا عند دخولك وخروجك.

• فإن النبي ﷺ قال: «**من سره أن يمثُل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٢].

• وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه لما صلوا خلفه قيامًا[٣] وهو جالس: «**إن كدتم آنفًا لتفعلون فعل فارس والروم: يقومون على ملوكهم وهم قعود! فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم، إن صلى قائمًا فصلوا قيامًا وإن صلى قاعدًا فصلوا قعودًا**»[٤].

وإياك أن تُتبع المعروف الذي تصنعه مع الناس بكلمات تفسده وتذهب بثوابه:

---

(١) البخاري (حديث ٢٢٨٥).

(٢) البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧)، وأحمد (٤/ ٩١، ٩٣، ١٠٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي) (٤١٣)، وابن أبي شيبة «المصنف» (٨/ ٣٩٨)، وغيرهم من حديث معاوية رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) وإن كان لهذه المسألة فقه فقد صلى النبي ﷺ في آخر عمره جالسًا والصحابة خلفه قيام.

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٤١٣) من حديث جابر رضي اللَّه عنه وفيه اشتكى رسول اللَّه ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قيامًا فأشار إلينا فقعدنا، فصلينا بصلاته قعودًا فلما سلَّم قال ... فذكر الحديث.

• فقد قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾

[البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤].

• وقال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل، والمنان، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب**»[١].

واحذر غاية الحذر من ظلم العباد:

ففي الغالب أن من يتولى أمرًا من الأمور، ويشعر بعدم رقابة أحدٍ من البشر عليه أنه يميل ويجنح إلى إمضاء شهواته ورغباته، وقد يقع أثناء ذلك بل في كثير من الأحيان ظلمٌ للعباد، فليحذر العبد حينئذٍ غاية الحذر من الظلم:

• وبذلك جاءت وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن فقال له: «**واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**»[٢]، فدعوة المظلوم مستجابة فاحذرها.

وفي وصية أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أيضًا :

• ففي «صحيح البخاري»[٣] من طريق زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٢٤٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا، ومسلم (ص٥٠ ترتيب محمد فؤاد).

(٣) البخاري (حديث ٣٠٥٩).

الخطاب رضي اللَّه عنه استعمل مولى له يُدعى هُنَيًّا على الحمى فقال: ياهُنَيُّ اضمم جناحك على المسلمين[1]، واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة.

و«**الظلم ظلمات يوم القيامة**»[2] كما قال النبي ﷺ.

● وقد حرَّم اللَّه الظلم على نفسه، وجعله بين العباد محرمًا، كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»[3].

● وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الشورى: ٤٢].

● وقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٨].

واقرأ هذه الآية الكريمة وتدبرها:

● قال تعالى: ﴿**وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ [النساء: ١١٢].

واللَّه ليس بغافلٍ عما يعمل الظالمون:

● قال سبحانه: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

---

(١) أي: اكفف عن ظلمهم.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن اللَّه تبارك وتعالى أنه قال.

ولا نتحرج من تكرار التذكير بقصة سعد وسعيد رضي اللَّه عنهما.

أما سعد فهذا حديثه:

● أخرجه البخاري[١] من حديث جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه قال: «شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي اللَّه عنه، فعـزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنَّه لا يُحسنُ يُصلي. فـأرسلَ إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعُمـونَ أنك لا تُحسنُ تصلي. قـال أبو إسحاق: أمـا أنا واللَّه فإني كنتُ أصلي بهم صـلاةَ رسول اللَّه ﷺ ما أُخرمُ عنها، أُصـلي صلاةَ العشاءِ فأَركُدُ في الأوليين وأُخفُّ في الأُخريـين، قال: ذاكَ الظنُّ بك يا أبا إسحاق، فأرسل معـه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسـألَ عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا إلا سـألَ عنه، ويثنون معروفًا، حتى دخلَ مسجـدًا لبني عبس، فقام رجلٌ يُقالُ له أسامةُ بنُ قتادةَ يُكنى أبا سعدةَ قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسريةِ، ولا يقـسمُ بالسوية، ولا يعدلُ في القضية، قـال سعدٌ: أما واللَّه لأدعون بثلاث: اللَّهم إن كـان عبدُكَ هذا كاذبًا قام رياءً وسمـعةً فأطل عمرهُ، وأطل فـقرهُ، وعرضهُ بالفتنِ، وكان بـعدُ إذا سئلَ يقول: شيخٌ كـبيرٌ مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبـدُ الملك: فأنا رأيتهُ بعدُ قد سَقطَ حاجباهُ على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرضُ للجواري في الطرقِ يغمزُهنَّ».

وهذا أيضًا سعيد:

● أخرج مسلم[٢] من طريق هشام بن عروة عن أبيه: أن أروى بنت أويسٍ ادعت على سعيد بن زيدٍ أنه أخذ شيئًا من أرضـها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقـال سعيدٌ: أنا كنتُ آخـذُ من أرضها شـيئًا بعد الذي سـمعتُ من

(١) البخاري (حديث ٧٥٥). (٢) مسلم (ص١٢٣١).

رسول اللَّه ﷺ؟! قال: وما سمعت من رسول اللَّه ﷺ؟ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طوقهُ إلى سبع أرضين**»، فقال له مروان: لا أسالك بينةً بعد هذا، فقال: اللَّهم، إن كانت كاذبةً فعمِّ بصرها واقتلها في أرضها.

قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت.

- وفي رواية لمسلم: اللَّهم إن كانت كاذبة، فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها.

قال: فرأيتها عمياء تلتمس الجُدر، تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرَّت على بئرٍ في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها.

- وفي «الصحيحين»[1] من حديث سعيد بن زيد رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من ظلم من الأرض شيئًا طوِّقه من سبع أرضين**».

- وعند البخاري ومسلم[2] من طريق محمد بن إبراهيم أن أبا سلمة حدثه أنه كانت بينه وبين أُناس خصومة، فذكر لعائشة رضي اللَّه عنها فقالت: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن النبي ﷺ قال: «**من ظلم قيد شبرٍ من الأرض، طوِّقه من سبع أرضين**».

- ومن حديث ابن عمر[3] رضي اللَّه عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقِّه، خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**».

(١) البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (ص١٢٣١).
(٢) البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).
(٣) البخاري (٢٤٥٤).

وهناك قصاص للمظالم يوم القيامة :

• أخرج البخاري[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنَّة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا**».

• وفي «الصحيح»[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالحٌ أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فُحمل عليه**».

• وفي «صحيح مسلم»[٣] قال النبي ﷺ : «**لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**».

فإياك ثم إياك أن تظلم أجيرًا أو تبخسه حقه أو تمنعه من راتبه.

وأعطِ الأجير أجره قبل أن يجف عرقه :

• فبهذا أمرك رسول اللَّه ﷺ[٤]، ثم إن الأجير في حاجة إلى طعام

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٠).

(٢) البخاري (حديث ٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) قد تقدم.

(٤) صحيح له عدة طرق عن رسول اللَّه ﷺ في كلٍ منها مقال، وأمثلها ما رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (حديث ٣٠١٤) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ : «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

وشراب هو وأولاده فكيف تحجب عنه أجره وتمنعه من زاده؟!

ثم إنه ستؤدي المظالم إلى أهلها حتمًا إن عاجلاً أو آجلاً، وكلما تأخرت وأنت قادر على السداد فأنت آثم، وعرضك محل للطعن، قال النبي ﷺ: **«لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته»**[١].

● وفي «الصحيحين» عن رسول اللَّه ﷺ: **«مطل الغني ظُلم»**[٢].

وانظر إلى هذا المستوى الرفيع من مستويات حفظ الحقوق وعدم أكل أجور العمالة:

● ففي «الصحيحين» في قصة الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت على غارهم صخرة، قال أحدهم متوسلاً بعمله الصالح: **«اللَّهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عَملَ لي على فَرَقٍ من أَرُز فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرَق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت بقرًا، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسُقها، فقال لي: إنما لي عندك فرقٌ من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلك الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أنِّي فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا، فانساخت عنهم الصخرة»**[٣].

● وفي «صحيح البخاري»[٤] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«قال اللَّه: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثم**

---

(١) أخرجه أبو داود (حديث ٣٦٢٨) بإسناد حسن من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه مرفوعًا.

(٢) البخاري (٢٢٨٨)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) البخاري (٣٤٦٥) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا، وقد تقدم.

(٤) البخاري (حديث ٢٢٢٧).

غدر، ورجل باع حُرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يُعطه أجره».

ولصاحب الحق مقالٌ كما قال النبي ﷺ[1]، فإذا أخطأت في حق شخص أو نلت منه أو بخسته حقه، فنال منك ووقع في عرضك، فلتصبر عليه ولتتجاوز عنه فإنك أنت المخطئ، فاتجه باللوم لنفسك قبل أن تلوم الناس، وصحح أخطاءك قبل أن تلتمس عفو الناس.

محاسبة العمال وتفقد أحوال الرعية:

وذلك من أجل صلاح العمل وحسن سيره وصلاحه.

وأيضًا ففي محاسبة العمال عون لهم على أنفسهم، ثم إن نصرة الظالم تكون بمنعه من الظلم.

وقد كان الأنبياء يفعلون ذلك:

● فهذا نبي اللَّه سليمان ﷺ يتفقد أحوال الرعية ويصفُّهم ويرتبهم، كما قال تعالى: ﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾.

[النمل: ١٧].

أي: يرد أولهم إلى آخرهم، فيكونوا في صفوف كلٌّ في الصف الذي له.

● ويتفقد الطير فيقول: ﴿ **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ** (٢٠) **لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ﴾.

[النمل: ٢٠، ٢١].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٠١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ يتقاضاه فأغلظ له فهمَّ به أصحابه فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً».

• فانظر إلى حزمه ﷺ وهو يقول: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

• وانظر إلى قوله ـ لما أتى الهدهد متـأخرًا معتذرًا ـ ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧]، فليست كل الأعذار مقبولة، فهناك حججٌ واهيةٌ ومرفوضة.

• وانظر كذلك إلى الحزم في قوله تعالى في شأن الجن: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

• وها هو سليمـان يتابع العـمل بنفسه، ويراقب الجن فـي عملهم وهم: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، وهو يتابع العمل بنفسه وهو متكئ على عصاه كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

فكذلك فليكن صاحب العمـل في عمله رحيمًا حازمًـا، ينظر متى يؤاخذ العامل ومتى يعفو عنه، ينظر إلى من تغيب عن العمل هل لتغيبه سبب أو أنه مهـمل متـهاون في أداء عمله؟ فـينزل الرحمـة منزلها، ويُنزل العـفو منزله، وينزل المؤاخذة منزلتها، والموفق من وفقه اللَّه.

• وذو القرنين يقول اللَّه له: ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

• فيقول: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

• وها هو رسـول اللَّه ﷺ يحاسب عماله الذين أرسلهم على بعض البلاد، ففي «الصحيح»[١] من حديث أبي حميد الساعدي رضي اللَّه عنه قال: استعمل رسول اللَّه ﷺ رجلاً من الأُسْدِ على صدقات بني سليم يُدعى ابن اللُّتبية فلما جاء حاسبه.

• وللحديث سياقٌ آخر مطول أخرجه البخاري ومسلم[٢] وفيه: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهدي لي، قال: «**فهلا جلس في بيت أبيه ـ أو بيت أمه ـ فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرًا له رغاءٌ، أو بقرةً لها خوارٌ، أو شاةً تيعر** ـ ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه ـ **اللَّهم هل بلغت، اللَّهم هل بلغت**» ثلاثًا.

• وكان النبي ﷺ يتفقد أحوال أصحابه كذلك ويسأل عن سبب تخلفهم، كما في حديث كعب بن مالك رضي اللَّه عنه في قصة توبة اللَّه عز وجل عليه[٣]، ففيه: أن النبي ﷺ قال وهو جالسٌ في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب؟**».

ولا تطع من تحت يديك في كل ما يريدون وتحقق لهم كل ما يهوون:

بل يطاعوا في الحق ويُقرُّوا عليه، ويُخالفوا في الباطل ويستنكر عليهم، وكل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) البخاري (حديث ١٥٠٠).
(٢) البخاري (حديث ٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).
(٣) البخاري (حديث ٤٤١٨)، ومسلم (حديث ٢٧٦٩).

• **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه**[1] :

فليس حسن النية بالرعية والإحسان إليهم، أن يفعل ما يَهَوونَه ويترك ما يكرهونه، فقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**﴾ [المؤمنون: ٧١]، وقال تعالى للصحابة: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ**﴾ [الحجرات: ٧].

وإنما الإحسان إليهم فعل ما ينفعهم في الدين والدنيا، ولو كرهه من كرهه، لكن ينبغي له أن يرفق بهم فيما يكرهونه، ففي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانُه**»[2]، وقال ﷺ: «**إن اللَّه رفيقٌ يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف**»[3].

وكان عمر بن عبد العزيز رضي اللَّه يقول: «واللَّه إني لأريد أن أُخرج لهم المُرَّة من الحق، فأخاف أن ينفروا عنها، فأصبر حتى تجيء الحلوة من الدنيا، فأخرجها معها، فإذا نفروا لهذه، سكنوا لهذه».

وهكذا كان النبي ﷺ، إذا أتاه طالب حاجة، لم يَرُدُّهُ إلا بها، أو بميسورٍ من القول.

وسأله مرة بعض أقاربه، أن يُوليهُ على الصدقات، ويرزقه منها، فقال: «**إن الصدقة لا تحل لمحمدٍ ولا لآلِ محمدٍ**»[4]، فمنعهم إياها وعوضهم من الفيء.

---

(١) «السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية».

(٢)، (٣) كلاهما صحيح، وقد تقدما.

(٤) انظر: «صحيح مسلم» (حديث ١٠٧٢).

وتحاكم إليه عليٌّ، وزيد، وجعفر، في ابنة حمزة، فلم يقض بها لواحد منهم، ولكن قضى بها لخالتها، ثم إنه طيَّب قلب كل واحد منهم بكلمة حسنة، فقال لعلي: «**أنت مني وأنا منك**»[1]، وقال لجعفر: «**أشبهتَ خَلْقي وَخُلُقي**»[1]، وقال لزيد: «**أنت أخونَا ومولانا**»[1].

فهكذا ينبغي لولي الأمر في قسمه وحكمه، فإن الناس دائمًا يسألون وليَّ الأمر ما لا يصلح بذله من الولايات، والأموال والمنافع والجود، والشفاعة في الحدود وغير ذلك، فيعوضهم من جهة أُخرى، إن أمكن، أو يردهم بميسور من القول، ما لم يحتج إلى الإغلاظ، فإن رد السائل يؤلمه، خصوصًا من يحتاج إلى تأليفه، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ**﴾ [الضحى: ١٠]، وقال تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**﴾ إلى قوله: ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٨].

وإذا حكم على شخص فإنه قد يتأذى، فإذا طيَّب نفسه بما يصلح من القول والعمل كان ذلك من تمام السياسة، وهو نظير ما يعطيه الطبيب للمريض من الطيب الذي يسوغ الدواء الكريه، وقد قال الله لموسى عليه السلام لما أرسله إلى فرعون: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾. [طه: ٤٤]

- وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما - لما بعثهما إلى اليمن: «**يسرا ولا تُعسرا، وبشرا ولا تُنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥١) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) صحيح، وقد تقدم.

وبال مرة أعرابي في المسجد فقـام أصحابه إليه فقال: «**لا تزرمـوه**» أي لا تقطعوا عليه بوله ـ ثم أمر بدلوٍ من ماءٍ فصب عليه[1] .

• وقال النبي ﷺ: «**إنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا معسرين**»[2].

والحديثان في «الصحيحين».

وهذا يحتاج إليه الرجل في سـياسة نفسه وأهل بيته ورعيـته، فإن النفوس لا تقبل الحق إلا بما تستـعين به من حظوظها التي هي محتاجة إليـها، فتكون تلك الحظوظ عـبـادة للَّه وطاعـة له مع النيـة الصـالحـة، ألا ترى أن الأكل والشرب واللباس واجب على الإنسان؟ حـتى لو اضطر إلى الميتة وجب عليه الأكل عند عامة الـعلماء، فإن لم يأكل حتى مات دخـل النار، لأن العبادات لا تؤدى إلا بهذا، وما لا يتم الواجب إلا بهو فهو واجب، ولهذا كانت نفقة الإنسان على نفـسه وأهله مقـدمة على غيرهـا، ففي «السنن» عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تَصدقوا**»، فقال رجلٌ: يا رسول اللَّه، عندي دينارٌ، فقال: «**تصدق به على نفسك**»، فقال: عندي آخر، قال: «**تصدق به على زوجتك**»، قال: عندي آخر، قال: «**تصدق به على ولدك**»، قال عندي آخـر: قال: «**تصدق به عـلى خادمك**»، قال: عندي آخـر، قال: «**أنت أبصرُ به**»[3].

• وفي «صحيح مسلم»[4] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول

---

(١)، (٢) صحيحان، وقد تقدما.

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٩١)، وغيره من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا، وفي رواية ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة كلام، وقد قال النبي ﷺ لزينب امرأة ابن مسعود: «زوجك وولدك أحق من تصدقت عليهم».

(٤) أخرجه مسلم (٩٩٥) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

اللَّه ﷺ: «**دينارٌ أنفقته في سبيل اللَّه، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**».

● وفي «صحيح مسلم»[1] عن أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا ابن ادم، إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك، وإن تُمسكه شرٌ لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى**».

وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾ [البقرة:٢١٩] أي: الفضل.

وذلك لأن نفقة الرجل على نفسه وأهله فرض عين، بخلاف النفقة في الغزو والمساكين، فإنه في الأصل: إما فرض على الكفاية، وإما مستحب، وإن كان قد يصير متعينًا إذا لم يقم غيره به، فإن إطعام الجائع واجب). انتهى كلام شيخ الإسلام.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٠٣٦) من حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ.

• ولا تكلف الرعية فوق طاقتهم •

• فإن اللَّه سبحانه وتعالى قد قال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

• وفي «الصحيح»[1] من طريق المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلةٌ وعلى غلامه حُلَّة فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببتُ رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ: **«يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم اللَّه تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»**.

• وقد كان النبي ﷺ يأخذ البيعة على أصحابه فيلقن بعضهم عند أخذها . . . فيما استطعت.

بل ولما أمر النبي ﷺ رجلاً يؤم قومه قال له: **«... واقتد بأضعفهم»**.

• أخرج أبو داود[2] من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي اللَّه عنه قال: يا رسول اللَّه اجعلني إمام قومي، قال: **«أنت إمامهم واقتد بأضعفهم، واتخذ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا»**.

• وأخرج عبد بن حميد[3] في «المنتخب» من حديث عمرو بن حريث رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«ما خففت عن خادمك من عمله كان لك أجرٌ في موازينك»**.

---

(١) البخاري (حديث ٣٠) و(حديث ٦٠٥٠)، ومسلم (حديث ١٦٦١).

(٢) أبو داود (حديث ٥٣١) بإسناد صحيح.

(٣) «المنتخب» (١/ ٢٥٨) (بتحقيقي).

• وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قلت: يا رسول اللَّه، أي الأعمال أفضلُ؟ قال: «**الإيمان باللَّه، والجهاد في سبيله**» قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «**أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمنًا**» قال: قلتُ: فإن لم أفعل؟ قال: «**تُعين صانعًا أو تصنع لأخرق**» قال: قلت: يا رسول اللَّه، أرأيت إن ضعفتُ عن بعض العمل؟ قال: «**تكف شرك عن الناس، فإنها صدقةٌ منك على نفسك**».

وللراعي أن يختبر الرعية للاطلاع على مدى صبرهم:

• قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وله أن يختار منهم الأفضل:

• قال سليمان عليه السلام: ﴿**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠].

وله أن يشترط على من يصحبه شروطًا:

• قال الخضر لموسى عليهما السلام: ﴿**فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ [الكهف: ٧٠].

---

(١) البخاري (حديث ٢٥١٨)، ومسلم (حديث ٨٤).

مراعاة سوابق الناس في الخير :

فلسبق الناس في الخير اعتبار، فمن كان صالحًا على الدوام وله سابقة في الخير وزلت قدمه في أمرٍ من الأمور فمثل هذا تُقال عثرته وتغفر زلته، وقد قدمنا بابًا في ذلك من قبل، وهذا مزيد:

● قال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الأنعام: ٥٤].

فمن ذلك قول النبي ﷺ في شأن الأنصار، وذلك لما لهم من سابقةٍ في الخير:

● أخرج البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: خرج رسول اللَّه ﷺ وعليه ملحفة متعطفًا بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، أيها الناس، إن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرًا يضر فيه أحدًا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم**».

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**الأنصار كرشي وعيبتي، والناس سيكثرون ويقلُّون، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**».

● وقوله ﷺ لعمر في شأن أهل بدرٍ: «**... وما يدريك لعل اللَّه اطلع على**

(١) البخاري (حديث ٣٨٠٠).
(٢) البخاري (حديث ٣٨٠١)، ومسلم (حديث ٢٥١٠).

من شهد بدرًا فقال: **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[١].

واحذر تتبع العورات :

● فقد أخرج أبو داود[٢] بإسناد صحيح عن معاوية رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم**».

لكن إن اشتهر شخص بالشر والفساد فلك أن تتبع الشر والفساد كي تزيله وتمنعه، فإن اللَّه لا يحب الفساد.

● وهذا رسول اللَّه ﷺ يتتبع ابن صياد للوقوف على شره والتمكن من إزلاته، ففي «الصحيح»[٣] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: انطلق رسول اللَّه ﷺ ومعه أُبي بن كعب قِبَل ابن صياد فحدث به في نخل فلما دخل عليه رسول اللَّه ﷺ النخل طفق يتقي بجذوع النخل وابن صياد في قطيفة له فيها رمرمة، فرأت أم صياد رسول اللَّه ﷺ فقالت: يا صاف هذا محمدٌ، فوثب ابن صياد، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو تركته بيَّن**».

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٧٤)، ومسلم (حديث ٢٤٩٤) من حديث علي رضي اللَّه عنه.

(٢) إسناده صحيح، وقد أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) من حديث معاوية رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣) البخاري (٣٠٣٣)، ومسلم (٢٩٣١).

هذا وقد أخرج أبو داود (١٣/ ٢٣٤) «عون المعبود» بإسناد صحيح عن زيد بن وهب قال: أُتي ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرًا، فقال عبد اللَّه: إنا قد نهينا عن

• المسئولون والشفاعات •

وعلى المسئول أن ينظر في مسألة الشفاعات، وهي توسطات الناس لديه فيقبل المشروع منها ويرفض المحرم.

فقبوله للشفاعات يجبر خواطر الناس ومن ثم تسير أعماله في طريقها سيرًا صحيحًا ويجلب له محبة الناس.

• وكان رسول اللَّه ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «**اشفعوا فلتؤجروا وليقض اللَّه على لسان نبيه ما شاء**»[1].

• أما الشفاعات المحرمة فترد ولا تقبل، وقد قال النبي ﷺ لأسامة لما شفع في شأن المخزومية التي سرقت: «**أتشفع في حدٍّ من حدود اللَّه يا أسامة**»[2].

واحذر الرشوة، وارفض الهدية إذا كانت رشوة عن الدين:

• فها هو سليمان عليه السلام يردُّ الهدية في حال كونها رشوة عن الدين قال سبحانه وتعالى في شأن ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام: ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ...**﴾ [النمل: ٣٥ - ٣٧].

ثم إن هذه الرشوة تفسد عليك العمل وتعطل عليك المصالح وتوغر ضدك الصدور، فضلاً عما فيها من إهدارٍ لحقوق كثير من العباد، فضلاً عما فيها من سخط الرب سبحانه وتعالى.

التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به.

(١) البخاري (٦٠٢٨)، ومسلم (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم ((١٦٨٨) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا.

وقد تقدم قول الرسول ﷺ لابن اللتبية لما جاء إلى رسول اللَّه ﷺ وكان قد أرسله على الصدقات فرجع فقال هذا لكم وهذا أهدي إليَّ فقال عليه الصلاة والسلام: «**هلا جلست في بيت أبيك أو في بيت أمك حتى تانظر ما يهدي لك..**»[١] !!

● **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه[٢] :**

ولا يجوز أن يُؤخذ من الزاني أو السارق أو الشارب أو قاطع الطريق ونحوهم مال تُعطل به الحدود، ولا لبيت المال ولا لغيره، وهذا المال المأخوذ لتعطيل الحد سُحت خبيث، وإذا فعل ولي الأمر ذلك، فقد جمع فسادين عظيمين أحدهما: تعطيل الحد، والثاني: أكل السحت، فترَكَ الواجب وفعل المحرَّم.

قال اللَّه تعالى: ﴿**لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [المائدة:٦٣]، وقال اللَّه تعالى عن اليهود: ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾ [المائدة:٤٢]، لأنهم كانوا يأكلون السحت من الرشوة التي تسمى البرطيل، وتسمى أحيانًا الهدية وغيرها.

ومتى أكل السحت ولي الأمر، احتاج أن يسمع الكذب من شهادة الزور وغيرها، وقد لعنَ رسول اللَّه ﷺ الرَّاشي والمرتشي والرائش - الواسطة - الذي يمشي بينهما. رواه أهل السنن[٣].

وقد قدمنا بابًا في الشفاعات، فليراجع.

(١) انظر: البخاري (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٢) في كتابه «السياسة الشرعية لإصلاح الراعي والرعية».

(٣) أخرج أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (حديث ١٣٣٧)، وغيرهما من حديث ابن عمر

● وفي «الصحيحين»: «أنَّ رجُلين اختصما إلى النبي ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول اللَّه، اقْض بيننا بكتابِ اللَّه، فقال صاحبه ـ وكان أفْقه منه ـ: نعم يا رسول اللَّه، اقْض بيننا بكتاب اللَّه، وائْذَن لي، فقال: «قـل». فقال: إن ابني كان عسيفًا في أهل هذا ـ يعني أجيرًا ـ فزنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاةٍ وخادم، وإني سألت رجالاً من أهل العلم أخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريبَ عامٍ، وإن على امرأةِ هذا الرجم، فقال: «**والذي نفسي بيده، لأقضين بينكما بكتاب اللَّه، المائةُ والخادمُ ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريبُ عامٍ، واغد يا أُنيس على امرأةِ هذا فأسألها، فإن اعترفت فارجمها**». فسألها، فاعترفت، فرجمها[1].

ففي هذا الحديث، أنه لما بُذلَ من المذنب هذا المال، لدَفع الحد عنه، أمر النبي ﷺ برد المال إلى صاحبه، وأمر بإقامة الحد، ولم يأخذ المال للمسلمين: من المجاهدين والفقراء وغيرهم.

= رضي اللَّه عنهما مرفوعًا بلفظ: «لعن رسول اللَّه ﷺ الراشي والمرتشي».
وله شاهد عند الترمذي (١٣٣٦) وغيره من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا، فالحديث صحيح بمجموع طرقه.
وله شاهد ثالث عند أحمد (٥/ ٢٩٧) من حديث ثوبان رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
ولفظة: «الرائش» عند أحمد (٥/ ٢٧٩) وفي سندها الليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط، وثمَّ أوجه أخرى للضعف فيها، واللَّه أعلم.
● قال الخطابي رحمه اللَّه في تعليقه على «سنن أبي داود»: الراشي: المعطي. والمرتشي: الآخذ، وإنما يلحقهما العقوبة معًا إذا استويا في القصد والإرادة، فرشا المعطي لينال به باطلاً ويتوصل به إلى ظلم، فأما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق أو يدفع عن نفسه ظلمًا فإنه غير داخل في هذا الوعيد.

(١) أخرجه البخاري (٦٨٢٧) و(٦٨٢٨)، ومسلم (١٦٩٧) و(١٦٩٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

وقد أجمع المسلمون على أن تعطيل الحد بمال يؤخذ أو غيره لا يجوز، وأجمعوا على أن المال المأخوذ من الزاني، والسارق، والشارب، والمحارب، وقاطع الطريق ونحو ذلك لتعطيل الحد: مالٌ سُحْتٌ خبيث.

وكثير مما يوجد من فساد أُمور الناس، إنما هو لتعطيل الحد بمال أو جاه، وهذا من أكبر الأسباب التي هي فساد أهل البوادي والقرى والأمصار من الأعراب، والتركمان، والأكراد، والفلاحين، وأهل الأهواء: كقيس، ويمن، وأهل الحاضرة من رؤساء الناس وأغنيائهم وفقرائهم، وأمراء الناس ومقدميهم وجندهم، وهو سبب سقوط حرمة المتولي، وسقوط قدْرِه من القلوب، وانحلال أمره، فإذا ارتشى وتبرطل على تعطيل حدٍّ، ضعفت نفسه أن يقيم حدًّا آخر، وصار من جنس اليهود الملعونين.

وأصل البرطيل هو الحجر المستطيل، سميت به الرشوة؛ لأنها تُلْقِمُ المرتشي عن التكلم بالحق، كما يلقمه الحجر الطويل، كما قد جاء في الأثر: «إذا دَخَلَتِ الرشوةُ من البابِ، خَرَجتِ الأمانةُ من الكوةِ»، وكذلك إذا أخذ مالاً للدولة على ذلك، مثل هذا السحت الذي يسمي: التأديبات.

ألا ترى أن الأعراب المفسدين إذا أخذوا مالاً لبعض الناس، ثم جاءوا إلى وليّ الأمر فقادوا إليه خيلاً يقدمونها له أو غير ذلك، كيف يُقوي طمعهم في الفساد، وتنكسر حرمة الولاية والسلطنة، وتفسد الرعية؟ وكذلك الفلاحون وغيرهم، وكذلك شارب الخمر، إذا أُخذ فدفع ببعض ماله، كيف يطمع الخمارون؟ فيرجون إذا أمسكوا أن يفتدوا ببعض أموالهم، فيأخذها ذلك الوالي سحتًا، لا يبارك فيها والفساد قائم.

وكذلك ذوو الجاه، إذا أَحْمَوْا أحدًا أن يقام عليه الحد، مثل أن يرتكب بعض الفلاحين جريمة، ثم يأوي إلى قرية نائب السلطان أو أمير، فيحمي على اللَّه ورسوله، فيكون ذلك الذي حماه ممن لعنه اللَّه ورسوله، فقد روى مسلم في «صحيحه»[١]، عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لَعَنَ اللَّه مَنْ أَحْدَثَ حدثًا أو آوى مُحدثًا»**، فكل من آوى محدثًا من هؤلاء المحدثين، فقد لعنه اللَّه ورسوله.

وإذا كان النبي ﷺ قد قال: **«إن من حالت شفاعتهُ دون حدٍّ من حدود اللَّه، فقد ضاد اللَّه في أمره»**[٢]، فكيف بمن منع الحدود بقدرته ويده، واعتاض عن المجرمين بسحت من المال يأخذه؟! لا سيما الحدود على سكان البر، فإن من أعظم فسادهم حماية المعتدين منهم بجاه أو مال، سواء كان المال المأخوذ لبيت المال أو للوالي سرًا أو علانية، فذلك محرم جميعه بإجماع المسلمين، وهو مثل تضمين الحانات والخمر، فإن من مكَّن من ذلك، أو أعان أحدًا عليه بمال يأخذه منه، فهو من جنس واحد.

---

(١) عند مسلم (١٩٧٨) من حديث علي رضي اللَّه عنه مرفوعًا قال: «لعن اللَّه من آوى مُحدثا..».

وعند مسلم أيضًا (١٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرمٌ فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدلٌ ولا صرفٌ».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧) من طريق يحيى بن راشد عن ابن عمر مرفوعًا، وقد أعلَّ بالوقف كما أشار إليه الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في «فتح الباري» (١٢/ ٨٧) كتاب الحدود باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السطان، فقد قال الحافظ رحمه اللَّه: وأخرجه ابن أبي شيبة من وجه آخر أصح منه عن ابن عمر موقوفًا، ثم أشار رحمه اللَّه إلى بعض الشواهد للمرفوع، والشواهد التي أشار إليها هو وغيره فيها ضعف، واللَّه أعلم.

والمال المأخوذ على هذا شبيه بما يؤخذ من مَهرِ البَغِيّ وحلوان الكاهن، وثمن الكلب، وأجرة المتوسط في الحرام الذي يسمى: القوَّاد، قال النبي ﷺ: «ثَمَنُ الكلب خبيثٌ، ومهرُ البَغي خبيثٌ، وحُلوانُ الكاهنِ خبيثٌ» رواه البخاري(١).

فمهر البغي الذي يسمى: حدور القحاب، وفي معناه ما يُعطاه المخنثون الصبيان من المماليك أو الأحرار على الفجور بهم، وحلوان الكاهن مثل حلاوة المنجم ونحوه، على ما يخبر به من الأخبار المبشرة بزعمه، ونحو ذلك.

وَوَلِيُّ الأمر إذا ترك إنكار المنكرات، وإقامة الحدود عليها، بمال يأخذه، كان بمنزلة مُقدِّم الحرامية، الذي يقاسم المحاربين على الأخيذة، وبمنزلة القَوَّاد الذي يأخذ ما يأخذه ليجمع بين اثنين على فاحشة، وكان حاله شبيهًا بحال عجوز السوء امرأة لوط التي كانت تدل الفجار على ضيفه التي قال الله تعالى فيها: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [هود: ٨١].

فعذَّب اللَّه عجوز السوء القوادة، بمثل ما عذب قوم السوء الذين كانوا يعملون الخبائث، وهذا لأن هذا جميعه أخذ مال للإعانة على الإثم

(١) الذي في البخاري (٥٧٦١) وفي مواطن أخر من حديث أبي مسعود رضي اللَّه عنه قال: «نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي».
وعند مسلم في المساقاة من حديث رافع بن خديج رضي اللَّه عنه مرفوعًا (١٥٦٨): «ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وكسب الحجام خبيث».

والعدوان، وولي الأمر إنما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وهذا هو مقصود الولاية، فإذا كان الوالي يُمكّنُ من المنكر بمال يأخذه، كان قد أتى بضد المقصود، مثل مَن نصبتهُ ليعينك على عدوِّك، فأعان عدوك عليك! وبمنزلة من أخذ مالاً ليجاهد به في سبيل اللَّه، فقاتل به المسلمين! يوضح ذلك أن صلاح العباد والبلاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن صلاح المعاش والعباد في طاعة اللَّه ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس. قال اللَّه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال اللَّه تعالى عن بني إسرائيل: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]). اهـ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

● ولا تكن دائم التكليف للرعية، ودائم إصدار الأوامر! بل خلِّل ذلك بإدخالك عليهم ما يسعدهم، وأخبرهم بما يجلب عليهم السعادة والسرور، بكلمات طيبة وبمكافآت مالية، وبترقيات في الدرجات للمجدين والمجتهدين، وخذ بيد الضعفاء منهم لما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

وإذا أرسلت نائبًا عنك إلى قوم فأرسل إليهم من يحبونه:

فإن ذلك أدعى إلى قبول قوله وتنفيذ أمره وإجابة طلبه، وقد فعل ذلك

رسول اللَّه ﷺ إذ أرسل عثمان إلى أهل مكة عند بيعة الرضوان للتفاوض مع أهل مكة لكون عثمان كان عزيزًا عليهم.

قال ابن عمر رضي اللَّه عنهما[١] في بيان سبب تخلف عثمان رضي اللَّه عنه عن بيعة الرضوان: .. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يد عثمان**» فضرب بها على يده فقال: «**هذه لعثمان**».

وينبغي أن يحرص المسئول على الآخرة ونجاة الرعية من النار:

فهذا أهم من صلاحهم في الدنيا، وقد كان النبي ﷺ يحرص على ذلك.

● ففي «الصحيحين»[٢] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه: أن رسول اللَّه ﷺ أعطى رهطًا وسعدٌ جالسٌ فيهم، قال سعدٌ: فترك رسول اللَّه ﷺ منهم من لم يعطه، وهو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول اللَّه، ما لك عن فلانٍ فواللَّه إني لأراه مؤمنًا؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أو مُسلمًا**» قال: فسكتُّ قليلاً، ثم غلبني ما أعلمُ منه، فقلت: يا رسول اللَّه، ما لك عن فلانٍ فواللَّه إني لأراه مؤمنًا؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أو مسلمًا**» قال: فسكتُّ قليلاً، ثم غلبني ما علمت منه، فقلت: يا رسول اللَّه، ما لك عن فلانٍ فواللَّه إني لأراه مؤمنًا؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أو مسلمًا، إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه؛ خشية أن يكب في النار على وجهه**».

● وأخرج البخاري[٣] من حديث عمرو بن تغلب رضي اللَّه عنه أن رسول

---

(١) أخرج ذلك البخاري (حديث ٤٠٦٦).

(٢) البخاري (حديث ١٤٧٨)، ومسلم (حديث -١٥).

(٣) البخاري (حديث ٩٢٣).

اللَّـه ﷺ أتي بمال - أو سبي - فقسمه فـأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين تركوا عتبوا، فحمد اللَّه، ثم أثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد، فواللَّه إني لأعطي الرجل والذي أدع أحب إليَّ من الذي أعطي، ولكن أعطي أقـوامًا لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلـع، وأكلُ أقوامًا إلى ما جـعل اللَّه في قلوبهم من الغنى والخيـر فيهم عـمرو بن تغلب**»، فواللَّه ما أحب أن لي بـكلمة رسول اللَّه ﷺ حُمرَ النعم.

ومن الأدب مع الخدم:

● أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: «**إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامه فإن لم يُجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلةً أو أكلتين، فإنه وليَ علاجه**»[2].

وقد أخـرج مسلم[3] في «صحيحه» من حـديث أبي مسعود البدري رضي اللَّه عنه قال: كنت أضرب غـلامًا لي بالسوط، فسـمعت صوتًا من خلفي: «**اعلم أبا مسـعود**» فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا منِّي إذا هو رسـول اللَّه ﷺ فإذا هو يـقول: «**اعلم أبا مسعود، اعـلم أبا مسعود،**» قـال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «**اعلم أبا مسعود، أن اللَّه أقدر عليك منك على هذا الغلام**» قال: فقلتُ: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٥٧).

(٢) وفي رواية البخاري (٥٤٦٠): «فـإنه وليَ حرَّه وعلاجه»، قال الحافظ ابن حـجر رحمه اللَّه: «فإنه ولي حـرَّه» أي: عند الطبخ (وعلاجـه) أي: عند تحصـيل آلاته، وقبل وضع القدر على النار، ويؤخذ من هذا في معنى الطباخ حـامل الطعام لوجود المعنى فيه، وهو تعلّق نفسه به، بل يؤخذ منه الاستحباب في مطلق خدم المرء ممن يعاني ذلك.

(٣) مسلم (حديث ١٦٥٩).

ولا تضرب الخدم والعمال على الوجوه، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك :

● ففي «الصحيح»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «**إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه**».

● وأخرج مسلم[٢] من طريق عمير مولى آبي اللحم قال: أمرني مولاي أن أُقدِّد لحمًا فجاءني مسكين فأطعـمته منه، فعلم بذلك مولاي فضربني، فأتيت رسول اللَّه ﷺ فذكرت له فدعاه فقال: «**لم ضربته؟!**» فقال: يُعطي طعامي بغير أن آمره، فقال: «**الأجر بينكما**».

وفي باب تأديب الخدم :

احذر الضرب الشديد، واحذر اللطم على الوجوه كما قدمنا.

● ففي «صحـيح مسلم»[٣] من حديث أبي مسـعود البدري رضي اللَّه عنه قال: كنت أضرب غـلامًا لي بالسوط، فسمـعت صوتًا من خلفي: «**اعـلـم أبا مسعود**» فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا منِّي إذا هو رسول اللَّـه ﷺ فإذا هو يـقول: «**اعلم، أبا مسعود، اعـلم أبا مسعود**» قال: فـألقيت السوط من يدي، فـقال: «**اعلم أبا مسـعود، أن اللَّه أقـدر عليك منك على هذا الغلام**» قال: فقلتُ: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

● وفي «صحيح مسلم»[٤] كذلك من حديث معاوية بن سويد قال: لطمت مولىً لنا فهربت، ثم جئت قبـيل الظهر فصليت خلف أبي، فدعاه ودعاني،

---

(١) البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢).
(٢) مسلم (حديث ١٠٢٥).
(٣) مسلم (١٦٥٩).
(٤) مسلم (حديث ١٦٥٨).

ثم قال: امتثل منه، فعفا، ثم قال: كنا - بني مقرن - على عهد رسول اللَّه ﷺ ليس لنا إلا خادمٌ واحدةٌ فلطمها أحدنا، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**أعتقوها**» قالوا: ليس لهم خادمٌ غيرها، قال: «**فليستخدموها فإذا استغنوا عنها، فليخلُّوا سبيلها**».

• وعند مسلم[1] كذلك من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أنه دعا بغلام له فرأى بظهره أثرًا، فقال له: أوجعتك؟ قال: لا، قال: فأنت عتيقٌ، قال: ثم أخذ شيئًا من الأرض فقال: ما لي فيه من الأجر ما يزن هذا، إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من ضرب غلامًا له حدًا لم يأته، أو لطمه، فإن كفارته أن يُعتقه**».

مضاعفة الثواب أو العقاب حسب القرائن :

فعلى حسب أحوال الأشخاص تتنزل الجزاءات، فمن عنده قدرةٌ وذكاء وحصل منه تقصير متعمد في عمله فهذا يعاقب، أما العاجز قليل القدرة ضعيف الحيلة فلا يؤاخذ إلا بقدر طاقته وقدر استطاعته.

وضعيف الهمة إذا أتى يومًا بما ينمُّ عن اجتهادٍ ونشاط يُجازى أكثر من غيره مساعدة له لرفع همته.

وقد دلت نصوص الشريعة على ما ذكرناه :

• فمن ذلك قول النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[2].

---

(١) مسلم (ص١٢٧٩).

(٢) مسلم (حديث ١٠٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

● فالزنى له عقوبة، لكنه إذا صدر من شيخ فعقوبته الأخروية عليه أشد، وذلك لأنه يفترض في الشيخ الإعراض عن هذا والانكفاف عنه لكبر سنه ولمعرفته بسنن اللَّه في الحياة، وسنن اللَّه في العصاة، فمن ثم غُلِّظت العقوبة له.

● وكذلك هذا الملك الكذاب ليس هناك ما يدعوه إلى الكذب، فالرعية كلها رعيته، وهو الذي يأمر فيهم وينهى وليس هناك متسلطٌ عليه بل هو المتسلط، ومن تحت يده بالنسبة له ضعفاء، فإذا كذب ـ حيث لا داعي للكذب ـ وغش الضعفاء، ضوعف له حينئذ العذاب وشُدِّد عليه فيه.

● وكذلك المستكبر، فالكبر مذموم، ولكن إذا صدر هذا الاستكبار والتعالي على الخلق من رجل فقير يعول أولادًا، فإثمه حينئذ أشد.

● ومن ذلك قول اللَّه سبحانه وتعالى في شأن نساء نبيه ﷺ: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٣٠ ـ ٣١].

فقد منَّ اللَّه سبحانه وتعالى عليهن بالزواج من رسول اللَّه ﷺ ـ وهذه نعمة من أعظم النعم ـ إذ جعلهن اللَّه أمهاتٍ للمؤمنين، فمن شكرت هذه النعمة وعملت بمقتضى هذا الشكر يؤتها اللَّه أجرها مرتين.

وفي المقابل من لم تشكر هذه النعمة، وتجرأت وأتت بفاحشة مبينة ـ وحاشاهن من ذلك ـ ضوعف لها العذاب ضعفين.

● ومن ذلك مضاعفة أجر الكتابي الذي آمن بنبيه وآمن بالنبي ﷺ كما قال النبي ﷺ: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ﷺ**

وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدَّقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق اللَّه تعالى وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»[1].

• ومن ذلك أيضًا تخفيف العقوبة ـ عقوبة الزنا ـ عن الإماء، فالإماء لسن كالحرائر، فمن عنده أمةٌ لا يجب عليه أن يقسم لها كما يقسم للحرة، بل إن شاء جامعها وإن شاء ترك.

فلكونهن في هذا الباب لسن كالحرائر، ولاعتبارات أخرى يعلمها اللَّه، خففت عنهن عقوبة الزنا، فقال سبحانه في شأنهن: ﴿**فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**﴾ [النساء: ٢٥].

* * *

(١) الحديث في «الصحيحين» (البخاري ٥٠٨٣)، ومسلم (١٥٤) واللفظ لمسلم من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• مبدأ الثواب والعقاب والتشجيع والتوبيخ •

فأنت في حاجة أيها المسئول إلى إكرام المُجد المجتهد في عمله وإنزال العقوبة بأهل الكسل والإهمال.

• فهذا نبي اللَّه سليمان ﷺ يقف متكئًا على عصاه يتابع أحوال العمالة والعمال، ولا يفرِّط ولا يُقصِّر في مسئوليته، قال اللَّه سبحانه وتعالى في شأن الجان الذين يعملون لسليمان عليه السلام: ﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴿١٣﴾ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾ [سبأ: ١٣ - ١٤].

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ**﴾ [سبأ: ١٤].

فلم يحمله ملكه على الانغماس في الشهوات والملذات وترك المصالح والأعمال! وقبل هذه الآيات يقول اللَّه سبحانه: ﴿**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [سبأ: ١٢].

والعقوبات تردع عن ارتكاب الجنايات، ومن ثمَّ شرعت العقوبات وهذا من الواضح المعلوم:

• وقد ذكر اللَّه السارق والسارقة فقال سبحانه: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ**﴾ [المائدة: ٣٨].

● وذكر اللَّه المظاهر من زوجته فقال: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].

● ثم ذكر اللَّه عقوبة هذا المظاهر فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣]، فقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: تزجرون به، فمن علم أنه إذا ظاهر من امرأته سيحرر رقبة قيمتها (على سبيل المثال) خمسة آلاف جنيه سينزجر - إن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر - عن الظهار، ومن أيقن أن يده ستقطع إذا سرق انكف بلا شك عن السرقة.

ثم إنك في حاجة إلى إكرام المحسن والمجد والمجتهد، ومكافأة المثيب:

● فهذا رسولنا ﷺ يشجع أصحابه المجاهدين بأنواع من التشجيع فيقول عليه الصلاة والسلام: «**من قتل قتيلاً فله سَلَبه**»[1].

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٣١٤٢)، ومسلم (ص١٣٧٠ - ١٣٧١) من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة[1]، قال: فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين[2]، فاستدرت إليه=

---

(١) جولة: أي: انهزام وخيفة ذهبوا فيها، وهذا إنما كان في بعض الجيش، وأما رسول اللَّه ﷺ وطائفة معه فلم يولوا، والأحاديث الصحيحة بذلك مشهورة، وسيأتي بيانها في مواضعها، وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يقال انهزم النبي ﷺ، ولم يرو أحد قط أنه انهزم بنفسه ﷺ في موطن من المواطن، بل ثبتت الأحاديث الصحيحة بإقدامه وثباته ﷺ في جميع المواطن.

(٢) قد علا رجلاً من المسلمين: يعني: ظهر عليه وأشرف على قتله، أو صرعه وجلس عليه لقتله.

• ويشجع بكلمات طيبة أيضًا فيقول: «**كان خيرَ فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة**»[١].

• ويقول في شأن خالد: «**إن خالدًا سيف سلَّه اللَّه على المشركين**»[٢].

* * *

حتى أتيته من ورائه، فضربته على حبل عاتقه[١]، وأقبل عليَّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت[٢]، ثم أدركه الموت، فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب فقال: ما للناس؟ فقلت: أمر اللَّه، ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول اللَّه ﷺ فقال: «من قتل قتيلاً، له عليه بينة[٣]، فله سلبه[٤]» قال: فقمت، فقلت: من يشهد لي[٥]؟ ثم جلست، ثم قال مثل ذلك، فقال: فقمتُ فقلتُ: من يشهدُ لي؟ ثم جلستُ، ثم قال ذلك الثالثة، فقمتُ فقال رسول اللَّه ﷺ: «ما لك يا أبا قتادة؟» فقصصت عليه القصة، فقال رجلٌ من القوم: صدق يا رسول اللَّه، سلبُ ذلك القتيل عندي، فأرضه من حقه، وقال أبو بكرٍ الصديقُ: لا ها اللَّه، إذن[٦] لا يعمدُ[٧] إلى أسد من أُسد اللَّه يُقاتلُ عن اللَّه وعن رسوله فيعطيك سلبهُ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «صدق[٨]، فأعطه إياه» فأعطاني.

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٠٧).

(٢) صحيح، وقد تقدم.

---

(١) على حبل عاتقه: هو: ما بين العنق والكتف.

(٢) وجدت منها ريح الموت: يحتمل أنه أراد شدة كشدة الموت، ويحتمل قاربت الموت.

(٣) له عليه بينة: أي: بينة على قتله، أي: شاهد، ولو واحدًا.

(٤) فله سلبه: هو ما على القتيل ومعه من ثياب وسلاح ومركب وجنيب يقاد بين يديه.

(٥) من يشهد لي: أي: بأني قتلت رجلاً من المشركين، فيكون سلبه لي.

(٦) لا ها اللَّه: لا واللَّه.

(٧) لا يعمد: الضمير عائد إلى النبي ﷺ، أي: لا يقصد عليه السلام إلى إبطال حق أسد من أسود اللَّه يقاتل في سبيله، وهو أبو قتادة، بإعطاء سلبه إياك.

(٨) صدق: أي أبو بكر الصديق.

• التثبت من الأخبار •

وينبغي أن يتثبت الشخص من الأخبار خاصة التي تصله عن إخوانه أهل الإيمان.

فالشائعات تنتشر في أوساط أهل الصلاح، شائعات لا أصل لها ولا أساس، تجد من يروجها ويتلقاها عنه آخرون بالبث والنشر والإفشاء.

ألا ترى أن خير القرون وأصحاب الرسول ﷺ تفشت في كثير منهم تلكم المقولة الخبيثة والفرية العظيمة، ألا وهي قذف أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها الطيبة الطاهرة، ورميها بصفوان بن المعطل السلمي، وكان الذي تولى كِبْرَ هذه الفرية: عبد اللَّه بن أُبي ابن سلول وتلقاها عنه صحابة كان في كثير منهم فضل ولهم سوابق خير في الدفاع عن رسول اللَّه ﷺ: كمسطح بن أُثاثة الذي شهد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ، وكحسان بن ثابت الذي كان يُنافح ويدافع بشعْره عن رسول اللَّه ﷺ! وكحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش رضي اللَّه عنها!

وها هو حديث آخر يوضح كيف أن الصحابيات كن يتحدثن فيما بينهن بأمور لا أصل لها ولا أساس:

• فها هي أم حبيبة تعرض على رسول اللَّه ﷺ أختها كي يتزوجها فيتعجب من ذلك رسول اللَّه ﷺ فيقول لها: «**أو تحبين ذلك؟**» فتقول: لست لك بمخلية (أي لست لك بتاركة، ولا مفارقة) ولكن أحب من شاركني في خير أختي، فيقول لها النبي ﷺ: «**إنها لا تحل لي**» فتقول: فإنا نتحدث يا رسول اللَّه أنك ستنكح زينب ابنة أم سلمة!! فيقول عليه الصلاة

والسـلام: «**بنت أبي سلمة؟!**» فتقول أم حبيبة: نعم يا رسول اللَّه، فيقول عليه الصلاة والسلام: «**إنها لو لم تكن ربيبة في حجري ما حلت لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة: أرضعتني وأبا سلمة: ثويبة**».

● وها هو نص الحديث بذلك:

● أخرج البخاري[1] من حديث أم حبيبة رضي اللَّه عنها قالت: قلت يا رسول اللَّه، أنكح أختي بنت أبي سفيان، قال: «**وتحبين؟**» قلتُ: نعم لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: «**إن ذلك لا يحل لي**» قلت: يا رسول اللَّه فواللَّه إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة، قال: «**بنت أم سلمة؟!**» فقلت: نعم، قال: «**فواللَّه لو لم تكن في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة: ثويبة، فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن**».

فانظر إلى تحدثهن بأحاديث بناءً على ظنونهن، أحاديث ليس لها أساس ولا أصل.

وأحيانًا يكون للحديث أساس لكن يتوسع فيه ويزاد عليه ما ليس منه فإذا رددته إلى أصله تبين لك الصحيح منه من السقيم.

● ومن ذلك أن النبي ﷺ آلى من نسائه: (أي أقسم ألا يدخل عليهن شهرًا) واعتزلهن عليه الصلاة والسلام في مَشربةٍ له فتحدث الناس بذلك، وزادوا فيه أن النبي ﷺ طلَّق أزواجه إلى أن جاء عمر رضي اللَّه عنه واستأذن

---

(١) البخاري (حديث ٥١٠٧).

على رسـول اللَّه ﷺ وسأله: هل طلقت نساءك يا رسـول اللَّه؟ فقال: «لا» فكبَّر عمـر، وأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وها هو الحديث بذلك[١] :

● أخرج مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: لما اعتزل نـبي الـلَّـه ﷺ نساءه قـال: دخلت المسجـد، فإذا الناسُ ينكتـون بالحصى ويقولون: طلَّق رسول اللَّه ﷺ نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر: فقلتُ: لأعلمن ذلك اليوم، قال: فدخلت على عائشة فقلت: يا بنت أبي بكر، أقد بلغَ من شـأنكِ أن تُؤذي رسول اللَّه ﷺ؟ فقالت: مـا لي وما لك يابن الخطاب؟ عليك بعـيبـتك[٢] قال: فـدخلت على حفصة بنت عـمر فقلت لها: يا حفصـة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول اللَّه ﷺ؟ واللَّـه لقد علمـت أن رسول اللَّه ﷺ لا يحبُّك ولولا أنا لطـلقك رسول اللَّه ﷺ، فبكتْ أشد البكاء، فقلت لها: أين رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: هو في خزانته[٣] في المشربة[٤] فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول اللَّه ﷺ قاعدًا على أُسْكُفَّةِ[٥]

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٤٧٩).

(٢) عليك بعـيبتـك: المراد عليك بوعظ بنتك حفـصة، قـال أهل اللغة: العـيبـة، في كلام العرب، وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه فشبهت ابنته بها.

(٣) خزانته: الخزانة مكان الخزن، كالمخزن، وما يخزن فيه يسمى خزينة.

(٤) المشربة: قـال في «المصبـاح»: بفتح الميم والراء الموضع الذي يشـرب منه الناس، وبضم الراء وفتحها الغرفة.

(٥) أسكفة: هي عتبة الباب السفلى.

المشربة، مدلٍّ رجليه[١] على نقير[٢] من خشب، وهو جذع يرقى عليه رسول اللَّـه ﷺ وينحدر فناديت: يا رباح، استـأذن لي عندك على رسول اللَّه ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليّ فلم يقل شيئًا، ثم قلت: يا رباح، استأذن لي عندك على رسـول اللَّه ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفـة ثم نظر إليّ فلم يقل شيئًـا، ثم رفعت صوتي فقلت: يا رباح، استـأذن لي عندك على رسول اللَّه ﷺ فإني أظن أن رسول اللَّه ﷺ ظن أني جئت من أجل حفصة، واللَّه لئن أمرني رسـول اللَّه ﷺ بضرْب عنقها لأضربن عنقـها ورفعت صوتي، فأومأ إليّ أن ارْقَـهْ[٣] فدخلت علـى رسول اللَّه ﷺ وهو مضطجعٌ على حـصير، فجلست فـأدنى عليه إزاره وليس عليـه غيره وإذا الحـصير قـد أثّر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول اللَّه ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلهـا قرظًا[٤] في ناحية الغـرفة وإذا أفيق[٥] معلق قال: فـابتدرت عيناي[٦] قـال: «**مـا يبكيك يابن الخطاب؟**» قلت: يا نبي اللَّه، ومـا لي لا أبكي؟ وهذا الحصـير قـد أثّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فـيهـا إلا ما أرى، وذاك قيـصر وكسـرى في الثمار والأنهـار وأنت رسول اللَّه ﷺ وصـفـــوته وهذه

---

(١) مدلّ رجليه: أي مرسلهما.

(٢) نقير: أي على شيء من خشب نقر وسطه حتى يكون كالدرجة، قال النووي: هذا هو الصحيح الموجود في جميع النسخ، وذكر القاضي أنه بالفاء بدل النون وهو فقير بمعنى مفقور، مأخوذ من فقار الظهر، وهو جذع فيه درج.

(٣) أن ارقه: أي أشار إلى رباح بالصعود إلى المشـربة بواسطة ذلك الجذع المنقور كالسلم، فـ (أن) تفسيرية، و(ارقه) أمر من الرقيّ، والهاء في آخره للسكت وفي الكلام حذف تقديره فرقيت فدخلت.

(٤) قرظًا: القرظ ورق السَلَم يدبغ به.

(٥) أفيق: هو الجلد الذي لم يتم دباغه، وجمعه أَفَق، كأديم وأَدَم، وقد أفق أديه يأفقه.

(٦) فابتدرت عيناي: أي لم أتمالك أن بكيت حتى سالت دموعي.

خزانتك؟!! فقال: «**يابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟**» قلت: بلى، قال: ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب فقلت: يا رسول اللَّه، ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلَّقتهن فإن اللَّه معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت - أحمدُ اللَّهَ - بكلام إلا رجوت أن يكون اللَّه يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه الآية آية التخيير: ﴿**عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**﴾ [التحريم: ٥].

وكانت عائشة رضي اللَّه عنها بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه، أطلقتَهن؟ قال: «**لا**» قلت: يا رسول اللَّه، إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون: طلق رسول اللَّه ﷺ نساءه أفأنزِلُ فأخبرهم أنك لم تطلقهن؟ قال: «**نعم، إن شئت**» فلم أزل أحدِّثه حتى تحسّر الغضب[1] عن وجهه وحتى كشر[2] فضحك وكان من أحسن الناس ثغرًا ثم نزل نبي اللَّه ﷺ ونزلت، فنزلت أتشبث[3] بالجذع، ونزل رسول اللَّه ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقلت: يا رسول اللَّه، إنما كنت في الغرفة تسعةً وعشرين، قال: «**إن الشهر يكون تسعًا وعشرين**» فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول اللَّه ﷺ نساءه.

---

(١) تحسر الغضب: أي زال وانكشف.

(٢) كشر: أي أبدى أسنانه تبسمًا ويقال: أيضًا في الغضب.

قال ابن السكيت: كشر وبسم وابتسم وافترّ، كله بمعنى واحد، فإن زاد قيل: قهقه وزهزق وكركر.

(٣) أتشبث: أي مستمسكًا بذلك الجذع، الذي هو كالسلم للغرفة، قاله النووي.

ونزلت هذه الآية: ﴿**إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: ٨٣]، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله عز وجل آية التخيير» اهـ.

فالشائعات والأراجيف تنتشر في أوساط الناس بصورة سريعة بل في غاية السرعة انتشار النار في الهشيم.

ومن ثم استعملها أهل النفاق للنيل من المؤمنين ولتفتيت وحدتهم وتفريق كلمتهم وتشتيت شملهم، ومن ثم قال تعالى: ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٦٠].

وجاءت نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة تحث على الظن الحسن بالمؤمنين وتأمر بالتثبت من الأخبار بشأنهم:

- قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[1] [الحجرات: ٦].

(١) قلت: وقد ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ...﴾ [الحجرات: ٦]، آثار في أسانيد كل منها مقال، والبعض يحتج بها بمجموع طرقها.
قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم»:
قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط، لما بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق - بعد الوقعة - مصدقًا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيمًا لأمر رسول الله ﷺ فحدثه الشيطان: أنهم يريدون قتله، فهابهم، ورجع =

● وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ [النساء: ٩٤].

● وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

= من الطريق إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق منعوا صدقاتهم، وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ، وهمَّ أن يغزوهم فبلغ القومَ رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله، فبدا لنا فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر، وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال له: «انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار»، ففعل ذلك خالد، ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فرجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

والنبأ: هو الخبر الغائب عن المخبر، إذا كان له شأن.

والتبين: طلب بيان حقيقته، والإحاطة بها علمًا.

وها هنا فائدة لطيفة: وهي أنه سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة! وإنما أمر بالتبين، فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه عمل بدليل الصدق، ولو أخبر به من أخبر، فهكذا ينبغي الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته.

وكثير من الفاسقين يصدقون في أخبارهم ورواياتهم وشهاداتهم بل كثير منهم يتحرى الصدق غاية التحري، وفسقه من جهات أخر، فمثل هذا لا يرد خبره ولا شهادته، ولو ردت شهادة مثل هذا وروايته لتعطلت أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصحيحة، ولا سيما من فسقه من جهة الكذب: فإن كثر منه وتكرر بحيث يغلب كذبه على صدقه فهذا لا يقبل خبره ولا شهادته، وإن ندر منه مرة أو مرتين ففي رد شهادته وخبره بذلك قولان للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد رحمه الله.

• وقال تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

• وإن شئت فاقرأ قوله تعالى: ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٥ - ١٧].

• وقال النبي ﷺ: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»[(١)].

وكثير من الناس لا يتعمدون الكذب ولكنهم ينقلون الأحداث بالمعاني وينقلون ألفاظًا بمعانيها التي استقرت في أذهانهم فيخطئون في النقل ويتحرف معهم الكلم عن مواضعه، فينبغي أن ينظر الشخص أيضًا في أحوال النقلة من هذا الجانب جانب ضبط الأحداث وإتقان النقل.

وهذا يحدث كثيرًا حتى في بعض النقلة الذين ينقلون حديث رسول اللَّه ﷺ بالمعنى، فضلاً عن عوام الناس، فمثلاً حديث: «**الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار**»، والصحيح في لفظه: «**المسلمون شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار**»[(٢)]، بلفظ: «**المسلمون**»، بدلاً من: «**الناس**» ولا شك أن المعنى يختلف.

---

(١) البخاري (حديث٥١٤٣)، ومسلم (حديث٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة. رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) وانظر التفصيل في هذا في «إرواء الغليل» (١٥٥٢) فقد استفاض في إيضاح ذلك هناك الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه اللَّه تعالى، وكذلك فتخريج الحديث هناك.

وكذلك حديث: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»[١] رجَّح كثير من أهل العلم[٢] أن الصواب فيه: «**ما أذن اللَّه لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به**»[٣] والفرق بين اللفظين واضح.

فإذا كان هذا يقع في حديث رسول اللَّه ﷺ، فمن باب أولى أن يقع في أحاديث الناس ونقولات الناس.

* * *

(١) الحديث بلفظ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» عند البخاري في «صحيحه» (٥٧٢٧).

(٢) انظر شيئًا من هذا في كتاب «التتبع» (ص ١٢٦) للدارقطني رحمه اللَّه تعالى.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٨٢)، ومسلم (حديث ٧٩٢)، من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• ما حملك على ما صنعت ؟! •

كلمة ينبغي أن تكون شعارًا يرفعه المؤمن إذا فعل أخوه المؤمن شيئًا مشينًا أو إذا كان قاضيًا يقضي بين العباد!!

وهي كلمة قالها الرسول ﷺ لحاطب لما أرسل رسالة إلى المشركين يخبرهم فيها ببعض أمر رسول اللَّه ﷺ[1].

• وقد ذكر بعض العلماء أن سبب قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤]، هو أن داود عليه السلام قضى للخصم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر:

• قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢١ - ٢٤].

وإذا جاءك شخص صالح بخبر فهل لك أن تتثبت؟ أم تقبله فورًا؟

الظاهر واللَّه أعلم أننا في الأصل نقبله لصلاح هذا الرجل وعدالته، أما إذا كان الخبر مستغربًا، أو كان الرجل قد انفرد بالخبر عن الناس، أو أن الخبر يعارض أشياء ثوابت عندك مدعمة بأدلتها، أو كان الرجل بينه وبين قوم شحناء ونقل خبرًا عنهم، أو إذا كان هذا الصالح متسرعًا في تلقي الأخبار

---

(١) قصة حاطب قد تقدمت.

ونشرها إلى غير ذلك من الأسباب فلك حينئذ أن تتثبت وأن تطلب المزيد من القرائن والأدلة فـقد يكون هذا الرجل الصالح هو في نفـسه مغـفلاً في نقل الأخبار وغـير ضابط لها، وقد يكون نـقل خبره عن رجل غير مـوثوق فيه، وقد يكون حـمله ما يحـمل البشر على تحـريف الخبر أو نقلـه بالمعنى وأضر بالنقل لما نقله بالمعنى إلى غيـر ذلك من الأسباب الداعيـة إلى التثبت، وعلى ذلك بعض الأدلة:

فرسـول اللَّه ﷺ لما صلى الظهر ركعتين وقـام رجل يقول له: يا رسول اللَّه أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما يقول ذو اليدين؟**»، وفي رواية أخرى: «**أصدق ذو اليدين؟**»، وفي رواية ثالثة: «**أحق ما يقول؟**» وها هو الحديث بذلك:

● أخرج البخـاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضـي اللَّه عنه قال: صلى بنا رسـول اللَّه ﷺ إحدى صـلاتي العشي[2] إما الظهر وإمـا العصر، فسلم في ركعـتين ثم أتى جِذعًا في قبلة المسجـد فاستند إليها مغـضبًا، وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يتكلّما وخرج سرعان الناس قُصرت الصلاة فقام ذو اليدين[3] فقال: يا رسول اللَّه، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي ﷺ يمينًا وشمالاً فقال: «**ما يقول ذو اليدين؟**» قالوا: صدق، لم تصلِّ إلا ركعتين، فصلى ركعـتين وسلَّم ثم كبر ثم سجد ثم كـبر فرفع ثم كبر وسجـد ثم كبر ورفع، قال: وأُخبرت عن عمران بن حصين أنه قال: وسلم.

---

(١)البخاري (حديث ١٢٢٧)، ومسلم (حديث ٥٧٣).

(٢)العشي: قال الأزهري: العشي عند العرب ما بين زوال الشمس وغروبها.

(٣)ذو اليدين: هو رجل كان في يديه طول.

قال ذو اليدين: بل قد حدث شيء من ذلك يا رسول اللَّه، فلما رأى النبي ﷺ إصرار ذي اليدين على مقولته قال لأصحابه: «**أحقا ما يقول ذو اليدين؟!!**».

- وعمر رضي اللَّه عنه لما ذكَّره أبو موسى رضي اللَّه عنه بخبر النبي ﷺ في الاستئذان: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**»، قال لأبي موسى: «لتأتيني على هذا ببينة أو لأوجعتك ضربًا»[1] حتى ذهب أبو موسى وأتى بمن يشهد له.

- ورسولنا ﷺ أيضًا لما بلغه عن الأنصار خبرٌ يوم حنين جمعهم وسألهم عن الخبرِ الذي نُقل عنهم.

وثم جملة وقائع في هذا الباب تفيد ما ذكرناه من أنه قد يكون هناك ما يدعو إلى التثبت من خبر الرجل الصالح أيضًا، إن احتاج الأمر إلى ذلك.

وليس هذا من باب رد خبر الواحد، فخبر الواحد العدل الضابط مقبول بشروطه المعروفة في كتب المصطلح.

* * *

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

• احذر الغضب •

فإنه مذموم، وهو من الشيطان:

• قال اللَّه تـعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

قال بعض أهل العلم في تفسيرها: وإما يغضبنك من الشيطان غضب.

• وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث سليمان بن صرد رضي اللَّه عنه قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم**» فذكر الحديث.

• وفي «مسند الإمام أحمد» عن النبي ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خُلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**»[(٢)] ولذلك جاءت وصية النبي ﷺ بترك الغضب والابتعاد عنه.

• ففي «الصحيح»[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «**لا تغضب**» فردد مرارًا، قال: «**لا تغضب**».

---

(١) البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (واللفظ له) (حديث ٢٦٠١).

(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٦) من حديث عطية السعدي رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وإسناده ضعيف.

(٣) البخاري (حديث ٦١١٦).

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٠):

وقال بعض العلماء: خلق اللَّه الغضب من النار وجعله غريزة في الإنسان. فمهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم =

● وفي «مسند الإمـام أحمد»[١] بإسناد صحـيح عن الأحنف بن قيس عن عم يقال له: جارية بن قدامة السعـدي أنه سأل رسول اللَّه، فقال: يا رسول اللَّه، قل لي قولاً ينفعني وأقلل عليَّ لعلي أعـيه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تغضب**» فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارًا كل ذلك يقول: «**لا تغضب**».

● وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[٢] بسند صحيح عن رجل من الأنصار من أصحاب رسول اللَّه ﷺ قال: قال رجل: أوصني، قال: «**لا تغضب**»، قال: فقـال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال فـإذا الغضب يجمع الشر كلَّه.

= لأن البشرة تحكي لون مـا وراءها وهذا إذا غضب على من دونه واستشعـر القدرة عليه، وإن كان ممن فوقـه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب فـيـصفر اللون حزنًا، وإن كان على النظير تردد الدم بين انقباض وانبسـاط فيحمر ويصفر، ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن كتغـير اللون والرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن غير ترتيب واستحالة الخلقة حتى لو رأى الغضبان نفسـه في حال غضبه لكان غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر؛ لأنه تولد الحقـد في القلب والحسـد وإضمار السـوء على اختـلاف أنواعه بل أولى شيء يقبح منه بـاطنه وتغير ظاهره ثمـرة تغيـر باطنه وهذا كله أثره في الجسـد، وأما أثره في اللسـان فانطلاقـه بالشتم والفـحش الذي يستـحيي منـه العاقل ويندم قـائله عند سكون الغضب، ويظـهر أثر الغضب أيضًـا في الفعل بالضـرب أو القتل وإن فـات ذلك بهرب المغضـوب عليه رجع إلى نفسه فـيمزق ثوب نفـسه ويلطم خده وربما سقط صـريعًا وربما أغـمي عليه، وربما كـسـر الآنية وضـرب من ليس له في ذلك جـريمة، ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: «لا تغضب» من الحكمة واسـتجلاب المصلحة في درء مـفسدة مما يتعـذر إحصاؤه والوقوف على نهـايته، وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الغضب الديني.

(١) أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤).

(٢) أحمد في «المسند» (٥/ ٣٧٣).

• وقال النبي ﷺ[1] : «ليس الشديد بالصُّرَعَة[2] إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

فجاهد نفسك يا عبد اللَّه في كظم غيظك فإن اللَّه أثنى على الكاظمين الغيظ، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فتجرع جرعات من الغيظ وتناولها تناولاً تكون سببًا في شفائك بإذن اللَّه، وسببًا في ادخار الأجر والثواب لك بإذن اللَّه.

• وقد قال تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٦ - ٣٧].

والغضب وإن كان مذمومًا في الجملة إلا أن منه الغضب المحمود وهو الغضب إذا انتهكت حرمات اللَّه، فلا يُلام من غضب لانتهاك حرمات اللَّه، بل هو غضب محمود كما أسلفنا، وقد غضب النبي ﷺ في جملة مواطن نذكر منها ما يلي:

• أخرج البخاري[3] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: كان رسول

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) الصرعة: بضم الصاد المهملة وفتح الراء الذي يصرع الناس كثيرًا بقوته.
والمعنى إنكم كذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال، بل يصرعهم، وليس هو كذلك شرعًا بل من يملك نفسه عند الغضب، فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قلَّ من يقدر على التخلُّق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول (قاله النووي).

(٣) البخاري (حديث ٢٠).

اللَّه ﷺ إذا أمرهم من الأعمال ما يطيقون، قالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول اللَّه، إن اللَّه قد غفر لك ما تقدم من ذنبك ومـا تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول: «**إن أتقاكم وأعلمكم باللَّه أنا**».

• وأخرج البخـاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة رضـي اللَّه عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بهـا شيئًا كرهه، فقال: لا، والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه، وقال تقول: والذي اصطفى موسى على البشر، والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم إن لي ذمة وعهدًا فمـا بال فلان لطم وجهي؟ فقال: «**لم لـطمـت وجهه؟**» فذكره فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه ثم قال: «**لا تفضلوا بين أولياء اللَّه...**» الحديث.

• وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: هجّرْتُ(٣) إلى رسول اللَّه ﷺ يومًا، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول اللَّه ﷺ يُعرف في وجهه الغضب فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**».

• وكذلك غضب نبي اللَّه موسى ﷺ كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي...**﴾ [الأعراف: ١٥٠].

• وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ...**﴾ [الأعراف: ١٥٤].

---

(١) البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (حديث ٢٣٧٣).

(٢) مسلم (حديث ٢٦٦٦).

(٣) هجرت: أي بكّرت.

وقد غضب الصحابة في جملة مواطن[1] وكذلك التابعون وأتباعهم، فلا يذم الغضبان إذا كان غضبه للَّه وفي حق، واللَّه أعلم.

لا تُصدر قرارًا وقت غضبك ولا وقت تعبك ولا إرهاقك :

وكما أسلفنا فإن الغضب من الشيطان، فعليه لا ينبغي أن يصدر الشخص قرارًا في وقت غضب، فإنه في الغالب قرار يحضره شيطان.

● وقد ورد في حديث: «**وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت**»[2].

والغضب فضلاً عن كونه من الشيطان فإنه يحدث نوعًا من الإغلاق على العقل فيمنع العقل من التصرف الصحيح الرشيد، ومن ثم رأى عدد من أهل العلم أن طلاق الغضبان غضبًا شديدًا لا يقع، واستدل بعضهم بحديث: «**لا طلاق ولا إعتاق في إغلاق**»[3].

وإن كان الحديث فيه كلام، والإغلاق أيضًا قد فسره كثير من العلماء بالإكراه، إلا أن آخرين فسروه بما يُغلق على العقل ويمنعه من التصرف الذي يتصرفه في أحواله الطبيعية المعتادة، وجعلوا من ذلك الغضب الشديد.

● واستدلوا أيضًا بأن موسى ﷺ ألقى الألواح، وهي بمنزلة المصحف لما

(١) راجعها في كتاب «المنتخب من فقه الغضب» لأخينا في اللَّه أحمد العيسوي حفظه اللَّه وشفاه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٣ ـ ٣٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص٣٧٩)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط، لكن ذكر له الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه اللَّه شاهدًا عزاه لابن شاهين في «الفوائد»، وحكم على إسناده بالحسن.

(٣) أخرجه أبو داود (حديث ٢١٩٣) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا. وفي إسناده ضعف، وقد تكلمت عليه في كتابي «جامع أحكام النساء».

غضب على قوله غضبًا شديدًا لعبادتهم العجل، فقال تعالى: «﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ... ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ومع ذلك كله لم يعاتبه ربُّه.

فكما أسلفنا فإن الشخص إذا أصدر قرارًا وقت الغضب فإنه يصدره ويقرره في وقت يحضره الشيطان ويصدره أيضًا في وقت العقل ليس مستجمعًا لقواه منه فحينئذ يصدر القرار طائشًا بعيدًا عن الحق والصواب في كثيرمن الأحوال.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**لا يقضين حكمٌ بين اثنين وهو غضبان**»[1].

---

(١) البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧) من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه «فتح الباري» (١٣/١٣٧):
قال المهلب: سبب هذا النهي أن الحكم حالة الغضب قد يتجاوز بالحاكم إلى غير الحق فمنع، وبذلك قال فقهاء الأمصار، وقال ابن دقيق العيد: فيه النهي عن حالة الغضب لما يحصل بسببه من التغير الذي يختل به النظر فلا يحصل استيفاء الحكم على الوجه.
قال: وعدّاه الفقهاء بهذا المعنى إلى كل ما يحصل به تغير في الفكر كالجوع والعطش المفرطين وغلبة النعاس وسائر ما يتعلق به القلب تعلقًا يشغله عن استيفاء النظر، وهو قياس مظنة على مظنة وكأن الحكمة في الاقتصار على الغضب لاستيلائه على النفس وصعوبة مقاومته بخلاف غيره.
وقد أخرج البيهقي بسند ضعيف عن أبي سعيد رفعه: «لا يقضي القاضي إلا وهو شبعان ريان».
وقول الشيخ «وهو قياس مظنة على مظنة»: صحيح وهو استنباط معنى دل عليه النص فإنه لما نهى عن الحكم حالة الغضب فهم منه أن الحكم لا يكون إلا في حالة استقامة الفكر، فكانت علة النهي المعنى المشترك وهو تغير الفكر، والوصف بالغضب يسمى علة بمعنى أنه مشتمل عليه فألحق به ما في معناه كالجائع، قال الشافعي في «الأم»: أكره للحاكم أن يحكم وهو جائع أو تعب أو مشغول القلب فإن ذلك يُغير القلب.

وانظر إلى هذا المعنى في حديث سلمان مع حذيفة رضي اللَّه عنهما ودقق النظر فيه:

● أخرج أبو داود[١] في «سننه» من طريق عمرو بن أبي قرة قال: كان حذيفة بالمدائن، فكان يذكر أشياء قالها رسول اللَّه ﷺ لأناس من أصحابه في الغضب، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة فيأتون سلمان فيذكرون له قول حذيفة، فيقول سلمان: حذيفة أعلم بما يقول، فيرجعون إلى حذيفة، فيقولون له: قد ذكرنا قولك لسلمان فما صدقك، ولا كذبك، فأتى حذيفة سلمان وهو في مبقَلة[٢] فقال: يا سلمان، ما يمنعك أن تصدقني بما سمعت من رسول اللَّه ﷺ؟ فقال سلمان: إن رسول اللَّه ﷺ كان يغضب فيقول في الغضب لناس من أصحابه، ويرضى فيقول في الرضا لناس من أصحابه، أما تنتهي حتى تورِّث رجالاً حُبَّ رجال ورجالاً بغض رجال، وحتى توقع اختلافًا وفُرْقة؟ ولقد علمت أن رسول اللَّه ﷺ خطب فقال: «**أيما رجل من أمتي سببته سبة أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة**». واللَّه لتنتهين أو لأكتبن إلى عمر.

قال النووي[٣] **رحمه اللَّه**: ويلتحق بالغضب كل حال يخرج الحاكم فيها عن سداد النظر واستقامة الحال كالشبع المفرط والجوع المُقلق والهم والفرح البالغ ومدافعة الحدث وتعلق القلب بأمر ونحو ذلك، وكل هذه الأحوال يكره له القضاء فيها خوفًا من الغلط.

---

(١) أبو داود (حديث ٤٦٥٩). (٢) المبقلة: هي مزرعة البقول.

(٣) «شرح مسلم» كتاب الأقضية باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان.

• **قلت (مصطفى)**: وعلى ذلك فعلى الشخص إذا كان يُريد إبرام أمر من الأمور وإصدار قرار من القرارات والبتّ في مسألة من المسائل أن يتريث ولا ينفعل عند إصدار القرار، بل يتأنى ويصبر ويراجع نفسه ويستخير اللَّه عز وجل ثم يستشير أهل الخبرة والاختصاص ثم يتوكل على اللَّه ويصدر القرار الذي وفِّق إليه في وقت من الهدوء التام وحينئذ يكون القرار موفقًا في أغلب الأحوال بتوفيق اللَّه، ولا يصاحبه الندم، بل يصاحبه الرضا بقضاء اللَّه ما دمت قد استخرت اللَّه فيه وأخذت بالأسباب واستشرت المخلوقين.

وليس الغضب فحسب، كما أسلفنا، بل كما أشرنا كل حالة تخرج صاحبها عن حد الاعتدال كأن يكون الشخص متعبًا مرهقًا مثلاً، فلا ينبغي أن يعطي وعودًا وعهودًا ويجيب على أسئلة ويقضي أقضية وقت تعبه وإرهاقه، ونسوق هنا واقعة حدثت لما بلغ النبيَّ ﷺ مقتل زيد بن حارثة وجعفر وعبد اللَّه بن رواحة رضي اللَّه عنهم:

• أخرج البخاري[1] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت: لما جاء قتل زيد بن حارثة وجعفر وعبد اللَّه بن رواحة جلس النبي ﷺ يُعرف فيه الحزن ـ وأنا أطلع من شق الباب ـ فأتاه رجل فقال: يا رسول اللَّه، إن نساء جعفر ـ وذكر بكاءهن ـ فأمره أن ينهاهن، فذهب الرجل ثم أتى فقال: قد نهيتهن، وذكر أنهن لم يُطعنه، فأمره الثانية أن ينهاهن فذهب ثم أتى فقال: واللَّه لقد غلبنني ـ أو غلبننا ـ فزعمت أن النبي ﷺ قال: «**فاحث في أفواههن التراب**» فقلت: «أرغم اللَّه أنفك فواللَّه ما أنت بفاعل، وما تركت رسول اللَّه ﷺ من العناء».

---

(١) البخاري (١٣٠٥).

فهـا هي أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنهـا الفاضلة الفقيـهة، لما رأت أن قرار رسول اللَّه ﷺ: «**فاحث في وجوههن التراب**» صدر منه في وقت تعب وإرهاق، قامت ومنعت الذاهب أن يذهب إلى النسـاء وأقرها رسول اللَّه ﷺ فلم ينهها عليه الصلاة والسلام.

وكذلك الشخص إذا كـان مسافرًا فقد يعـتريه التعب والإرهاق في بعض أوقات سفره، (فالسـفر قطعة من العذاب)[1] كما قـال رسول اللَّه ﷺ وقـد تعتريه أمـور أخر وأحوال أُخر وهو خارج بلاده فلا يسـتطيع أن يضبط القرار في كثير من الأحيان كما يضبطه في بلده، فالأولى له حينئذ، إذا كان بوسعه تأخير القرار أن يؤخر إصدار القرار إلى أن يرجع إلى بلاده.

وها هنا نسوق واقعة حدثت وأراد عـمر رضي اللَّه عنه أن يتكلم فيها أثناء سفره، فانظر إلى الواقعة وإلى إشارة الصحابة لعمر رضي اللَّه عنه:

● أخرج البـخاري[2] من حديث ابن عباس رضي اللَّـه عنهما قال: كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم: عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عـمر بن الخطاب في آخـر حجـة حجـها، إذ رجع إليّ عـبد الرحمن فقـال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المومنين اليوم فقـال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمـر لقد بايعت فلانًا، فواللَّه ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت.

فغضب عمر ثم قال: «إني إن شاء اللَّه لقـائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم».

---

(١) البخاري (٣٠٠١)، ومسلم (١٩٢٧).
(٢) البخاري (٦٨٣٠).

قال عبد الرحمن: «فقلت: يا أمـير المؤمنين، لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغـوغاءهم فإنـهم هم الذين يغلبون على قـربك حين تقوم في الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مـقالة يطيرها عنك كل مطيِّر، وألا يعوها، وألا يضعـوها على مواضعـها، فأمـهل حتى تقـدم المدينة فإنها دار الهـجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتـقول ما قلت متمكنًا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها».

فـقال عـمر: أمـا واللَّه ـ إن شاء اللَّه ـ لأقـومن بذلك أول مقـام أقومـه بالمدينة.

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحـجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرَّواح حين زاغت الشـمس حتى أجد سـعيد بن زيد بن عـمرو بن نُفيل جالسًا إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمـر بن الخطاب، فلما رأيته مقـبلاً قلت لسعيد بـن زيد بن عمرو بن نفيل: ليـقولن العشيـة مقالة لم يقلهـا منذ استخلف، فأنكر عليّ وقـال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله!

فجلس عمـر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قـام فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال:

أما بعد: فـإني قائل لكم مقالة قد قدِّر لي أن أقـولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عـقلها ووعاها فليـحدث بها حيث انتـهت به راحلته، ومن خشي ألا يعقلها فلا أُحل لأحد أن يكذب عليّ:

إن اللَّه بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل اللَّه آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، ورجم رسول اللَّه ﷺ ورجمنا بعده،

فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: واللَّه ما نجد آية الرجم في كتاب اللَّه فيضلوا بترك فريضة أنزلها اللَّه، والرجم في كتاب اللَّه حقٌّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.

ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب اللَّه: ألا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ـ أو: إن كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم ـ ألا ثم إن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تطروني كما أُطري عيسى ابن مريم وقولوا: عبد اللَّه ورسوله**».

ثم إنه قد بلغني أن قائلاً منكم يقول: واللَّه لو قد مات عمر بايعت فلانًا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن اللَّه وقى شرها، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرَّة أن يُقتلا.

وإنه قد كان من خبرنا حين توفى اللَّهُ نبيَّه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌّ والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقِيَنا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم ألا تقربوهم اقضوا أمركم، فقلت: واللَّه لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يُوعك، فلما جلسنا قليلاً تشهد

خطيبهم فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار اللَّه وكتيبة الإسلام، وأنتم ـ معشر المهاجرين ـ رهط، وقد دَفّت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم ـ وكنت قد زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ـ وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رِسْلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، واللَّه ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ـ فأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ـ فلم أكره مما قال غيرها كان واللَّه أن أقدم فتضرب عنقي لا يقرِّبني ذلك من إثم أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسوّل إليَّ نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجَّب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده، فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة فقلت: قتل اللَّهُ سعدَ بن عبادة.

قال عمر: واللَّه ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فسادًا! فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يُقتلا.

• قول النبي ﷺ: « لا تسأل الإمارة » •

• وفي «الصحيحين»[١] من حديث عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإن أعطيتها عن مسألة وُكلتَ إليها، و إن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها فائت الذي هو خير وكفّر عن يمينك»**.

• وفي «الصحيح»[٢] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة»**.

• قول النبي ﷺ: « إنا لا نولي هذا من سأله » •

• وفي «الصحيحين»[٣] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمِّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: **«إنا لا نُوَلِّي هذا من سأله ولا من حرص عليه»**.

وثمَّ أبواب أُخر يحتاج إليها كلُّ راعٍ وكلُّ مسئول، قد قدمنا ذكرها:

• فمن ذلك: تقوى الله سبحانه وتعالى، وسؤاله صلاح الرعية والتوفيق والسداد في معاملتها.

---

(١) البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢).

(٢) البخاري (٧١٤٨).

وقد يسوغ للشخص أن يسألها ومحل ذلك إذا كان حاله كيوسف الصديق في زمانه فقد قال الصديق يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وفقه ذلك إذا وجد أن الفساد سينتشر ويدب.

(٣) البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

● ومن ذلك مراعاة أحوال الرعية ومعرفة طبائعها ومعرفة قدراتها.

● ومن ذلك إنزال الناس منازلهم ومعرفة أقدارهم.

● ومن ذلك مداراة من في خلقه شيء.

● ومن ذلك إقالة العثرات خاصة عثرات من اشتهروا بالصلاح.

● ومن ذلك جبر الخواطر وتطييبها.

● ومن ذلك الحرص على الإصلاح بين الرعية وعدم إثارة الفتن والقلاقل بينهم.

● ومع ذلك التخلق بجميل الأخلاق واتقاء الفحش والتفحش والسيِّئ من الأخلاق، وثمّ أبواب أُخر، وكما ذكرت فهذه أبواب قد طرقتها فيما سبق ثم إن المعصوم من عصمه اللَّه تبارك وتعالى.

● دعاء الله بالتأليف بين الرعية ●

وعليه أن يدعو اللَّه بالتأليف بينه وبين الرعية، وبين الرعية أنفسهم كذلك:

● فهذا أمر مرده ومرجعه إلى اللَّه لا يملكه إلا هو، قال تعالى: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾ [الأنفال: ٦٣].

* * *

• والصلح خيرٌ •

• على المسئول أن يُصلح بين رعيته ويؤلف بينهم ويوفق قدر جهده واستطاعته، فالمصلحون بين الناس يؤتيهم اللَّه أجرًا عظيمًا، نعم والصلح خير، كما قال اللَّه تبارك وتعالى.

وإن كانت الآية الكريمة: ﴿**فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾[1] [النساء:١٢٨]، نزلت في سبب مخصوص، لكن العبرة بعموم الألفاظ كما هو معلوم.

---

(١) أما سبب نزول الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء:١٢٨]، فها هو سبب نزولها، وها هي بعض أقوال العلماء فيها:

أما سبب نزولها: فقد أخرج البخاري (٥٢٠٦) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا...**﴾ قالت: هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له: أمسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري فأنت في حلّ من النفقة عليَّ والقسمة لي، فذلك قوله تعالى: ﴿**فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾، وها هي بعض أقوال أهل العلم:

أورد ابن جرير الطبري رحمه اللَّه جملة آثار تشهد لهذا المعنى الوارد عن عائشة رضي اللَّه عنها وقال هناك (٩/٢٦٧): يعني بذلك جل ثناؤه: وإن خافت امرأة من بعلها يقول: علمت من زوجها ﴿**نُشُوزًا**﴾ يعني: استعلاءً بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها وارتفاعًا بها عنها إما لبغضة، وإما لكراهة منه بعض أسبابها: إما دمامتها، وإما سنها وكبرها أو غير ذلك من أمورها ﴿**أَوْ إِعْرَاضًا**﴾ يعني: انصرافًا عنها بوجهه أو ببعض منافعه التي كانت لها منه ﴿**فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا**﴾ وهو أن تترك له يومها، أو تضع عنه بعض الواجب لها من حق عليه تستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والتمسكَ بالعقد الذي بينها وبينه من النكاح يقول: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ يعني: والصلح بترك بعض الحق استدامةً للحرمة وتمسكًا بعقد النكاح خير من طلب الفرقة والطلاق.

أما قوله تعالى: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ**﴾ فالذي اختاره ابن جرير أن المعنى به هو أحضرت أنفس النساء الشح بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة. =

= ثم قال: و﴿الشُّحَّ﴾ الإفراط في الحرص على الشيء، وهو في هذا الموضع إفراط حرص المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها، فتأويل الكلام: وأحضرت أنفس النساء أهواءهن من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن والشح بذلك على ضرائرهن ثم قال رحمه اللَّه: وأما قوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ فإنه يعني: وإن تحسنوا أيها الرجال في أفعالكم إلى نسائكم إذا كرهتم منهن دمامة أو خلقًا أو بعض ما تكرهون منهن بالصبر عليهن وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يقول: وتتقوا اللَّه فيهن بترك الجور منكم عليهن فيما يجب لمن كرهتموه منهن عليكم من القسمة له، والنفقة، والعشرة بالمعروف ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يقول: فإن اللَّه كان بما تعملون في أمور نسائكم أيها الرجال من الإحسان إليهن والعشرة بالمعروف والجور عليهن فيما يلزمكم لهن ويجب: خبيرًا، يعني عالمًا خابرًا، لا يخفى عليه منه شيء، بل هو به عالم، وله مُحصٍ عليكم حتى يوفيكم جزاء ذلك، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته.

● أما ابن كثير رحمه اللَّه فقال: فإذا خافت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها أن تُسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من حقوقها عليه، وله أن يقبل ذلك منها، فلا حرج عليها في بذلها ذلك له، ولا عليه في قبوله منها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ ثم قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي: من الفراق، وقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ أي: الصلح عند المشاحة خير من الفراق، وأورد ابن كثير رحمه اللَّه جملة آثار ثم قال: ولا أعلم في ذلك خلافًا أن المراد بهذه الآية هذا، واللَّه أعلم.

ثم قال رحمه اللَّه: وقوله: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وإن تتجشموا مشقة الصبر على ما تكرهون منهن وتَقسموا لهن أسوةَ أمثالهن فإن اللَّه عالم بذلك وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء.

● وأورد القرطبي رحمه اللَّه نحوًا مما تقدم وقال: قال علماؤنا: وفي هذا أن أنواع الصلح كلها مباحة في هذه النازلة بأن يُعطي الزوجُ على أن تصبر هي، أو تعطيَ هي على أن يؤثر الزوج، أو على أن يؤثر ويتمسك بالعصمة، أو يقع الصلح على الصبر والأثرة من غير عطاء فهذا كله مباح.

وقال رحمه اللَّه: في قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ إخبار بأن الشح في كل أحد، وأن الإنسان لابد أن يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره، يقال: شح يشح (بكسر الشين) قال ابن جبير: هو شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها أيامها، وقال ابن زيد: الشح هنا منه ومنها، وقال ابن عطية: وهذا أحسن، فإن الغالب على المرأة الشح بنصيبها من زوجها، والغالب على الزوج الشح بنصيبه من الشابة.

إذن فالصلح خير كما قال ربنا سبحانه . .

خيرٌ من الفتن والمشاكل والقلاقل!

خيرٌ من الضغائن والعداوات والأحقاد!

خيرٌ من القطيعة والبغي والتدابر والتلاعن!

خيرٌ من الطلاق وخير من الفراق وخيرٌ من الشقاق!

والتدابر والتباغض والتحاسد والتهاجر والتقاطع والشحناء، كل ذلك مذموم وممقوت :

● ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة[1] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والظن[2]، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا[3]، ولا تنافسوا[4]، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا[5]، وكونوا عباد الله، إخوانًا**»[6] .

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٦٤)، ومسلم (حديث ٢٥٦٣).

(٢) إياكم والظن: المراد النهي عن ظن السوء، قال الخطابيّ: هو تحقيق الظن وتصديقه، دون ما يهجس في النفس، فإن ذلك لا يملك، ومراد الخطابي أن المحرم في الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه، دون ما يعرض في القلب ولا يستقر، فإن هذا لا يكلف به.

(٣) ولا تحسسوا ولا تجسسوا: قال العلماء: التحسس الاستماع لحديث القوم، والتجسس البحث عن العورات، وقيل: هو التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير.

(٤) ولا تنافسوا: المنافسة والتنافس معناهما الرغبة في الشيء وفي الانفراد به، ونافسته منافسة إذا رغبت فيما رغب فيه، وقيل: معنى الحديث التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها.

(٥) التدابر: المعاداة لأن كل واحد منهما يولي صاحبه دبره.

(٦) وكونوا عباد الله إخوانًا: أي كونوا يا عباد الله إخوانًا أي تعاشروا وتعاملوا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع =

● وفيهما[1] أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللَّه، إخوانًا ولا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث**».

● وفيهما[2] أيضًا من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**».

● وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبدٍ لا يُشرك باللَّه شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء**[4]، **فيقال: أنظِروا هذين**[5] **حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**».

* * *

= صفاء القلوب والنصيحة بكل حال، قاله النووي.

● وفي بعض الروايات: «ولا تهجِّروا» أي: لا تقولوا القول المهجور وهو القول القبيح.

(١) أخرجه البخاري (حديث٦٠٦٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٥).

(٤) شحناء: أي: عداوة وبغضاء.

(٥) أنظروا هذين: أي: أخروهما.

• آيات تحث على الصلح وترغب فيه •

• ومن ثمَّ تضافرت النصوص التي تحث على الصلح وترغِّب فيه وتبين عظيم أجر المُصلحين:

• قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[الحجرات: ٩ ـ ١٠].

• وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

• وقال سبحانه: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

* * *

• سعي النبي ﷺ في الإصلاح •

وكان النبي ﷺ يسعى للإصلاح بين الناس جاهدًا في ذلك :

• ففي «الصحيح»[١] من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه أن ناسًا من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج إليهم النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه يُصلح بينهم، فحضرت الصلاة ولم يأت النبي ﷺ فأذن بلال بالصلاة ولم يأت النبي ﷺ فجاء إلى أبي بكر فقال: إن النبي ﷺ حُبس وقد حضرت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس. . . الحديث.

• وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأُخبر رسول اللَّه ﷺ بذلك فقال: «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**».

* * *

(١) البخاري (حديث ٢٦٩٠).
(٢) البخاري (حديث ٢٦٩٣).

• وحث النبي ﷺ على الصلح •

• فأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل سُلامى من الناس عليه صدقةٌ كل يومٍ تطلُعُ فيه الشمس يعدلُ[٢] بين الناس صدقة»**.

وانظر كيف اقترن الوصف بالسيادة مع الإصلاح بين المسلمين ؟!

• وذلك فيما ذكره[٣] النبي ﷺ في شأن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال ﷺ: **«ابني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»**.

هذه الطائفة المُصلحة المباركة تأتي يوم القيامة على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن عز وجل، كما جاء في «صحيح مسلم»[٤] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمينٌ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»**[٥].

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٠٧)، ومسلم (حديث ١٠٠٩).

(٢) المراد بالعدل هنا الإصلاح وقيل: الإصلاح بالعدل.

وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بباب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم.

قال الحافظ في «الفتح»: قال ابن المنير ترجم على الإصلاح والعدل ولم يورد في هذا الحديث إلا العدل، لكن لما خاطب الناس كلهم بالعدل وقد علم أن فيهم الحكام وغيرهم كان عدل الحاكم إذا حكم وعدل غيره إذا أصلح، وقال غيره: الإصلاح نوع من العدل.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٦٢٩).

(٤) مسلم (حديث ١٨٢٧).

(٥) ما ولوا: أي: من كنت لهم عليهم ولاية.

طائفة ترتفع درجـاتها يوم القيامـة ، وتفوق بعملها الصـائم المتنفل والقائم المتنفل :

• ففي «سنن أبي داود»[1] وغيره بإسناد صحيح عن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجـة الصيام والصلاة والصدقة؟»** قالوا: بلى يا رسول اللَّه، قال: **«إصلاح ذات البين، وفـساد ذات البين هي الحالقة»**.

والطائفةُ المصلحة طائفةٌ صبرت على ما أصابها من الخصوم أثناء الإصلاح وبعد الإصلاح :

• فمن توابع قول الحق أذى يصدر من الناس فتحملته هذه الطائفة؛ ابتغاء وجه اللَّه وطلبًا لثوابه، وسعـيًا في مرضاته، ومن ثم أوصى اللَّه هذه الطائفة بالصبر وذكرها بحسن عاقبته:

• قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [لقمان:١٧].

• وقال تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: ١ - ٣].

فحـقًا إن كل من يسلك مـسالك الإصـلاح بين الناس يناله في كثـير من الأحيـان شيء من أذاهم وشيء من الطعن فيـه والغمـز واللمز والاتهـامات

(١) أبو داود (حـديث ٤٩١٩)، والبخـاري في «الأدب المفرد» (حـديث ٣٩١)، والترمـذي (حديث ٢٠٥٩) وقال: هذا حديث صحيح، وأحمد (٦/ ٤٤٤ - ٤٤٥).
والمراد بالحالقة: الذنب الكبير والمصيبة الكبـرى التي تستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر.

الباطلة، فجديرٌ به أن يتحمل، وحريٌّ به أن يصبر ولزامًا عليه أن يستعين باللَّه ويصبر ولا يفر من الإصلاح ولا يتَّبع الأمثال الباطلة التي تُخَذِّل المصلحين عن سعيهم في الإصلاح.

* * *

• ومن حرص الصحابة رضي الله عنهم على الصلح •

وانظر إلى حرص الصحابة رضي اللَّه عنهم على الصلاح وسعيهم للوصول إليه :

• أخرج البخاري[١] من طريق عوف بن مالك بن الطفيل - هو ابن الحارث وهو ابن أخي عائشة زوج النبي ﷺ لأمها -: «أن عائشة حُدِّثت أن عبد اللَّه ابن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطتهُ عائشة: واللَّه لتنتهين عائشةُ أو لأحجُرَنَّ عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو للَّه عليَّ نذر ألا أكلم ابن الزبير أبدًا، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا واللَّه لا أشفعُ فيه أبدًا ولا أتحنث إلى نذري، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث - وهما من بني زهرة - وقال لهما: أنشدكما باللَّه لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحلُّ لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملَين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كلنا؟ قالت: نعم ادخُلوا كلكم - ولا تعلمُ أن معهما ابن الزبير - فلما دخلوا دخلَ ابن الزبير الحجابَ فاعتنق عائشةَ وطفق يناشدُها ويبكي، وطفق المسورُ وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرتُ والنذرُ شديد، فلم يزالا بها حتى

---

(١) البخاري (حديث ٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥).

كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبُل دموعُها خمارها».

ومن ثمَّ لزم أن يكون في المؤمنين طائفة مُصلحة، قوالةٌ بالحق تقضي بالحق وتهدي بالحق وبه تعدل:

- قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨١].

طائفة تضحي بأوقاتها، بل وبأموالها للإصلاح بين الناس ودفع الشرور عنهم.

طائفة تسهر الليالي وتخطو الخطوات للإصلاح بين الناس وتقريب الوجهات المتنافرة المتباعدة، فيدفع اللَّه بهذه الطائفة الشرَّ عن عموم المسلمين.

مطلب هذه الطائفة ومبتغاها وجه اللَّه، لا تصلح إلا لوجهه سبحانه وابتغاء مرضاته، ثم لدفع الشرور عن الناس.

* * *

• الرخصة في الكذب من أجل الإصلاح •

وانظر كيف رخص رسول اللَّه ﷺ لهذه الطائفة في الكذب من أجل الإصلاح :

• أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**».

فسبحان اللَّه! قد يتكلم شخص بكلمة في حق شخص آخر غائب، ويأتي رجلٌ فينقل الكلمة بتمامها لمن قيلت في حقه لا يزيد ولا ينقص، ويأتي آخر فيقلب الكلمة رأسًا على عقب ويقول لمن قيلت في حقه: ما قال فلان فيك إلا الخير إنه أثنى عليك خيرًا وقال كذا وكذا!

فيا ترى من المحق؟ هل من نقل الكلام بتمامه وتسبب في الإفساد والقطيعة؟ أم من كذب في حديثه ونقل الكلام على وجهٍ يُصلح به بين الناس؟

الذي يظهر واللَّه أعلم أن الأخير على الحق، وهذا ما أفاده الدليل ورجحه، فانظر كيف أن الأول نقل نقلاً صحيحًا، ولكن أخطأ وسعى بالوشاية والنميمة والقطعية؟!!

وكيف أن الثاني نقل غير الحقيقة لكن قصده الإصلاح بين الناس فكان سعية مشكورًا؟!!

---

(١) البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (حديث ٢٦٠٥).

وانظر كيف رفع اللَّه الحرج عن هذه الطائفة المصلحة :

• فقد نهى ربنا سبحانه وتعالى من أقسم على الامتناع من الإصلاح عن المضي في يمينه فقال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٤].

فكما أن من أقوال العلماء في تفسير هذه الآية: لا تستكثروا من الأيمان باللَّه فتعرِّضوا اسم اللَّه للابتذال بكثرة اليمين به، فإن كثرة الحلف باللَّه نوع من الجرأة عليه، وأيضًا فإن كثرة الأيمان يقع معها الحنث في اليمين وعدم الوفاء به.

فكما أن بعض المفسرين قالوا بذلك، فقد قال كثير منهم أيضًا: لا تجعلوا اللَّه حاجزًا ومانعًا لما حلفتم عليه وذلك أن أحدهم - مثلاً - كان يقسم ألا يفعل بعض أنواع المعروف من صلة رحم أو إصلاح بين الناس أو إحسان إلى الآخرين، فإذا طُولب بفعل هذه الأبواب من أبواب الخير، تعلَّل بأنه أقسم باللَّه! فنهاهم اللَّه سبحانه وتعالى عن المضي في القطيعة وعن الامتناع عن سائر أنواع البر بسبب اليمين، فكأن معنى الآية: لا تجعلوا اليمين باللَّه حائلاً بينكم وبين فعل الخير، بل كفِّروا عن الأيمان وافعلوا الخير، واللَّه أعلم.

* * *

• تنازل أصحاب الحقوق عن شيء من حقوقهم للإصلاح •

واعلم أنه يجوز في الصلح أن يتنازل صاحب الحق عن شيءٍ من حقِّه أو عن حقِّه كله، ويجوز للمُصلح أن يحثَّ أحد الطرفين على التنازل عن حقِّه أو بعض حقِّه:

• فمثلاً: لرجل على آخر مبلغ ألف جنيه وجاء يطالبه به وتعسر الآخر فحينئذ يجوز للمصلح أن يحث صاحب المال على التجوُّز عن بعض ماله فيقول له مثلاً: اقبل خمسمائة وتجوَّز عن الباقي، ويكون الحق قد سقط كاملاً عن المدين، وثواب الدائن مدخرٌ عند اللَّه سبحانه وتعالى.

• ففي «الصحيحين» من حديث عائشة[1] رضي اللَّه عنها قالت: سمع رسول اللَّه ﷺ صوت خصومٍ بالباب، عاليةً أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه[2] في شيءٍ، وهو يقول: واللَّه لا أفعل، فخرج رسول اللَّه ﷺ عليهما، فقال: «**أين المُتألِّي على اللَّه[3] لا يفعل المعروف[4]؟**» قال: أنا، يا رسول اللَّه، فله أي ذلك أحب[5].

وفيهما أيضًا[6] من حديث كعب بن مالك رضي اللَّه عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا كان له عليه في عهد رسول اللَّه ﷺ، في المسجد، فارتفعت

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٠٥)، ومسلم (حديث ١٥٥٧).
(٢) يطلب منه الرفق.
(٣) الحالف.
(٤) الذي أقسم ألا يفعل المعروف، وهو التخفيف والرفق.
(٥) أي: قد خففت عنه يا رسول اللَّه فليختر ما شاء.
(٦) البخاري (حديث ٢٧٠٦)، ومسلم (حديث ١٥٥٨).

أصواتهما، حتى سمعها رسول اللَّه ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول اللَّه ﷺ حتى كشف سِجْف[١] حجرته ونادى كعب بن مالك، فقال: «ياكعب» فقال: لبيك يا رسول اللَّه، فأشار إليه بيده أن ضع الشطر من دينك، قال كعبٌ: قد فعلت يا رسول اللَّه، قال رسول اللَّه ﷺ: «قم فاقضه».

● وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث الزبير رضي اللَّه عنه، وهو عند مسلم[٣] من حديث عبد اللَّه بن الزبير رضي اللَّه عنهما أن رجلاً من الأنصار خاصم الزُّبير عند رسول اللَّه ﷺ في شراج الحرة[٤] التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرِّح الماء[٥] يمر، فأبى عليهم، فاختصموا عند رسول اللَّه ﷺ، فقال رسول اللَّه ﷺ للزبير: **«اسق يا زبير، ثم أرسلِ الماء إلى جارك»** فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول اللَّه، أن كان ابن عمتك[٦]؟! فتلون وجه نبي اللَّه[٧] ﷺ، ثم قال: **«يا زبير، اسق، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر»**[٨]، فقال الزبير: واللَّه إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿فلا

(١) سجف الغرفة: أي: سترها.

(٢) البخاري (حديث ٢٧٠٨).

(٣) مسلم (حديث ٢٣٥٧).

(٤) في شراج الحرة: هي مسايل الماء، وأحدها شرجة، والحرة هي: الأرض الملسة، فيها حجارة سود.

(٥) سرّح الماء: أي: أرسله.

(٦) أن كان ابن عمتك: بفتح الهمزة، أي: فعلت هذا لكونه ابن عمتك.

(٧) فتلوّن وجه نبيّ اللَّه: أي: تغير من الغضب لانتهاك حرمات النبوة وقبح كلام هذا الإنسان.

(٨) الجدر: بفتح الجيم وكسرها، وهو الجدار، وجمع الجدار جُدُر، ككتاب وكتب، وجمع الجَدر جدور، كفلس وفلوس، ومعنى يرجع إلى الجدر أي: يصير إليه، والمراد بالجدر أصل الحائط، وقيل: أصول الشجر، والصحيح الأول، قاله النووي.

وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ [النساء: ٦٥].

• ومثالٌ لذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وجاء في «صحيح البخاري»[١] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت في هذه الآية: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يُريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حلٍّ فنزلت هذه الآية في ذلك.

ولكنهم إذا اصطلحوا على شيء يخالف كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ فالصلح مردود:

• دلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة وزيد ابن خالد رضي اللَّه عنهما أنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أنشدك اللَّه إلا قضيت لي بكتاب اللَّه[٣]، فقال الخصم الآخر، وهو أفقه منه[٤]: نعم، فاقضِ بيننا بكتاب اللَّه، وائذن لي،

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٦٠١).

(٢) البخاري (حديث ٢٦٩٥، ٢٦٩٦)، ومسلم (حديث ١٦٩٧، ١٦٩٨).

وقد بوَّب البخاري رحمه اللَّه لهذا الحديث بباب إذا اصطلحوا على صلح جورٍ فالصلح مردود.

(٣) أنشدك اللَّه إلا قضيت لي بكتاب اللَّه: معنى أنشدك أسألك رافعًا نشيدي، وهو صوتي، وقوله: بكتاب اللَّه: أي بما تضمنه كتاب اللَّه.

(٤) وهو أفقه منه: قال العلماء: يجوز أنه أراد أنه بالإضافة أكثر فقهًا منه، ويحتمل أن المراد أفقه منه في القضية لوصفه إياها على وجهها، ويحتمل أنه لأدبه واستئذانه في الكلام وحذره من الوقوع في النهي في قوله تعالى: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بخلاف خطاب الأول في قوله: أنشدك اللَّه، فإنه من جفاء الأعراب.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**قـل**» قال: إن ابني كان عسيفًا[١] على هذا[٢] فزنى بامرأته، وإني أُخْبرتُ أن على ابني الرجم، فافتديت[٣] منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبـروني أن على ابني جلد مائةٍ وتغريب عامٍ، وأن على امرأة هذا الرجم، فـقال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لأقـضين بينكما بكتـاب اللَّه، الوليـدة والغنم ردٌّ[٤]، وعلى ابنك جلدُ مـائةٍ، وتغريب عـامٍ، واغد يا أنيس[٥] إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها**».

قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول اللَّه ﷺ فرُجمت.

فالحـاصل أن في الصلح بين المؤمنين خـيرًا، وسعي السـاعي فيـه محـمود ومشكور فبادر بفعل الخير : فمن المستحب المبادرة إلى فعل الخير، وقد دلت على ذلك جملة نصوص :

---

(١) عسيفًا: العسيف هو الأجير، وجمعه عسفاء كأجير وأجراء، وفقيه وفقهاء.

(٢) على هذا: يشير إلى خـصمه، وهو زوج مزنيَّة ابنه، وكان الرجـل استخدمه فيـما تحتاج إليه امرأته من الأمور فكان ذلك سببًا لما وقع له معها.

(٣) فافـتديت: أي: أنقـذت ابني منه بفـداء مائة شاة ولـيدة، أي: جارية، وكـأنه زعم أن الرجم حق لزوج المزني بها، فأعطاه ما أعطاه.

(٤) الوليـدة والغنم رد: أي مردودة، ومـعناه يجب ردها إليك، وفي هذا أن الصلح الفـاسد يردّ، وأن أخذ المال فيه باطل يجب رده، وأن الحدود لا تقبل الفداء.

(٥) واغد يا أنيس: وقال الإمام النوويّ رضي اللَّه تعـالى عنه: واعلم أن بعث أنيس محمول عند العلماء من أصحابنا وغـيرهم على إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه، فيـعرفها بأن لها عنده حد القـذف فتطالب به أو تعفو عنه، إلا أن تعتـرف بالزنى فلا يجب عليه حد القذف بل يـجب عليها حد الزنى، وهو الرجم لأنهـا كانت محصنة، فـذهب إليها أنيس، فاعترفت بالزنى، فأمر النبيّ ﷺ برجمها، فـرجمت، ولابد من هذا التأويل لأن ظاهره أنه بُعث لإقامة حد الزنى، وهذا غير مراد؛ لأن حد الزنى لا يحتاط له بالتجسس والتفتيش عنه، بل لو أقرّ به الزاني استحبّ أن يلقن الرجوع، من تعليق محمد فؤاد.

• قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

• وقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

• وقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

فالعبد قد يقبل على فعل الخير ثم يمسك ويتردد شيئًا ما فيصرفه الشيطان عن هذا الفعل وتشغله الدنيا بزخارفها على الإقدام على أعمال البر.

فقد يكون بين شخص وآخر خصومة، وينشرح صدره في وقت ما للصلح إذا تذكر فائدة الصلح وما فيه من الخير والأجر كما قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وكما قال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، قدّم وتذكّر الأحاديث الواردة في ذم التشاحن والتهاجر والتدابر.

فإذا علم العبد ذلك كله انشرح صدره وأقبل على فعل الخير، وقال في نفسه: لأذهبن إلى فلانٍ من الناس الذي خاصمته فلأصلحن ما بيني وبينه، ثم ما يلبث أن يتكاسل فما هي إلا مدة يسيرة إلا ويأتيه الشيطان فيذكره بمساوئ أخيه وبسلبيات أخيه فتحتمله الحمية الجاهلية فيترك الصلح.

فإذا فتح اللَّه لك يا عبد اللَّه بابًا إلى الخير فبادر بالدخول فيه ولا تؤخر أعمال البر ولا تتردد فيها.

ترى ما الذي خلَّف كعب بن مالك عن غزوة تبوك، انظر إلى ما حكاه كعب عن نفسه في غزوة تبوك.. قال كعب[1]:

(١) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

فتجهز رسول اللَّه ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئًا، وأقول في نفسي: أنا قادرٌ على ذلك، إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول اللَّه ﷺ غاديًا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو[1]، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يُقدَّر ذلك لي.

فأقبل على الصلح وأنت تملك أمرك، قبل أن يخرج الأمرُ من يدك وتفرض عليك الأمور فرضًا.

وافعل الخير وأنت تملك أمرك، فهذا خيرٌ لك من أن تفعله وأنت مغلوب عليه وعلى فعله، بل وقد يُحال بينك وبين فعله بالكلية.

● قال النبي ﷺ للأعرابي الذي جاءه أسيرًا، لما قال له الأعرابي: يا محمد إني مسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «**لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح**»[2].

---

(١) تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(٢) مسلم (١٦٤١) من حديث عمران بن حصين رضي اللَّه عنه قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عُقيلٍ، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وأسر أصحاب رسول اللَّه ﷺ رجلاً من بني عقيلٍ، وأصابوا معه العضباء[1]، فأتى عليه رسول اللَّه ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد، فأتاه، فقال: «ما شأنك؟» فقال: بم أخذتني؟ وبم أخذت سابقة الحاج[2]؟ فقال ـ إعظامًا لذلك ـ: «أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف» ثم انصرف عنه فناداه فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول اللَّه ﷺ رحيمًا رقيقًا، فرجع إليه فقال: «ما شأنك؟» قال: إني مسلمٌ، قال: «لو قلتها وأنت تملك أمرك[3]، أفلحت كل الفلاح».

---

(١) العضباء ناقة نجيبة كانت لرجل من بني عقيل ثم انتقلت إلى رسول اللَّه ﷺ «نووي».

(٢) يعني: الناقة. (٣) أي: لو قلتها قبل الأسر لفُزْتَ.

وليس مرادي تـأخير الصلح وفـعل الخيـر إلى أن تكون في مركـز قوي، ولكن مرادي أنك مـا دمت في مركزٍ طيب فـبادر بالصلح وفعل الخيـر حتى يعظم لك الأجر ويـكمل لك الثواب، ثم إن تقدير الـناس لك يزداد قبل أن تفعله في موقف يقلُّ فـيه أجرك بل قد يذهب فيه ثواب عـملك ويقل توقير الناس لك ويطعنوا في عملك لكونك عملته في موقف ضعف.

فهـل ترى أن من أسلم بعد الفـتح ـ فتح مكة ـ كـمن أسلم قبل الفـتح؟ كلا، بل لا يستوون:

• قال تعـالى: ﴿**لا يَسْتَوِي منكُم مَّنْ أَنفَقَ من قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا منْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الحديد: ١٠].

• وقـد قـال النبي ﷺ: «**بادروا بالأعـمال فتـنًا كقطع الليل المظلم يصـبح الرجل مـؤمنًا ويمسي كافـرًا، أو يُمسي مؤمنًـا ويصبح كافـرًا يبيع دينه بـعرضٍ من الدنيـا**»[(١)]، أي: بادروا بالأعمـال قبل أن تأتي فتن كفتن الـليل المظلم تحول بينكم وبين فعل الخير.

قال النـووي رحمه اللَّه: مـعنى الحديث الحـث على المبادرة إلى الأعـمال الصالحـة قبل تعذرها والاشتـغال عنها بما يحدث مـن الفتن الشاغلة المتكاثرة والمتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر.

فبادر بالصلح يا عبد اللَّه، وادفـع بالتي هي أحسن السيئة: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) مسلم (حديث ١١٨).

صِلْ من قطعك، واعفُ عمن ظلمك، وأعط من حرمك، ولا تنشئ المشاكل، ولا تختلق المشاحنات، ولا تتسبب في العداوات والبغضاء.

بالصلح تنام وأنت قرير العين هادئ البال، بالصلح تحظى بعفو اللَّه عنك، بالصلح تقطع على شياطين الإنس وشياطين الجن وساوسهم ووشاياتهم، بالصلح تأمن يوم القيامة، بالصلح تتخفف من الأوزار والأحمال والأثقال.

وتنجو من القيل والقال والمؤامرات وسهر الليالي للتبييت للأعداء ولاتقاء شرهم ومكرهم كذلك، كل ذلك بإذن اللَّه، فعليك بالصلح، وعليك بالعفو، وعليك بالصفح، واللَّه يحب المحسنين.

الصلح بين المسلمين والكفار:

ما الصلح بين المسلمين والكفار فهو في أصله جائز بضوابطه الشرعية:

● وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [الأنفال: ٦١].

● وقد صالح النبي ﷺ[(١)] المشركين في صلح الحديبية المشهور.

● وفي «سنن أبي داود»[(٢)] بإسناد صحيح من حديث ذي مخبر قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ستصالحون الروم صلحًا آمنًا فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم...**» الحديث.

---

(١) انظر: البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) «سنن أبي داود» (حديث ٤٢٩٢).

• وأخرج البخاري[١] من حديث عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم ـ فقال: «**اعدد ستًا بين يدي الساعة**... فذكر الحديث وفيه: **ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر**[٢] ...» الحديث، ولكن هذا الصلح يكون بضوابطه الشرعية وحسب حاجة المسلمين[٣].

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٣١٧٦).

(٢) بنو الأصفر: هم الروم.

(٣) ولن أستطرد في إيراد ما يتعلق بهذا هنا؛ لأن الكتاب موضوعه فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

• فإلى هذا الأدب أرشدنا ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

أي: إذا كان المدين مُعسرًا فنظرة: (أي فإمهال) إلى أن ييسر اللَّه له ويرزقه.

فاحمد اللَّه يا عبد اللَّه أن جعلك اللَّه دائنًا ولست مدينًا، وأن جعل يدك هي العليا ولم يجعلها السفلى، وجعلك أنت الطالب ولست المطلوب.

فهموم الدَّين ثقيلة على العباد، تُلجئهم إلى أن يُحدثوا فيكذبوا وأن يَعدُوا فيخلفوا كما قال الرسول ﷺ: «**إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب ووعد فأخلف**»[1].

تضطرهم مطالبات أصحاب الديون إلى الهرب من بيوتهم، وإلى مشاكل مع أهلهم وذويهم.

فكم من رجل مدين قد أرَّقه الدَّين، وأقلق مضجعه، ومنعه من الفراش، ومنعه من التلذذ بزوجته الحلال! وكم من بيت عَائِلُهُ مدين قد قلب البيت كله إلى بكاء وهموم من مطالبات أصحاب الديون! وكم من مدين لا يجد

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ٢/٣١٧)، ومسلم (٥/٨٧) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: «إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب ووعد فأخلف».

لقمة العيش في بيته، ولا ما يسد به رمقه!!

فكن رحيمًا بالمدينين، وخفف عنهم وأَنْظِرهم،وأمهلهم إلى إلى أن ييسر اللَّه عليهم السداد لك ولغيرك، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة تحث على ذلك:

وها هو الرسول ﷺ يشير على أصحابه بالتخفيف عن المدينين:

• ففي «الصحيحين»[1] من حديث كعب بن مالك رضي اللَّه عنه أنه تقاضى ابن أبي حَدْرد دينًا له عليه في عهد رسول اللَّه ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول اللَّه ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول اللَّه ﷺ حتى كشف سِجْفَ حُجرته ونادى: «**يا كعب بن مالك، يا كعب**»، قال: لبيك يا رسول اللَّه، **فأشار** إليه أن ضع الشطر من دَيْنكَ، قال كعبُ: قد فعلت يا رسول اللَّه، قال رسول اللَّه ﷺ: «**قُمْ فاقْضه**».

• وفي «الصحيح» من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سمع رسول اللَّه ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع[2] الآخر ويسترفقه في شيء، وهو يقول: واللَّه لا أفعل، فخرج رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أين المتألي على اللَّه لا يفعل الخير؟**» قال: أنا يا رسول اللَّه، فله أي ذلك أحب[3].

---

(١) البخاري (حديث ٤٧١)، ومسلم (حديث ١٥٥٨).
(٢) أي يطلب منه أن يضع عنه شيئًا من الدَّين.
(٣) أي فليختر ما يشاء يا رسول اللَّه، والحديث عند مسلم (حديث ١٥٥٧).

وها هي طائفة من الأحاديث الواردة عن رسول اللَّه ﷺ في فضل إنظار المُعسر:

● أخرج مسلم[١] من حديث أبي اليسر صاحب رسول اللَّه ﷺ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أنظر مُعسرًا أو وضع عنه أظلَّه اللَّه في ظلِّه**».

● وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تلقت الملائكة روحَ رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئًا؟ قال: لا، قالوا: تَذكَّر، قال: كنت أُداين الناس فآمر فتياني أن يُنظروا المُعسر ويتجوزوا عن الموسر، قال: قال اللَّه عز وجل: تجوزوا**».

● ونحوه من حديث أبي مسعود[٣] عند مسلم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يُوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يُخالط الناس، وكان موسرًا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المُعسر، قال: قال اللَّه عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه**».

● وأخرج مسلم[٤] من طريق عبد اللَّه بن أبي قتادة أن أبا قتادة طلب غريمًا له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إني مُعسر، فقال: آللهِ؟ قال: آللهِ، قال: فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من سره أن ينجيه اللَّه من كرب يوم القيامة فلينفس عن مُعسر أو يضع عنه**».

● وأخرج مسلم[٥] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس اللَّه عنه كربة من كرب يوم القيامة**».

---

(١) مسلم (حديث ٣٠٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠).
(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦١).
(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٥٦٣).
(٥) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

• وأخرج أحمد بإسناد حسن[1] من حديث بريدة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من أنظر مُعسرًا فله بكل يوم مثله صدقة**».

قال: ثم سمعته يقول: «**من أنظر مُعسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة**».

قال: «**له بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدَّين، فإذا حل الدين فأنظره، فله بكل يوم مثليه صدقة**».

ولا أقول لك بدِّد أموالك وأتلفها، واتركها للسفاحين وآكلي أموال الناس بالباطل يأكلونها، ولكن الرحمة الرحمة بالضعفاء والفقراء.

أقول لك أخي الكريم حافظ على أموالك، وأنفق في مواطن الخير وأبواب المنافع وطرق الصلاح، ولا تضيِّع الأموال في الباطل فإن اللَّه تعالى قد كره لنا إضاعة المال:

• أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه الذي كتبه إلى معاوية لما طلب منه معاوية أن يرسل إليه بشيء سمعه من رسول اللَّه ﷺ فكتب: «كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

طالِبْ بحقك واسعَ وراء تحصيله خاصة من المليء المماطل والغني المراوغ الطماع.

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**﴾ [آل عمران: ٧٥].

أي قائمًا بالملازمة والمطالبة بالدَّين الذي لك عنده.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٠).

(٢) البخاري (حديث ٧٢٩٢)، ومسلم (حديث ٥٩٣ ص ١٣٤١).

وأنت أيضًا أيها المدين :

• بادر بسداد ما عليك من ديون، فإنك مطالب بها في الآخرة فضلاً عن الدنيا، فإذا وسع اللَّه عليك فقم بسداد الدين ولا تأكل أموال الناس بالباطل، فإنهم يأخذون منك ذلك حسنات يوم القيامة.

• اذكر جيدًا وتذكر قول النبي ﷺ: «**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين**»[١].

• تذكر جيدًا أن النبي ﷺ أُتي بجنازة فسأل: «**هل على صاحبها دين؟**» فلما قالوا: نعم، سأل: «**هل ترك لدينه وفاءً؟**» فلما قالوا: لا، قال: «**انطلقوا فصلوا على صاحبكم!!!**»[٢].

• تذكر أن النبي ﷺ قال في شأن المفلس: «**إنه يأتي يوم القيامة وقد أكل مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار!!**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٨٦) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٢٨٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي اللَّه عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ أُتي بجنازة فقالوا: صلِّ عليها، فقال: «هل عليه دَين؟» قالوا: لا، قال: «فهل ترك شيئًا؟» قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أُتي بجنازة أخرى فقالوا: يا رسول اللَّه صلِّ عليه، قال: «هل عليه دين؟» قيل: نعم، قال: «فهل ترك شيئًا» قالوا: ثلاثة دنانير فصلى عليها، ثم أُتِي بالثالثة فقالوا: صلِّ عليها، قال: «هل ترك شيئًا؟» قالوا: لا، قال: «فهل عليه دين؟» قالوا: ثلاثة دنانير، قال: «صلُّوا على صاحبكم»، قال أبو قتادة: صلِّ عليه يا رسول اللَّه وعليَّ دَينُه، فصلى عليه.

(٣) حديث المفلس عند مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه وهذا لفظه: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

● تذكَّر قول اللَّه تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٨].

● واعلم أن حقوق المؤمنين ستؤخذ منك إن عاجلاً أو آجلاً قال النبي ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[١].

● وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عِرْضه أو شيء فليتحلّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**».

تذكَّر أن مماطلتك وأنت تقدر على السداد ظلم يُحلُّ عقوبتك ويُحل عرضك كما قال النبي ﷺ: «**مطل الغني ظلم**»[٣].

● وفي رواية عند أبي داود[٤] بإسناد حسن من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ليُّ الواجد يُحلُّ عرضه وعقوبته**».

فلا يسول لك الشيطان ويزين لك المماطلة فإنك لا تدري لعلك تموت ولا يسدد عنك أولادك ولا ورثتك!!

لا يحملنك الشيطان على أن تقول: إن صاحب المال ثري فلا عليَّ أن آكل أمواله!! انتبه فإن هذا من عمل الشيطان.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢).

(٢) البخاري (حديث ٢٤٤٩).

(٣) البخاري (حديث ٢٢٨٨)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٤) أبو داود (حديث ٣٦٢٨).

لا تأخذ أموال الناس تريد إتلافها فمن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه اللَّه.

استعن باللَّه واحرص على سداد الدَّين وسل ربك العون، فمن أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى اللَّه عنه:

● أخرج البخاري[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من أخذ أموال الناس يُريد أداءها أدّى اللَّه عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه اللَّه»**.

* * *

(١) البخاري (حديث ٣٣٨٧).

• أثر الإيمان بالقدر على حسن الخلق وعلى المعاملات مع المؤمنين •

سبق أن بيَّنا أن هناك ارتباطًا وثيقًا واتصالاً قويًا بين حسن الخلق والإيمان باللَّه عز وجل، وأن هذا يتناسب طردًا فكلما قوي الإيمان باللَّه وازداد حَسُنت الأخلاق وسَمَتْ.

وكذلك لسائر أركان الإيمان تأثيرٌ في حُسن الخلق، وقد قدمت شيئًا من أثر الإيمان باليوم الآخر على حسن الخلق من قبل، وأشير هنا إشارةً سريعةً إلى أثر الإيمان بالقدر على حسن الخلق وعلى التعاملات مع المؤمنين.

فالإيمان بالقدر يورث طمأنينة للقلب وهدوءًا للبالِ واستقرارًا للنفس وشجاعةً وإقدامًا وإقرارًا للحق وإبطالاً للباطل.

• أما كون الإيمان باللَّه يورث هدوءًا للقلب وراحةً للبال، فكما قال اللَّه تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن: ١١].

• وكما قال سبحانه: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فإذا كان الشخص هادئ القلب مستريح البال انعكس ذلك على تعاملاته مع الناس، فـفرق بين من يتعامل مع الناس وهو قلق مضطرب، خائف، وجل، وبين من يتعامل معهم وهو هادئ القلب مستريح البال، فالأخير يتخذ قرارات صحيحة ورشيدة والأول أمره دومًا في شتات!

• وانظر إلى أهل الكفر وشأنهم في صلح الحديبية مع النبي ﷺ، كما ورد في سورة الفتح، فيقول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**[1]﴾ [الفتح: ٢٦].

وفي المقابل انظر إلى شأن رسول اللَّه ﷺ وشأن المؤمنين كما ذكره اللَّه بقوله: ﴿**فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا**﴾ [الفتح: ٢٦].

• وانظر إلى ماذا آلت الأمور، فالحمد للَّه كانت العاقبة للتقوى، مع أن بعض الصحابة رضوان اللَّه عليهم كان يأبى ويرفض أشد الإباء والرفض ما يصدر من الكفار آنذاك، ولكن كما قال تعالى: ﴿**فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: ٢٧].

• وانظر إلى هذه الحسرة التي جعلها اللَّه في قلوب الكافرين لما جهلوا الأمر كفروا بالقدر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [آل عمران: ١٥٦].

فإذا أيقن المرء بذلك وأيقن أن الأمور مقدرة وأيقن في باب الرزق بقول اللَّه تعالى: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩]،

---

(١) وكان من صورة هذه الحمية الجاهلية وانعكاساتها أنهم طلبوا من رسول اللَّه ﷺ أن يمحو (بسم الله الرحمن الرحيم) ويكتب: (باسمك اللهم)، ويمحو (محمد رسول اللَّه) ويكتب بدلاً منها (محمد بن عبد اللَّه) وأصروا على ذلك أيما إصرار فأجابهم إلى ذلك رسول اللَّه ﷺ وهو هادئ القلب مستقر النفس، وكان في ذلك الخير كل الخير.

فحينئذ سيقدم على إطعام المساكين وإكرام الأضياف وإعانة المحتاجين، وسيُكتسى حينئذ بخلق الكرم ذلك الخلق القويم، فيحمده الخالق ويحمده الخلق كذلك.

● وكذلك لو علم أن خزائن كل شيء بيد اللَّه سبحانه ومنتهى الأمور إليه كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧]. .

● وكما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

فحينئذ لن يذل نفسه كبير إذلال أمام الناس وسيحفظ ماء وجهه عندهم وكذلك فلن يرزؤهم في مالهم فإن الناس في العادة يكرهون السائل ويحبون المعطي وقد قال النبي ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»[1] .

● وإذا علم المسلم أن الذكاء والعلم والفهم كلٌّ ذلك مقدَّر كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

● وكما قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

● وكما قال تعالى في شأن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] .

● وكما قال اللَّه سبحانه في شأن طالوت: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وكذا أخرجه البخاري (١٤٢٩) ومسلم (١٠٣٣) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا، وله عدة طرق أخرى في «الصحيحين» وغيرها عن رسول اللَّه ﷺ.

وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

• وكما في الآية الكريمة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤].

• وكما قال اللَّه سبحانه في شأن الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف: ٦٥].

• وقد قال الخضر لموسى عليه السلام: «**يا موسى إني على علم من علم اللَّه علمنيه اللَّه لا تعلمه، وأنت على علم من علم اللَّه علمكه لا أعلمه**»[1].

• وقد قال النبي ﷺ في دعائه لابن عباس رضي اللَّه عنهما: «**اللهم علمه الكتاب**» [2] وفي رواية: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[3] وفي ثالثة: «**اللهم علمه الحكمة**»[4].

فإذا علم المسلم ذلك، وفهم الأذكياء والمهرة في أعمالهم أن ماهم فيه من ذكاء وما بهم من مهارة وما حازوه من تفوق ودرجات، كلٌّ ذلك من اللَّه تعالى، إذا علموا ذلك؛ تواضعوا لخلق اللَّه وخفضوا لهم الجناح وذكروا أن الذي أعطاهم قادرٌ على سلب نعمه منهم كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]. فحينئذ سيسألون ربهم دوام نعمه ويتعوذن من زوالها وسيحسنون إلى خلق اللَّه شكرًا لنعم اللَّه، وسيتواضعون للخلق أيما تواضع.

• وإذا علم الشخص أنه لن يصيبه إلا ما كتبه اللَّه له، كما قال سبحانه:

---

(١) البخاري (٣٤٠١) ومسلم (٢٣٨٠) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٥، ٧٢٧٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٨/١) بإسناد حسن من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] .

● وكما قال عز وجل: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾** [التغابن: ١١].

● وكما قال: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾** [الحديد: ٢٢] .

إذا علم ذلك كله؛ تكلَّم بالحق ولم يخش في اللَّه لومة لائم، وأنكر المنكر، وأمر بالمعروف، ودخل في عداد الشجعان البواسل فأحبه الخلق بعد حب الخالق له.

● وإذا علم العبد أن الأرزاق مقدرة، وأن اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر كما قال تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾** [الإسراء: ٣٠، ٣١] .

● وقال سبحانه: **﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾** [فاطر: ٣].

والملك يؤمر بكتب رزق العبد وهو في بطن أمه.

● وقال النبي عليه الصلاة والسلام لأم حبيبة: «**قد سألت اللَّه لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله، أو يؤخر شيئًا عن حله . .**»[1] .

● وإذا علم أن خزائن كل شيء بيد اللَّه:

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٦/ ٢١٢) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

• وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧].

• وأن إليه المنتهى في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

فإذا علم المسلم ذلك تواضع للَّه ولم يستكبر على الخلق، وأيضًا لم يذل نفسه للخلق ولم ينزل حاجاته بهم ولم يرزؤهم في أموالهم وأشيائهم.

وكذلك لو أدرك أن الذنوب مقدرة، فلن يُعيِّر الذين أذنبوا وتابوا من ذنوبهم ورجعوا عنها، وكذلك لم يُعيِّر الذين أخطأوا خطأ غير متعمد.

• فلما غُلب بلال لم يعاتبه رسول اللَّه ﷺ كما في «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ، حين **قفل** من غزوة خيبر[2] سار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرَّس[3]. وقال لبلال: **«اكلأ لنا الليل»**[4]، فصلى بلالٌ ما قُدِّر له. و نام رسول اللَّه ﷺ وأصحابه. فلما تقارب الفجر استند بلالٌ إلي راحلته مواجه الفجر[5]. فغلبت بلالاً عيناه وهو مستندٌ إلى راحلته. فلم يستيقظ رسول اللَّه ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول اللَّه ﷺ أولهم استيقاظًا. ففزع رسول اللَّه

(١) أخرجه مسلم (حديث ٦٨٠).
(٢) قفل أي رجع.
(٣) عرَّس أي نام.
(٤) اكلأ لنا الليل أي: احرسه واحفظه.
(٥) مواجه الفجر أي: مستقبل الفجر.

ﷺ فقــال: «**أي بــلال!**»، فقال بلالٌ : أخــذ بنفسي الذي أخذ (بأبي أنت وأمي! يا رسول اللَّه) بنفسك . قال: «**اقتادوا**»، فاقتادوا رواحلهم شيئًا. ثم توضأ رســول اللَّه ﷺ. وأمر بلالاً فأقام الصــلاة. فصلى بهم الصبح، فلما قـضى الصلاة قـال: «**من نسي الصــلاة فليصلهــا إذا ذكرها**». فـإن اللَّه قــال: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: ١٤] .

ولا يُعير شخصٌ ارتكب ذنبًا ثم تاب منه :

● فقد أخرج البـخاري ومسلم[١] من حـديث أبي هريـرة عن النبي ﷺ قـال: «**احتج آدم وموسى . فقال له موسى: يا آدم ! أنت أبـونا. خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فـقـال لـه آدم : أنت مـوسى . اصطفـاك اللَّه بكـلامـه، وخط لك بيـده، أتلومني على أمـر قـدره اللَّه عليَّ قبل أن يخـلقني بأربعين سنة؟**»، فـقــال النبي ﷺ: «**فحج آدم موسى. فحج آدم موسى** ».

● وفي روايةٍ لمسلم من حديث أبي هريرة. قـال رسول اللَّه ﷺ: «**احـتج آدم وموسى عليـهما السلام عند ربهـما . فحج آدم موسي . قـال موسى :أنت آدم الذي خلقك اللَّه بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنتـه ، ثم أهبطت الناس بخطيـئتك إلى الأرض ؟فقـال آدم : أنت مـوسى الذي اصطفـاك اللَّه برسالتـه وبكلامه. وأعطاك الألواح فـيهـا تبيان كل شـيء ، وقربك نجـيًّا، فبكم وجدت اللَّه كتب التوراة قـبل أن أُخلق ؟ قال موسى : بأربعين عامًا . قال آدم: فهل وجدت فيها : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾** [طه: ١٢١] . **قال : نعم . قـال: أفتلومني علـى أن عملت عـملاً كـتـبه اللَّه عليَّ أن أعـمله قـبل أن يخلقني**

(١)أخرجه البخاري (حديث ٦٦١٤)، ومسلم (حديث رقم ٢٦٥٢).

بأربعين سنة؟»، قال رسول اللَّه ﷺ : « **فحج آدم موسى** ».

• وإذا أيقنت المرأة أن لها ما قُدِّر لها حسنت أخلاقها ، ولم تسأل زوجها طلاق ضـرتها، قـال النبي ﷺ: «**لا يحل لامرأة تسأل طـلاق أختها لتسـتفرغ صحفتها فإنما لها ما قُدِّر لها** »[1] .

وكذلك إذا واعـد الشخصُ رجلاً موعـدًا وجلس في انتظاره ثم حال بين هذا الرجل وبين الوفاء بموعده حائـلٌ خارج عن إرادته وجاء يشكو عذره إلى أخيه، فمن كان مؤمنًا بالقدر سيـرضى وسيعلم أنه ما فاته شيء كتبه اللَّه له فحينئـذ سيقل عتابه ولومـه وتثريبه على أخيه بل وسـيطيب خاطره ويطمئن قلبه على ما قد فات.

• وكذلك لو أيقن الشخص أن الذرية مقدرة وأن الإنجاب والعقم من اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴿٤٩﴾ **أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] .

إذا أيقن بذلك لم يحـسد الناس على ما آتاهم اللَّه من فـضله ولَرَضى بما قسمه اللَّه له، ولم ينفعل على أولاد الناس، وكذلك لم يفخر على الناس إذا كان قد رزق بالذكور أو الإناث.

• وهكذا في سـائر الأبواب فللإيمان بالقـدر أثرٌ حـمـيدٌ على تـصرفـات الشخص وعلى تعاملاته مع الناس، وعلى صبره عليهم والتماسه المعاذير لهم والإبقاء على المودة والمحبة بينه وبينهم، والموفَّق من وفقه اللَّه سبحانه وتعالى والمهتدي من هداه اللَّه.

(١) البخاري (٥١٥٢) ومسلم (١٤١٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• وصل الرحم وأثره على التعاملات مع الأقربين والأبعدين •

لصلة الرحم انعكاسٌ على التـعاملات مع الأقـارب والأرحام، فليس من وصل أرحامه كمن قطعهم.

فصلة الأرحـام ـ فضلاً عـما فيـها من ثواب وخير وبـركة ـ تنعكس على التعـاملات مع الأقـربين، بل ومع عمـوم الناس، فإنهـا أيضًا تُلَيِّـن الجانب وتجعل كلامَ من وَصَلَ ونُصْحَ من نَصَحَ أدعى للقبول والامتثال.

وقد ذكر العلماء ذلك عند تناولهم لحديث رسول اللَّه ﷺ: «.. **ولكن لهم رحم سأبلهـا ببلاها**» فالرحم شبهـت بالجلد الذي إذا ترك يابسًا صعُب عليك وشق عليك تحريكه، أمـا إذا بللته بالماء،وتابعت ذلك، سـهل عليك وأصبح لينًا في يديك، وهكذا الرحم، فإذا كنت تصل أقرباءك وتُهـدي إليهم وتتفقد أحوالهم وتسـأل عنهم، وتشاركهم أحـزانهم وأفراحهم، فـإنهم والحال هذه يستـمعـون إليك إذا حدثتهـم ويقبلون منك إذا نصـحتهم، لعلمـهم بحنوك عليهم وشفقتك بهم وحرصك على وصالهم.

أما إذا هجرتهم وقطعتهم فإنهم لا يعبأون بك ولا يُلقون لقولك بالاً، ولا يُعيرون نصحك اهتمامًا، فبهذا يظهر شيء من فضلِ مَن وصل.

ولا يقف أثر وصل الأرحام على التـعاملات مع الأرحام فحـسب بل يمتد هذا الأثر إلى التعاملات مع عموم المؤمنين بل مع عموم الناس.

فابتداءً من أحـبه الخالق حبَّب فيـه خلقه، ومن أبغضه الخـالقَ بغَّضَه إلى

العبـاد، وثواب وصل الرحم يجازي اللَّه به ويثيب اللَّه عـليه بما ينعكس أثره على التـعاملات مع الـناس، فيصلح الـلَّه للعبـد أحواله ويسدده فـي أقواله وأفعاله جزاءً بما أحسن ووصل.

وفي المقابل فإن قـاطع الرحم يُعاقب وقد تكون العقوبه في نفـسه أو فيمن حوله فيسوء تصرفـه مع الناس فيجهل على هذا، ويسب هذا، ويشتم هذا بما يجر عليه شرًا وسـوءًا من الناس، فقد قال النبي ﷺ: **«ما من ذنـب أجدر أن تعجـل عقوبـته في الدنيـا مع ما يدخـر لصاحبه يوم القـيامة: من الـبغي وقطيـعة الرحم»**[1] .

● هذا ولوصل الرحم تأثيرٌ من وجهٍ آخر على التعاملات مع الناس:

فالناس إذا رأوك واصلاً للرحم أحـبوك وكان قولك حريًـا بالقبول عندهم وكان ثناؤهم العطر عـليك سببًا في تـوفيقك في معـاملاتك معـهم، أما إذا دعوتهم لأمـر وأنت قاطع للرحم، وقـد استـقر في أذهانهم السـوء تجاهك. فيقولون: مـا بال هذا يدعونا للخير وهو قاطع لرحمـه؟!! ما باله يحثنا على المعروف وهو بعيد عنه؟ فيصاحب ذلك ازدراء منهم لك وتسخطٌ منهم عليك وحذرٌ منهم عند التعامل معك.

فإذا أتاك شابٌ مثـلاً عاقًا لوالديه أو قاطعًا لرحمـه ومؤذيًا لهم، جاء هذا الشاب ليخطب ابنتك، فهل ستبادر بـتزويجه أم أنك ستتريث وتراجع نفسك مرة بـل مرات في شـأنه؟! والغالب أنه سـيكونُ مرفـوضًا عند أهل الفـضل والصلاح. فكيف يزوِّج رجلٌ من أهل الصلاح ابنتَه من قاطعٍ للرحم وملعون في كتاب اللَّه، وعلى لسان رسول اللَّه ﷺ ؟!

(١) صحيح وسيأتي إن شاء اللَّه.

ويجدر بنا هنا أن نذكرّ ببعض الوارد في الحث على صلة الأرحام[١] .

- قال اللَّه تبارك وتعالى مثنيًا على أولي الألباب:

﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٢٠، ٢١] .

- وقال سبحانه حاثًا على إيتاء الأقربين حقوقهم:

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨] .

- وقال سبحانه: **﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾** [النساء: ٣٦] .

- وقال تعالى: **﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ ﴾** [البقرة: ٨٣].

- وأخرج البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» .

- وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه مرفوعًا أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يبسط له في رزقه ويُنسأ[٤] له في أثره فليصل رحمه**»[٥].

- وأخرج البخاري[٦] ومسلم من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنه

---

(١) ليس مرادي هنا الاستقصاء في إيراد ما يتعلق بصلة الأرحام إنما قصدي إيراد ما يتعلق منها بموضوع الكتاب، وهو (فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين).

(٢) البخاري (٦١٣٨).

(٣) البخاري (حديث ٥٩٨٦) ومسلم (حديث ٢٥٥٧).

(٤) يُنسأ أي يؤخر.

(٥) أثره أي أجله.

(٦) البخاري (حديث ٥٩٨٠)، ومسلم (ص١٧٧٣).

مرفوعًا أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه فقال: ما يأمر؟ يعني النبي ﷺ فقال: «**يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة**».

ولما قال رسول اللَّه ﷺ لخديجة رضي اللَّه عنها: «**زملوني زملوني**» وأخبرها الخبر - خبر الوحي - قائلاً: «**لقد خشيت على نفسي**» قالت خديجة رضي اللَّه عنها: «كلا واللّه ما يخزيك اللَّه أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»[١] .

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث حكيم بن حزام رضي اللَّه عنه أنه قال: يا رسول اللَّه، أرأيت أمورًا كنت أتحنث[٣] بها في الجاهلية من صلة[٤] وعتاقة وصدقة هل كان لي فيها من أجر؟ قال حكيم: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أسلمت على ما سلَفَ من خير**».

وفي «الصحيحين»[٥] من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي اللَّه عنه مرفوعًا أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه أخبرني بعمل يُدخلني الجنة، فقال القوم ماله ماله؟ فقال: رسول اللَّه ﷺ: «**أرَب ماله**»، فقال النبي ﷺ: «**تعبد اللَّه لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم**».

قول النبي ﷺ «ليس الواصل بالمكافئ»:

وفي «الصحيح»[٦] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنه مرفوعًا

(١) البخاري (حديث رقم ٣) ومسلم (حديث ١٦٠).
(٢) البخاري (٥٩٩٢)، ومسلم (١٢٣).
(٣) تحنث: أتعبَّد.
(٤) في رواية البخاري (١٤٣٦): ومن صلة رحم.
(٥) البخاري (حديث ٥٩٨٣) ومسلم (ص٤٣).
(٦) البخاري (٥٩٩١).

عن النبي ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ**[1]**، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها**».

وصل من قطع:

● وأخرج مسلم[2] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلُمُ عنهم ويجهلون عليَّ! فقال: «**لئن كُنتَ كما قلت فكأنما تُسفُّهُمُ الملّ**[3] **ولا يزال معك من اللَّه ظهير**[4] **عليهم ما دُمت على ذلك**».

وحتى الرحم الكافرة تُوصل ما دامت ليست هناك مفسدة:

● وذلك لقوله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

● وقد أخرج البخاري ومسلم[5] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي

---

(١) المعنى، واللَّه أعلم: ليس الواصل كاملَ الوصل هو الذي يصل من وصله، أي ليس هو الذي يكافئ من وصله بأن يصله كما وصله، ولكن الواصل كامل الوصل هو الذي يصل من قطعه، واللَّه أعلم. وقال الحافظ في «الفتح»: هم ثلاث درجات: مواصل ومكافئ وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يُتفضل عليه ولا يتفضل.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٥٨).

(٣) الملّ هو الرماد الحار، ومعنى تُسفهم الملّ أي تطعمهم الرماد الحار.

(٤) الظهير: المعاون

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٢٠) وفي عدة مواطن من «صحيحه» ومسلم (٣/ ٤١) وأبو داود (١٦٦٩).

اللَّه عنهما قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول اللَّه ﷺ فاستفتيت رسول اللَّه ﷺ قلت: إن أُمي قَدِمَتْ وهي راغبةٌ أفأصل أمي؟ قال: «**نعم صِلي أُمّكِ**».

• وأيضًا فقد قال تعالى: ﴿**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ [لقمان: ١٥].

• وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زَعَمْتَ أن اللَّه وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: فمكثت ثلاثًا حتى غُشِيَ عليها من الجهد، فقام ابن لها يُقال له: عمارة، فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل اللَّه عزَّ وجل في القرآن هذه الآيه: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك على أن تشرك بي...**﴾، وفيها: ﴿**وصاحبهما في الدنيا معروفا**﴾ الحديث.

• وعند البخاري ومسلم[٢] من حديث عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول: «**إن آل أبي (يعني فلانًا) ليسوا لي بأولياء، إنما وليِّ اللَّه وصالح المؤمنين**» وفي زيادة من طريق عنبسة بن عبد الواحد عن بيان عن قيس (كما عند البخاري) عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ: «**ولكن لهم رحم أَبُلُها ببلاها**» يعني أصلها بصلتها.

---

(١) مسلم (حديث ١٧٤٨).

(٢) البخاري (٥٩٩٠) ومسلم (حديث ٢١٥) والزيادة عند البخاري، وهي معلقة، وقد ذكر الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤٢٢) من وصلها.

• وفي الصحيحين[1] أن عمر كسا أخًا له مشركًا ـ كان بمكة ـ حلةً أهداها رسول اللَّه ﷺ لعمر.

• ولكن كما قدمنا إذا كانت هذه الصلة ستجلب فسادًا ويحدث معها منكرٌ من المنكرات فحينئذ تترك هذه الصلة إلى أن يُطمأن إلى إبعاد الفساد وإزالة المنكر بمعنى إذا كانت صلة الرحم الكافرة سيأتي من ورائها شرٌ وفساد في الدين فحينئذ تُتقى هذه الصلة دفعًا للفساد فاللَّه لا يحب الفساد.

• وإذا كان وصل الرحم عمومًا سيجلب شرًا وفسادًا، كأن تذهب إلى أقربائك ويحدث مع هذا الذهاب خلوةٌ بنساءٍ لسن لك بمحارم، فحينئذ تُتقى هذه الخلوة، وتتم الصلة بوجه آخر من وجوه الصلة والإحسان: كإرسال هدية مثلاً أو اتصال هاتفي أو ترسل إليهم وتقرؤهم السلام.

أما قاطع الرحم فماذا عساه أن ينتظر؟!

هل ينتظر ثوابًا من اللَّه عز وجل على قطيعة رحمه؟!!

هل ينتظر ثناءً عطرًا من الناس؟!!

هل ينتظر لين الجانب من الخلق؟!!

كلا، بل فلينتظر عقابًا على قطع رحمه!

---

(١) أخرج البخاري (٢٦١٢) ومسلم (حديث ٢٠٦٨) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما؛ أن عمر ابن الخطاب رأى حلة سيراء عند باب المسجد. فقال: يا رسول اللَّه! لو اشتريت هذه فلبستها للناس يوم الجمعة، وللوفد إذا قدموا عليك! فقال رسول اللَّه ﷺ: «إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة» ثم جاءت رسول اللَّه ﷺ منهما حلل. فأعطى عمر منها حلة. فقال عمر: يا رسول اللَّه! كسوتنيها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «إني لم أكسكها لتلبسها» فكساها عمر أخًا مشركًا بمكة.

لينتظر لعنات على فساده في الأرض!

أما يخشى هذا القاطع أن يُصمَّه اللَّه ويعمي بصره؟!

فلينتظر هذا القاطع جفاءً وغلظةً من الناس، ولينتظر انفضاضًا للناس من حوله لفظاظته وغلظ قلبه، وليبشر بما يسوؤه.

وفضلاً عما ذُكر فإنَّ قطع الرحم كبيرة من الكبائر:

فإلى هؤلاء الذين أطغاهم الثراء وأعماهم المال وغرتهم كثرة النعيم، وحملهم الاستغناء على الطغيان والإعراض وقطع الأرحام، ونسوق هذه النصوص الرادعة بما تحمله من وعيد وتحذير وبيان كبير الجرم الذي هم فيه بقطعهم للأرحام:

- قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

- وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٥].

﴿**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧].

- وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه خلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقامُ**

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٨٧) ومسلم (حديث ٢٥٥٤).

العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك»، قال رسول اللَّه ﷺ: فاقرءوا إن شئتم ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾.

• وفي «الصحيح»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ: «**إنَّ الرحم شُجنة**[٢] **من الرحمن، فقال اللَّه: من وصلك وصلْتُه، ومن قطعك قطعته**».

• وفي «الصحيحين»[٣] من حديث عائشة رضي اللَّه عنه مرفوعًا، واللفظ لمسلم قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله اللَّه، ومن قطعني قطعه اللَّه**».

• وفي «الصحيحين»[٤] من حديث جبير بن مطعم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[٥].

• وأخرج أبو داود والترمذي[٦] وابن ماجه بإسناد صحيح من حديث أبي بكرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يُعجِّل اللَّه تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدَّخر له في الآخرة: مثل البغي وقطيعة الرحم**».

فليتق اللَّهَ امرؤٌ في رحمه، وليصل ما قد قُطع، وليُعط من قد منع وليستدرك ما قد فات.

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٨٨).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه: . . وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة.

(٣) البخاري (٥٩٨٩) ومسلم (٢٥٥٥).

(٤) البخاري (حديث ٥٩٨٤)، ومسلم (حديث ٢٥٥٦).

(٥) المراد بالقاطع: قاطع الرحم.

(٦) أبو داود (٤٩٠٢) والترمذي (٢٥١١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢١١).

●ولا يقف الثناء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ [الرعد: ٢١] على من وصلوا الأرحام، فالآية الكريمة وإن كان المراد بها ـ عند جمهور المفسرين ـ وصل الأرحام، لكن يدخل فيها أيضًا عموم الواصلين لما أمر اللَّه به أن يوصل، فيدخل فيها من وصل الأخوة الإيمانية بينه وبين عموم إخوانه المؤمنين، ويدخل فيها من وصلوا الإيمان بالعمل الصالح، ويدخل فيها من آمن بعموم الأنبياء والمرسلين ولم يفرق بين أحد منهم، ويدخل فيها من آمن بعموم الكتب المنزلة من عند اللَّه سبحانه وتعالى، كما قال بعض السلف الصالح رحمهم اللَّه ـ وإن كان كما قدمنا ـ وصل الأرحام داخل بالدرجة الأولى في هذه المذكورات وكذلك وصل الأخوة الإيمانية.

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] . وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم»[1] . فينبغي أن توصل الأخوة الإيمانية كما ينبغي أن توصل الأرحام.

وقد ذكرنا اللَّه سبحانه وتعالى بهذا الأصل في جملة مواطن:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١] .

● وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

وهذا كله كي يتعاطف الناس فيما بينهم، ويبذل غنيهم من ماله لفقيرهم، ويبذل قويهم من قوته لضعيفهم، ويبذل عالمهم من علمه لجاهلهم وهذا أيضًا كي تتقوى ما بينهم من وشائج وصلات وينمو ما بينهم من محبة ووئام.

ومن هنا شرعت أيضًا المواساة، فهذا بابها واللَّه المستعان.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥٩) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• مواساة الناس ومشاركتهم في مصائبهم •

المواساة باب له عظيمُ الأثر في توطيد العلاقات وجلب المودة ونشر المحبة بين العباد.

وتُطلق في الأصل على المداواة والإصلاح والعلاج، فكأن المواسي يُعالج المواَسَى ويداويه ويخفف عنه ما هو فيه.

وتكون المواساة بالمشاركة والمعاونة والمساهمة لتخفيف ما حل بأخيك المسلم.

ولهذا صورٌ، فأحيانًا تكون المواساة بالمال، وأحيانًا تكون بالجاه والشفاعات، وأحيانًا تكون بالبدن والخدمة، وأحيانًا تكون بالنصيحة والإرشاد، وأحيانًا تكون بالدعاء والاستغفار، وأحيانًا تكون بالتوجع والتألم لما أصيب به المسلم، وأحيانًا تكون بالتسرية عنه وإذهاب الهموم والأحزان وإدخال السرور والفرح عليه، وثمَّ صور أُخر للمواساة.

والقاعدة العامة لها والضابط الإجمالي أن يكون المرء في حاجة أخيه.

والمواساة دليل على الإيمان وثمرةٌ من ثمراته:

فكلما قوي الإيمان قويت المواساة، وكلما ضعف ضعفت المواساة، ولذلك كان رسول اللَّه ﷺ أعظم الناس مواساةً لأصحابه.

وكان فضلاء أصحابه أعظم الناس مواساة له ومن بعده.

وكان للأنصار فضلٌ على من سواهم بمواساتهم لرسول اللَّه ﷺ ولإخوانهم المهاجرين.

• ومن أبواب المواساة عيادةُ المريض، واتباع الجنائز، وتعزية من مات له

ميت، ومعاونة الضعيف، والسداد عن المدين شيئًا من ديونه، والمساهمة في حل مشاكل العباد، وجبر الخواطر وإقالة العثرات، ونحو ذلك.

وها هي بعض المباحث في ذلك، واللَّه المستعان ولا حول ولا قوة إلا باللَّه:

• المواساة بالمال •

وهي من أعظم أنواع المواساة، فمن أجَلِّ المقاصد التي شرعت لها الزكاة: مواساة الفقراء والمساكين والسائلين والغارمين ونحوهم فإذا كان بأخيك المسلم فقرٌ أو مسكنةٌ أو حلَّت به جائحة اجتاحت ماله وذهبت به فقُم إلى جواره بشيء من مالك تعوضه شيئًا مما أصابه وحلَّ به وتخفف عنه شيئًا مما ألمَّ به.

واعلم وأيقن أن اللَّه سبحانه وتعالى سيثيبك على هذا، وسيرضى عنك به وسيرضيك وسيهيؤك لأعمال الخير وسيشرح صدرك لها:

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ**﴾ [الليل: ٥ - ٧].

• وقال تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ**﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

• وقال تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ [المزمل: ٢٠].

• واعلم أيضًا أن اللَّه عزَّ وجل سيخلف عليك، فقد قال اللَّه سبحانه: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩].

• وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قال اللَّه تبارك وتعالى: يابن آدم أنفق أُنفق عليك**».

• وفي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا ابـن آدم**[3] **إنك إن تبذل الفضل خيـرٌ لك، وإن تُمسكه شرٌ لك ولا تُلام على كفاف**».

• وفي «الصحـيحين» من حـديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قـال: «**ما من يوم يُصبح العباد فيـه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعْطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[4].

• وليكن إنفاقك هذا ولتكن مـواساتك هذه ابتغاء مـرضات اللَّه عزَّ وجل قـال اللَّه تبـارك وتعـالى: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا**﴾ [الإنسان: ٩].

• وقال تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾ [الروم: ٣٩].

طائفة من أحاديث النبي ﷺ تحث على المواساة:

• أخرج البخاري[5] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما مرفوعًا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أربعون خصلة ـ أعلاهن منيحة العنز ـ ما من عامل**

(١) البخاري (حديث ٥٣٥٢)، ومسلم (حديث ٩٩٣).
(٢) مسلم (حديث ١٠٣٦).
(٣) وقع عند الحاكم (٢/ ١٥٠) يقول اللَّه يا ابن آدم.
(٤) البخاري حديث (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٥) البخاري (حديث ٢٦٣١).

يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله اللَّه بها الجنة» .

• وفي «صحيح مسلم»[1] عن أبي هريرة يبلغُ به[2]: **«ألا رجل يمنح أهل بيت ناقةً تغدو بعُسٍّ[3] وتروح بعُسٍّ، إن أجرها لعظيم»** .

• وعن أبي هريرة[4] رضي اللَّه عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ أنه نهى . . فذكر خصالاً وقال: **«من منح منيحةً غدت بصدقة وراحت بصدقة، صَبُوحها[5] وغَبُوقها[6]»** .

• وفي «الصحيح»[7] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا أن رسول اللَّه ﷺ: **«نعم المنيحة[8] اللقحة[9] الصفي[10] منحة، والشاة الصفي تغدو بإناء وتروح بإناء[11]»** .

---

(١)مسلم (حديث ١٠١٩).

(٢)أي يبلغ به النبي ﷺ.

(٣)العُسّ هو القدح الكبير، ومعنى تغدو بعُسٍّ وتروح بعس أي أنها تجلب ملءَ إناء كبير صباحًا وملءَ إناء كبير مساءً.

(٤)أخرجه مسلم (١٠٢٠).

(٥)الصبوح: هو ما حُلب من الناقة بالغداة.

(٦)الغبوق: هو ما حلب منها بالعشي.

(٧)البخاري (حديث ٢٦٢٩).

(٨)قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ٥/٢٤٣): والمنيحة بالنون والمهملة وزن عظيمة، هي في الأصل العطية، قال أبو عبيد: المنيحة عند العرب على وجهين: أحدهما: أن يعطي الرجل صاحبه صلةً فتكون له، والآخر أن يعطيه ناقةً أو شاة ينتفع بحلبها ووبرها زمنًا ثم يردها، والمراد بها في أول أحاديث الباب هنا عارية ذوات الألبان ليؤخذ لبنها ثم ترد هي لصاحبها.

(٩)اللقحة هي الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة.

(١٠)الصفيُّ هي الغزيرة اللبن.

(١١)أي تحلب إناءً بالغداة وإناءً بالعشي.

• وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة**».

• وعند مسلم[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه مرفوعًا قال: قال النبي ﷺ: « **طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية**»[٣] .

• وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللَّه عنهما أن أصحاب الصُّفَّة [٥] كانوا أُناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال مرةً: «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس ...**» .

• وأخرج مسلم[٦] في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ، إذ جاء رجل على راحلة له. قال: فجعل يَصرف بصره[٧] يمينًا وشمالاً. فقال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) البخاري (حديث (٥٣٩٢) ومسلم (حديث ٢٠٥٨).
(٢) مسلم (حديث ٢٠٥٩).
(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى: (فتح الباري ٩/ ٥٣٥): قال المهلب: المراد بهذه الأحاديث الحض علي المكارم والتقنع بالكفاية، يعني وليس المراد الحصر في مقدار الكفاية، وإنما المراد المواساة، وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث لطعامهما وإدخال رابع أيضًا بحسب من يحضر.
(٤) البخاري (حديث ٣٥٨١) ومسلم (حديث ٢٠٥٧).
(٥) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح ٦/ ٥٩٥) : والصفة مكان في مؤخرة المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى لهم ولا أهل وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر.
(٦) مسلم (حديث ١٧٢٨) وأبو داود (حديث ١٦٦٣).
(٧) قوله: فجعل يصرف بصره، وفي رواية أبي داود (يصرفها). وفي التعليق هناك: والأقرب أن الناقة أعجزها السير فأراد أن يرى النبي ﷺ ذاك فيعطيه غيرها.

«**من كان معـه فضل ظهر**[١] **فليعد به على من لا ظهـر له. ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**» .

قال: فذكـر من أصناف المال ما ذكر، حـتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

فهل هناك في زماننا من يفعل نحو ذلك ؟!

هل من رجل صالحٍ وسع اللَّه عليه وعنده سـيارات أن يدخل سرورًا على أسرة مسلمة ويعطيها سيارة يكتسب عائلها منها !!

هل من رجل من هؤلاء الذين وسع اللَّه عليـهم بصنوف الأراضي (أرض بناء وأرض فضاء وأرض تزرع) هل له أن يعطي أحدًا أرضًـا يزرعها يعول بها فقراء ممتثلاً حديث رسول اللَّه ﷺ: «**من كانت له أرض فليزرعهـا أو ليمنحها أخاه فإن أبي فليمسك أرضه**»[٢] .

هل من صاحب عـقارات يؤجرها يـأتي عليه شهـرٌ فيقـول للمستـأجرين عفوت لكم عن إيجار هذا الشهر؟!

هل من طبيب يأتيه مريض فقير فيتجاوز له عن قيمة الكشف[٣] ؟!! وهل من صيدلي يتجاوز للفقير عن قيمة الدواء ؟!!

- **ومن المواســاة**: وضع شيء من الدَّين عن المدين وإمـهال المدين إلى أن يوسع اللَّه عليه، وقد قدمنا بابًا في ذلك.

---

(١) فضل ظهر أي زيادة ما يركب على ظهره من الدواب.
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٣٢) ومسلم (ص١١٧٧). .
(٣) ولا يحتسب هذا من زكاة المال كما يفعله فريق من الأطباء.

● ومن ذلك قول النبي ﷺ : «**من سرَّه أن ينجيه اللَّه من كرب يوم القيامة فلينفس عن مُعسرٍ أو يضع عنه**»[١] .

وقول النبي ﷺ: «**من أنظر مُعسرًا أو وضع عنه أظلَّه اللَّه في ظله**»[٢] .

● وفي «الصحيحين»[٣] من حديث كعب بن مالك رضي اللَّه عنه أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا له عليه في عهد رسول اللَّه ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول اللَّه ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما رسول اللَّه ﷺ حتى كشف سجْفَ حجرته ونادى: «**يا كعب بن مالك، يا كعب،**» قال: لبيك يا رسول اللَّه، فأشار إليه أن ضع الشطر من دَيْنكَ. قال كعب: قد فعلت يا رسول اللَّه. قال رسول اللَّه ﷺ: «**قُمْ فاقْضه**» .

● وعلى هذا حث رسول اللَّه ﷺ غرماء جابر، حثهم صلوات اللَّه وسلامه عليه على وضع جزء من الدَّين الذي لهم:

● أخرج البخاري[٤] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أن أباه قُتِلَ يوم أحد شهيدًا فاشتد الغرماء[٥] في حقوقهم فأتيت رسول اللَّه ﷺ فكلمته فسألهم أن يقبلوا ثمر حائطي ويحلِّلوا أبي فأبوا[٦] . . . الحديث.

● وأبو قتادة رضي اللَّه عنه يتحمل الدَّين عن رجل قد مات:

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١١٥٦٣) من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١) ومسلم (حديث ١٥٥٩).

(٤) البخاري (حديث ٢٦٠١).

(٥) الغرماء هم أصحاب الحقوق.

(٦) في بعض روايات البخاري (٢٣٩٦) أن هذا الغريم كان يهوديًا.

• أخرج البخاري[١] من حديث سلمة بن الأكوع رضي اللَّه عنه قال: «كنا جُلوسًا عند النبي ﷺ إذْ أُتيَ بجنازة فقالوا: صلِّ عليها، فقال: «**هل عليه دين؟**» قالوا: لا . قال: «**فهل ترك شيئًا؟**» قالوا: لا. فصلى عليه. ثم أُتي بجنازة أخرى فقالوا: يا رسول اللَّه صلِّ عليها. قال: «**هل عليه دين؟**» قيلَ: نَعم. قال: «**فهل ترك شيئًا؟**» قالوا: ثلاثة دنانير. فصلَّى عليها. ثم أُتيَ بالثالثة فقالوا: صلِّ عليها. قال: «**هل ترك شيئًا؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل عليه دين؟**» قالوا: ثلاثة دنانير. قال: «**صلوا على صاحبكم**». قال أبو قتادة: صلِّ عليه يا رسول اللَّه وعليَّ دينُهُ، فصلَّى عليه».

وليُواسِ من أصيبَ بخسارةٍ في ماله فحتى المسألة تحلُّ لمثل هذا:

• أخرج مسلم[٢] من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحمَّلت حَمالةً[٣]. فأتيت رسول اللَّه ﷺ أسأله فيها. فقال: «**أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها**». قال: ثم قال: «**يا قُبيصة! إن المسألة لا تحلُّ إلا لأحد ثلاثة: رجلٌ تحمَّل حمالةً فحلت له المسألة حتى يُصيبها ثم يُمسك[٤]، ورجلٌ أصابته جائحة اجتاحت ماله[٥] فحلت له المسألة حتى يُصيبَ قوامًا من عيش**[٦] (أو

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٢٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٠٤٤).

(٣) تحملت حمالة: الحمالة هي المال الذي يتحمله الإنسان، أي يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين. كالإصلاح بين قبيلتين، ونحو ذلك.

(٤) حتى يصيبها ثم يمسك: أي: إلى أن يجد الحمالة ويؤدي ذلك الدين، ثم يمسك نفسه عن السؤال.

(٥) ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله: قال ابن الأثير: الجائحة هي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها وكل مصيبة عظيمة. واجتاحت: أي هلكت.

(٦) (قوامًا من عيش) أي إلى أن يجد ما تقوم به حاجته من معيشة.

قال:) سدادًا من عيشة[١]. ورجل أصابته فاقة[٢] حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجَا من قومه[٣]: لقد أصابت فلانًا فاقة. فحلت له المسألة. حتى يصيب قوامًا من عيش (أوسدادًا من عيش) فما سواهُن من المسألة، ياقبيصةُ! سحتٌ يأكُلُها صاحبها[٤] سحتًا».

وقد ضرب الصحابة رضوان اللَّه عليهم أروع الأمثلة للمواساة بالمال، بل وإيثار إخوانهم على أنفسهم.

وقد كان للأنصار رضوان اللَّه عليهم أعظم حظًا وأوفر نصيبًا من هذه المواساة وثوابها.

• قال اللَّه تبارك وتعالى مثنيًا عليهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ[٥] يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

---

(١) (سدادًا من عيش) القوام والسداد، بمعنى واحد. وهو ما يغني من الشيء وما تسدّ به الحاجة. وكل شيء سددت به شيئًا فهو سداد. ومنه: سداد الثغر، وسداد القارورة، وقولهم: سداد من عوز.

(٢) (فاقة) أي فقر وضرورة بعد غنى.

(٣) حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: أي يقومون بهذا الأمر فيقولون: لقد أصابته فاقة. والحجا، مقصور وهو العقل. وإنما قال ﷺ: من قومه لأنهم من أهل الخبرة بباطنه. والمال مما يخفى في العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيرًا بصاحبه.

(٤) سحتٌ يأكلها صاحبها: فيه إضمار. أي أعتقده سحتًا أو يؤكل سحتًا. والسحت هو الحرام. نقل ذلك عن النووي رحمه اللَّه من ترتيب محمد فؤاد رحمه اللَّه.

(٥) فالذين تبؤوا الدار والإيمان هم الأنصار.

وهذا مثلٌ رائع من أمثلة مواساة الأنصار لإخوانهم المهاجرين:

• أخرج البخاري[١] من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: «لما قدموا المدينة آخى رسول اللَّه ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك اللَّه في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقطٍ وسمن ثم تابع الغدُو ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة. فقال النبي ﷺ **«مهيم؟»** قال: تزوجت. قال: **«كم سقت إليها؟»** قال: نواة من ذهب، أو وزن نواة من ذهب».

• وفي رواية في «الصحيح»[٢] أيضًا من حديث أنس رضي اللَّه عنه أنه قال «قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتها..».

وهذا أيضًا مثلٌ رائعٌ من أبي الدحداح :

• أخرج عبد بن حميد بإسناد صحيح[٣] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، إن لفلان نخلة وإنما أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم حائطي بها: فقال له النبي ﷺ: **«أعطها إياه بنخلة في**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٧٨٠).

(٢) «صحيح البخاري» (حديث ٣٧٨١).

(٣) «المنتخب» (حديث ١٣٣٢ بتحقيقي) وابن حبان: «موارد الظمآن» (٢٢٧١).

الجنة» فأبى. فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي. قال: ففعل. قال: فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه إني قد ابتعت النخل بحائطي، فاجعلها له وقد أعطيتكها. فقال رسول اللَّه ﷺ: **«كم من عذق رواح لأبي الدحداح في الجنة»** قالها مرارًا. قال: فأتى امرأته، فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط مالي قد بعته بنخلة في الجنة فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها.

ومن مواساة الأنصار لإخوانهم المهاجرين أيضًا:

● ما ورد في «الصحيح»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: **«لا»** فقالوا: تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قال: **«سمعنا وأطعنا»**.

● وأخرج البخاري[2] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يُقطع لهم البحرين. فقالوا: لا. إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال: **«إما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم بعدي أثرة»**.

وواست الأنصارُ رسولَ اللَّه ﷺ خير مواساة وحفظ لهم رسول اللَّه ﷺ تلك المواساة وكافأهم عليها وأوصى بهم خير وصية:

● أخرج الإمام أحمد[3] في «مسنده» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في الموسم وبمجنة وبعكاظ وبمنازلهم بمنى: **«من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ**

(١) البخاري (حديث ٢٣٢٥). (٢) البخاري (حديث ٣٧٩٤).
(٣) «مسند أحمد» (٣/ ٣٢٩) وسنده حسن.

رسالات ربي عز وجل وله الجنة؟» فلا يجد أحدًا ينصره ويؤويه حتى إن الرجل يرحل من مضر أو من اليمن أو زور صمد فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى اللَّه عز وجل يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا اللَّه عز وجل له من يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به فيقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لا يبقى دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم بعثنا اللَّه عز وجل فائتمرنا واجتمعنا سبعون رجلاً منا، فقلنا: حتى متى نذر رسول اللَّه ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ فدخلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة فقال عمه العباس: يا ابن أخي إني لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك؟ إني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس رضي اللَّه عنه في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم، هؤلاء أحداث. فقلنا: يا رسول اللَّه، علام نبايعك. قال: «**تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في اللَّه لا تأخذكم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة**» فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين، فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول اللَّه، إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على اللَّه عز وجل، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر عند اللَّه، قالوا: يا سعد بن زرارة أمط عنا يدك فواللَّه لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها. فقمنا إليه رجلاً رجلاً يأخذ علينا بشرطه العباس ويعطينا على ذلك الجنة.

● وأخرج أحـمد[(١)] في «مسنده» بإسناد صـحيح عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن الـنبي ﷺ قـال: «**لو سلكت الأنصـار واديًا أو شعبًـا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم، ولولا الهـجرة لكنت امرءًا من الأنصار**» قال أبو هـريرة: وما ظلم بأبي وأمي، لقد آووه ونصروه ، أو واسوه ونصروه.

● وأخرج الـبخاري ومـسلم[(٢)] من حديث عـبد اللَّه بن زيد بـن عاصم رضي اللَّه عنه قـال: لما أفاء اللَّه علـى رسوله يوم حنين قـسم في الناس في المؤلفة قلـوبهم، ولم يعط الأنصار شيـئًا، فكأنهم وجـدوا إذ لم يصبـهم ما أصاب الناس، فخطبـهم فقال: «**يا معشر الأنصار ألـم أجدكم ضلالاً فهداكم اللَّه بي. وكنتم مـتفرقين فـألفكم بي، وعالة فـأغناكم اللَّه بي؟**» كلما قـال شيـئًا قالوا: اللَّه ورسوله أَمَنُّ. قال: «**ما يمنعكم أن تجيـبوا رسول اللَّه ﷺ ؟**» قال: كلما قال شيئًا قالوا اللَّه ورسوله أَمَنُّ. قال: «**لوشئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبـعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحـالكم؟ لولا الهـجرة لكنت امـرءًا من الأنصـار، ولو سلك الناس واديًا وشـعبًـا لسلكت وادي الأنصار وشعبـها. الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعـدي أثرة فاصبروا حتي تلقوني على الحوض**».

● وفي «الصـحـيـحين» [(٣)] من حـديث أنس رضي اللَّه عنه قـال قـالت الأنصـار يوم فتح مكة: ـ وأعطى قـريشًـا ـ واللَّه إن هذا لهو العـجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا ترد عليهم، فبلغ ذلك النبيَ ﷺ فدعا

---

(١)أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٩) .

(٢)البخاري (حديث ٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١).

(٣)البخاري (٣٧٧٨) ومسلم (٧٣٥).

الأنصار، قال فقال: «**ما الذي بلغني عنكم؟**» - وكانوا لا يكذبون - فقالوا: هو الذي بلغك. قال: «**أو لا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟ لو سلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم**».

وواست الأنصار رسول الله ﷺ بأنفسها:

• أخرج الإمام أحمد[1] رحمه الله تعالى بسندٍ صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: «لما سار رسولُ الله ﷺ إلى بدرٍ خرج فاستشار الناسَ فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه. ثم استشارهم فأشار عليه عمرُ رضي الله عنه فسكت فقال رجلٌ من الأنصار: إنما يُريدكم رسولُ الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن لو ضربتَ أكباد الإبل حتى تبلغ بركَ الغمادِ لكنا معك».

ومن حفظ رسول الله ﷺ للمعروف الذي قدمته الأنصار:

• أخرج البخاري[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفًا بها على منكبيه، وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد أيها الناس، إن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرًا يضر فيه أحدًا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم**».

---

(١) «المسند» (٣/ ١٠٥).

(٢) البخاري حديث (٣٨٠٠).

● وما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ، قال: **«الأنصار كرشي وعيبتي، والناس سيكثرون ويقلُّون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»** .

● وفي رواية للبخاري[٢] من حديث أنس أيضًا قال: مر أبو بكر والعباس رضي اللَّه عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا. فدخل علي النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد قال: فصعد المنبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: **«أوصيكم بالأنصار فإنهم كَرِشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»** .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يبغض الأنصار رجلٌ يؤمن باللَّه واليوم الآخر»**[٣].

● وقال عليه الصلاة والسلام: **«آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»**[٤] .

● وقال عليه الصلاة والسلام: **«من أحب الأنصار أحبه اللَّه، ومن أبغض الأنصار أبغضه اللَّه»**[٥].

---

(١) البخاري (٣٨٠١) ومسلم (٢٥١٠).
(٢) البخاري (حديث ٣٧٩٩).
(٣) أخرجه مسلم (حديث ٧٧) من حديث أبي سعيد رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٨٤) ومسلم (حديث ٧٤) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.
(٥) أحمد في «المسند» (٥٠١/٢) بإسناد حسنٍ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

• وقال صلوات الله وسلامه عليه: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»[1].

والمهاجرون كذلك لم يحرموا هذا الفضل ولم يتخلفوا عنه:

• فها هو أبو بكر رضي الله عنه يواسي رسول الله ﷺ بنفسه وبماله، وحفظ له رسول الله ﷺ تلك المواساة:

• أخرج أبو داود رحمه الله بإسناد حسن[2] من حديث عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُهُ يومًا فجئتُ بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت: مثله، قال: وأتى أبو بكرٍ بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلتُ: لا أسابقك إلى شيءٍ أبدًا.

• وأخرج البخاري من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال[3]: «كنتُ جالسًا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبيُّ ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامرَ**» فسلَّم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ فأسرعت إليه ثم ندمتُ فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ فأقبلت إليك فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» (**ثلاثا**)، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجهُ النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على رُكبتيه فقال: يا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٧٥) من حديث البراء رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) أبو داود (حديث ١٦٦٢).
(٣) البخاري (حديث ٣٦٦١).

رسول اللَّه، واللَّـه أنا كنت أَظلم (مرتين) فـقال النبي ﷺ: «**إن اللَّه بعـثني إليكم فقلتم كـذبت، وقال أبو بكر صدق، وواسـاني بنفسه وماله فـهل أنتم تاركو لي صاحبي؟!**» فما أوذي بعدها.

● وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»[1] بسند صحيح عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أنفق زوجًا ـ أو قال ـ زوجين ـ من ماله ـ أراه قال: في سبيل اللَّه ـ دعتْهُ خـزنةُ الجنة يا مُسلم هذا خيرٌ هلم إليه**» فقـال أبو بكر: هذا رجلٌ لا تودي عليه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما نفـعني مال قط إلا مـال أبي بكر**» قال: فـبكى أبو بكر وقال: وهل نفـعني اللَّه إلا بك، وهل نفعني اللَّه إلا بك، وهل نفعني اللَّه إلا بك.

● وخديجة أم المؤمنين رضي اللَّه عنهـا قد واست رسول اللَّه ﷺ أيضًـا وحفظ لها رسول اللَّه ﷺ معروفها وجميلها :

● أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت: أول مـا بُدِئ به رسول اللَّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جـاءت مثل فلقِ الصبح ثم حُـبِّبَ إليه الخـلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنثُ فيـه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزعَ إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه المـلك فقال: اقرأ قال: «**ما أنا بـقارئ قال: فـأخذني فغطني حتى بلغ مني الجـهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بـقارئ، فأخذني فغطني الثـانية حتى بلغ مني الجهـد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلـت: ما أنا بقارئ،**

(١) «المسند» (٢/ ٣٦٦) .

(٢) البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠).

فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ١-٣] فرجع بها رسول اللَّه ﷺ يرجُف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي اللَّه عنها فقال: «**زملوني زملوني**» فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا واللَّه ما يُخزيك اللَّه أبدًا إنك لتصل الرحم وتحملُ الكلَّ وتكسبُ المعدوم وتقري الضيف وتُعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتُب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللَّه أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللَّه ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل اللَّه على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومُك فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أو مخرجيَّ هم؟**» قال: نعم لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يُدركني يومُك أنصرك نصرًا مؤزرًا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفترَ الوحي.

- ومن حفظ رسول اللَّه ﷺ المعروف لخديجة رضي اللَّه عنها ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها وأمره اللَّه أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها ما يسعهن».

(١) البخاري (٣٨١٦) ومسلم (٢٤٣٥).

وقد أثنى رسول اللَّه ﷺ على الأشعريين لمواساة بعضهم بعضًا:

• أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الأشعريين إذا أَرْمَلوا[2] في الغزو أو قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة جَمعوا ما كان عندهم في ثوبٍ واحدٍ ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسوية، فهم مني وأنا منهم**».

ففي هذا الحديث منقبةٌ وفضيلةٌ للأشعرين لِمَا تخلقوا به من الإيثار والمواساة.

ولهذا الفعل أصلٌ عن رسول اللَّه ﷺ:

• ففي «الصحيح»[3] من حديث سلمة بن الأكوع رضي اللَّه عنه قال: خفت أزواد القوم وأملقوا، فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم فأذن لهم، فلقيهم عمر، فأخبروه فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم؟ فدخل على النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه ما بقاؤهم بعد إبلهم؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ناد في الناس يأتون بفضل أزوادهم**»، فبسط لذلك نطعٌ وجعلوه على النِّطع، فقام رسول اللَّه ﷺ فدعا وبرَّك عليه ثم دعاهم بأوعيتهم فاحتثى الناس حتى فرغوا، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه**».

فهذه خصلة من كريم الخصال أن يتعاون الناس فيما بينهم ويجود كل منهم بما عنده ثم يقتسمون ذلك بالسوية فيما بينهم.

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٨٦) ومسلم (حديث ٢٥٠٠).

(٢) أرملوا: أي فني طعامهم، وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من شدة فقرهم كما في قوله تعالى: ﴿أو مسكينًا ذا متربة﴾ أي ألصقته المسكنة بالتراب.

(٣) البخاري (٢٤٨٤).

وقريب من هذا الفعل والصنيع ما يفعله الصبيان في بلادنا مصر مما يطلقون عليه اسم (الغديوة) فيأتي كل منهم بما استطاع من طعام ثم يأكلون معًا.

وقريب الشبه منهم ما يفعله الكبار إذا دعا أحدهم إخوانه فأثناء مجيء بعضهم يأتي ومعه بعض الطعام في حالة رفع الكلفة فيما بنيهم، ثم يأكل الجميع من المتيسر.

• مواساة الضعفاء والفقراء •

فهؤلاء لهم حقٌّ كبير من المواساة وحظ كبير منها.

• قال اللَّه تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الأنعام: ٥٤].

• وقال سبحانه: ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الكهف: ٢٨].

• وقال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾ [النساء: ٨].

• وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عائذ بن عمرو رضي اللَّه عنه: «أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر. فقالوا: واللَّه! ما أخذت سيوف اللَّه من عنق عدو اللَّه مأخذها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: «**يا أبا بكر! لعلك**

(١) مسلم (حديث ٢٥٠٤).

أغضبتهم. لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك». فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه ! أغضبتُكم ؟ قالوا: لا. يغفر اللَّه لك. يا أُخَيَّ!.

• مواساة النزلاء والغرباء وأبناء السبيل •

• فلابن السبيل حقٌّ، قال اللَّه عز وجل: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ...**﴾ [البقرة: ١٧٧].

فإذا كان هناك رجل غريب قد نزل ببلدتك وحل بها واستأجر مسكنًا، فلا شك أنه يكون في الغالب منكسرًا لغربته وقلة معارفه وانعدام أقربائه، فينبغي أن يواسى مثل هذا، وأن يتجاوز له عن بعض زَلَلِه وأن يستضاف ويزار الحين بعد الحين تعويضًا له عن أقاربه وأصدقائه الذين تركهم ببلاده، وإعطاءً له حقه الذي شرعه اللَّه له، وإحسانًا إليه كما أمر اللَّه.

وإذا كان هذا الغريب والنزيل الذي نزل عليك إنما ترك أهله وأوطانه لطلب العلم الذي يُتقرب به إلى اللَّه عزَّ وجل فينبغي أن يُكرم وأن يُواسى، لا أن يُجهل عليه ويُقال له: من أتى بك أيها الغريب إلى هذا المكان!

• وقد قال رب العزة سبحانه وتعالى: ﴿**وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٢].

• وقال نوح عليه السلام: ﴿**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الشعراء: ١١٤].

* * *

• ومن المواساة الزيارة في الله •

ولزيارة المسلمين أثرٌ عظيم في تطييب القلوب والترويح عن النفوس وتخفيف المصائب والأحزان، فضلاً عما فيها من الأجر العظيم والثواب العميم.

• قال اللَّه سبحانه في الحديث القدسي: **«حقَّت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتباذلين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ»**(١).

• وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ: **«أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد(٣) اللَّه له على مدرجته(٤) ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريدُ أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها(٥)؟ قال: لا. غير أني أحببتهُ في اللَّه عزَّ وجل. قال: فإني رسول اللَّه إليك، بأن اللَّه قد أحبك كما أحببته فيه»**.

ومن ثمَّ كان النبي ﷺ يزور أصحابه ويزورونه:

فكان يزور أبا بكرٍ ويُكثر من ذلك.

• قالت أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها(٦): **«لم أعقل أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ اللَّه ﷺ بكرةً وعشيًا»**(٧)...

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، وقد أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٩، ٢٣٣) من حديث معاذ رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وله شاهد عند أحمد (٤/ ٣٨٦) من حديث عمرو بن عبسة أيضًا.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

(٣) أرصد رجلاً أي أقعده يرقبه وينتظره.

(٤) المدرجة: هي الطريق.

(٥) تربها: أي تقوم بإصلاحها.

(٦) البخاري (حديث ٣٩٠٥).

(٧) بوَّب البخاري لهذا الحديث (رقم ٦٠٧٩) بباب هل يزور صاحبه كل يوم، أو بكرة وعشيًا؟

فذكرت الحديث.

وكان يزور أم سليم رضي اللَّه عنها:

• أخرج مسلم[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: كان النبي ﷺ لا يدخل على أحدٍ من النساء إلا على أزواجه إلا أمِّ سليم فإنه كان يدخل عليها فقيل له في ذلك فقال: «**إني أرحمها قُتل أخوها معي**».

وكان يزور أم أيمن رضي اللَّه عنها:

• ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: قال أبو بكر رضي اللَّه عنه، بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ، لعُمَرَ: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول اللَّه ﷺ يزورها. فلما انتهينا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند اللَّه خيرٌ لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلمُ أن ما عند اللَّه خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء. فجعلا يبكيان معها.

وللزيارة آداب وأخلاق[٣] ينبغي أن يتخلق بها الزائر:

منها وقت الزيارة فلا يزور القوم في وقت تشق عليهم الزيارة فيه، وقد كان النبي ﷺ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

• وقد قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ**

= وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٩٩): وكان البخاري رمز بالترجمة إلى توهين الحديث المشهور: «زر غبًا تزدد حبًا»، وقد روى من طرق أكثرها غرائب، لا يخلو واحدٌ منها من مقال .. ثم تكلم عليها هناك فراجع كلامه إن شئت.

(١) مسلم (حديث ٢٤٥٥).

(٢) مسلم (حديث ٢٤٥٤).

(٣) وسيأتي لها مزيدٌ - إن شاء اللَّه - في أبواب الضيافة.

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴾ [النور: ٥٨] .

● وقال تعـالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا** ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

● وهذا باب تختلف فيه أحوال الناس فتراعى أحوال الناس وأوقات أعمالهم وأوقات راحتهم وما هو الوقت المناسب للزيارة الذي لا يؤثر على راحة المزور، ولا يضيع فريضة من فرائض اللَّه عزَّ وجل.

وسيأتي ـ إن شاء اللَّه ـ في أبواب الاستئذان أن المستأذن يستأذن ثلاثًا فإن أُذن له وإلا انصرف لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**» .

وإن قيل له ارجع فليرجع لقوله تعالى: ﴿ **وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٢٨] .

زيارة الرجال للنساء :

● وتشرع زيارة الرجال للنساء إذا كانت هناك مناسبات تدعو لذلك، وهذا مشروط بأمن الفتنة، وقد قدمنا أن رسول اللَّه ﷺ كان يزور أم سليم ويزور أم أيمن، وسيأتي أنه زار أم السائب، وقد زار أبو بكر وعمر أم أيمن رضي اللَّه عنهما[1]، وكان سهل بن سعد في طائفة من أصحابه يزورون عجوزًا

(١) صحيح أخرجه مسلم، وقد تقدم قريبًا.

كل جمعة[١] .

ومحل هذا كله انتفاء الخلوة ، وأمن الفتنة :

فلا يزورنَّ شاب من الشباب شابة من الشابات ويخلو بها فإن مجرد زيارته لها فتنة عظيمة له ولها، أما الخلوة بها فهي محرمة[٢] ، وكذلك مصافحتها فهي محرمة لقول النبي ﷺ: **«لئن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد في رأسه خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له»**[٣] .

وإذا ذهب رجلان فأكثر إلى بيت صاحبٍ لهما فلم يجداه ووجدا امرأته فهل للزوجة أن تُدخلهم ؟

● إذا كانت الزوجة لا تعلم من حال زوجها كراهيةً لدخولهم فلا مانع من أن تدخلهم ما داموا مجموعة (أكثر من واحد) وما دامت الخلوة لن تتحقق، وقد دلَّ على ذلك ما يلي:

أولاً : ذهاب رسول اللَّه ﷺ وأبي بكر وعمر إلى بيت رجلٍ من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً. فقال لها رسول اللَّه ﷺ: **«أين فلان؟»**. قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء الأنصاري

(١) أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه قال: «كانت فينا امرأةٌ تجعلُ على أربعاءَ في مزرعة لها سلقًا ، فكانت إذا كان يومُ جمعه تنزع أصول السلق فتجعله في قدر ثمَّ تجعلُ عليه قبضة من شعير تطحنها فتكون أصول السلق وكنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعقه، وكنا نتمنى الجمعة لطعامها ذلك». البخاري (حديث ٩٣٨).

(٢) وسيأتي لذلك مزيد ـ إن شاء اللَّه ـ في أبواب الاستئذان.

(٣) حسن ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢١١) من حديث معقل بن يسار رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

فنظر إلى رسـول اللَّه ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحـمد للَّه ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني فانطلق فجاءهم بعذقٍ فيه بُسرٌ وتمر ورطب. .الحديث [١] .

● ودلَّ على ذلك أيضًـا قول النبي ﷺ: **«لا يدخلن رجل بـعـد يومي هذا على مُغيبةٍ إلا ومعه رجل أو اثنان»**[٢] .

وينبغي أن يوقَّر صاحب البيت في بيته فهو سلطان بيته:

● وإذا حضرت صـلاة من الصلوات وأنت تزور شخصًا فـصاحب البيت أحق بالإمامـة، وذلك لما أخرجـه مسلم[٣] في «صحـيحـه» من حديث أبي مـسعـود الأنصـاري رضي اللَّه عـنه قـال: رسـول اللَّه ﷺ: «**يـؤمُّ الـقـــوم أقـرؤهـم لكتـاب اللَّه . فـإن كـانـوا في القـراءة سـواءً. فـأعلمـهم بالسنـة. فـإن كانوا في السـنة سـواءً . فأقـدمهم هجرة . فـإن كانوا في الهجرة سـواء. فأقدمهم سلمًـا[٤] . ولا يـؤمنَّ الـرجلُ الرجلَ في سُلــطانه[٥] . ولا يقعـد في بيتـه علـى تكرمته[٦] إلا بإذنه**» .

ولا تشق على صاحب البيت عند زيارته:

● فلصاحـب البيت أن يُعرض للـزائر بالانصراف كي يخـرج الضيف إذا

---

(١) وسيأتي في أبواب التكلف للضيف بتمامه إن شاء اللَّه.

(٢) أخرجه مسلم (٥/١٧). (٣) مسلم (حديث ٦٧٣).

(٤) سلمًا : أي إسلامًا.

(٥) ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانـه: معناه أن صـاحب البيت والمجلس وإمـام المجلس أحق من غيره. وإن كان ذلك الغير أفقه وأقرأ وأورع وأفضل منه. وصاحب المكان أحق. فإن شاء تقـدم وإن شاء قدم من يريده. وإن كان ذلك الذي يقـدمه مفضولا بـالنسبة إلى باقي الحاضرين. لأنه سلطانه فيتصرف فيه كيف يشاء.

(٦) تكرمته: قال العلماء: التكرمة الفراش ونحوه مما يبسط لصاحب المنزل ويخص به.

أخذ حقه من الضيافة.

● أخرج البخاري ومسلم عن ابن شهاب: «قال أخبرني أنس بن مالك أنه قال: كان ابن عشْر سنين مقدَمَ رسول اللَّه ﷺ المدينة، فخدمتُ رسول اللَّه ﷺ عشرًا حياته، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أُنزل، وقد كان أُبي ابن كعب يسألني عنه، وكان أول ما نزلَ في مبُتني رسول اللَّه ﷺ بزينب ابنة جحش: أصبح النبيُّ ﷺ بها عروسًا، فدعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي منهم رهطٌ عند رسول اللَّه ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول اللَّه ﷺ فخرج وخرجت معه كي يخرجوا فمشي رسول اللَّه ﷺ ومشيت معه، حتى جاء عَتَبَة حجرة عائشة، ثم ظنَّ رسول اللَّه ﷺ أنهم خرجوا فرجعَ رسول اللَّه ﷺ ورجعتُ معه، حتى دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يتفرقوا، فرجعَ النبي ﷺ ورجعت معه حتى بلغ عَتَبَة حُجرة عائشة، فظنَّ أن قد خرجوا، فرجَعَ ورجَعتُ معه فإذا هم قد خَرَجوا، فأُنزل آيةُ الحجاب، فضرب بيني وبينهُ سترًا»[1].

* * *

(١) قال ابن بطال فيه أنه لا ينبغي لأحد أن يدخل بين غيره إلا بإذنه وأن المأذون له لا يطيل الجلوس بعد تمام ما أذن له فيه لئلا يؤذي أصحاب المنزل ويمنعهم من التصرف في حوائجهم وفيه أن من فعل ذلك حتى تضرر به صاحب المنزل، أن لصاحب المنزل أن يظهر التثاقل به وأن يقوم بغير إذن حتى يتفطن له.. ا.هـ.

• ومن المواساة عيادة المريض •

فهي أعظم أجرًا، وزيارتهم أسنُّ وأوكد وأثرها في القلوب أوقع وأطيب.

• قال رسول اللَّه ﷺ: «**من عاد مريضًا لم يزل في خُرْفَةِ الجنة**» قيل: يا رسول االلَّه، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جَنَاها**»[1].

• وفي «الصحيحين»[2] من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال: «**أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز وعيادة المريض وإجابة الداعي ونصر المظلوم وإبرار القسم وردِّ السلام وتشميت العاطس، ونهانا عن آنية الفضة وخاتم الذهب والحرير والدِّيباج والقسيِّ والاستبرق**».

وبيَّن النبي ﷺ أن عيادة المريض حق للمسلم على أخيه:

• ففي «الصحيحين»[3] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**».

• وفي روايةٍ لمسلم[4] عن أبي هريرة؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم ست**». قيل: ما هنَّ يا رسول اللَّه؟! قال: «**إذا لقيته فسلم عليه. وإذا دعاك فأجبه. وإذا استنصحك فانصح له. وإذا عطس فحمدَ اللَّه فشمته**[5]**، وإذا مرض فعده. وإذا مات فاتبعه**».

---

(١) الحديث رواه مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٥٦٨ ص ١٩٨٩) من حديث ثوبان رضي اللَّه عنه مرفوعًا. وقوله (جناها) أي ثمرها.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٩) ومسلم (٢٠٦٦).

(٣) البخاري (حديث ١٢٤٠) ومسلم (حديث ٢١٦٢).

(٤) مسلم (ص ١٧٠٥).

(٥) فشمته، المراد بتشميت العاطس القول له يرحمكم اللَّه.

• وفي «صحيح البخاري»[١] من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني**».

وقد كان النبي ﷺ يعود أصحابه :

• أخرج مسلم[٢] من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: كنا جلوسًا مع رسول اللَّه ﷺ : إذ جاءه رجلٌ من الأنصار فسلم عليه. ثم أدبر الأنصاري. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**يا أخا الأنصار ! كيف أخي سعدُ بن عبادة؟**» فقال : صالحٌ . فقال رسول اللَّه ﷺ: «**من يعوده منكم؟**» فقام وقمنا معه. ونحن بضعة عشر. ما علينا نعالٌ ولا خفاف ولا قلانسُ ولا قمصٌ . نمشي في تلك السِّباخ[٣] حتى جئناه. فاستأخر قومُهُ من حوله. حتى دنا رسول اللَّه ﷺ وأصحابه الذين معه.

• ويقول اللَّه سبحانه وتعالى يوم القيامة: «**يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني عنده؟**»[٤] .

---

(١) البخاري (حديث ٥٦٤٩) .

(٢) مسلم (حديث ٩٢٥).

(٣) السباخ: هي الأرض التي تعلوها الملُوحة ، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

(٤) مسلم (حديث ٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه عزَّ وجلَّ يقول يوم القيامة، يا ابن آدم! مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني . قال يا رب ! كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب ! كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه. أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي».

وانظر إلى هذا الفضل في عيادة المريض :

• في «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**». قال أبو بكر رضي اللَّه عنه: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟**» قال أبو بكر رضي اللَّه عنه: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا ؟**» قال أبو بكر رضي اللَّه عنه: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا ؟**». قال أبو بكر رضي اللَّه عنه: أنا. فقال رسول اللَّه ﷺ : «**ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة**».

ومن مقاصد زيارة المريض مواساة أهله أيضًا، ومن ثم شرعت زيارة المغمى عليه مع أنه لا يدري بمن زاره.

ولزيارة المغمى عليه من الفوائد أيضًا: الدعاء له، واغتنام الأجر بزيارته فضلاً عما في ذلك من مواساة أهله.

أخرج البخاري[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه عنهما قال: مرضتُ مرضًا فأتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أُغمي عليَّ فتوضأ النبي ﷺ ثم صبَّ وضوءه عليَّ فأفقت فإذا النبي ﷺ. . .

عيادة الرجال للنساء :

كما قدمنا أنه تجوز زيارة الرجالِ للنساء، فكذلك عيادة الرجال لهن عند مرضهن فهي جائزةٌ مشروعة بشرط أمن الفتنة كما قدمنا.

أخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه

(١) مسلم (حديث ١٠٢٨) .
(٢) البخاري (٥٦٥١).
(٣) مسلم (حديث ٤٥٧٥).

عنهما؛ أن رسول اللَّه ﷺ دخل على أمِّ السائب أو أمِّ المسيب. فقال: «**ما لك يا أم السائب؟! أو يا أم المسيب! تزفزفين**[1]» قالت: الحُمَّى لا بارك اللَّه فيها. فقال: «**لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يُذهبُ الكيرُ خَبَثَ الحديد**».

وتشرع زيارة المرأة للرجل المريض[2] كذلك، إذا لم تكن هناك خلوة ولا يُتوقع من تلك الزيارة شرٌّ أو فساد:

● فها هي أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه تعالى عنها تزور بلالاً رضي اللَّه عنه. ففي «صحيح البخاري»[3] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت: لما قَدِمَ رسول اللَّه ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال رضي اللَّه عنهما. قالت: فدخلتُ عليهما قلت: يا أبتِ كيف تجدُكَ، ويا بلالُ كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخَذَتهُ الحمى يقول:

كلُّ امرئٍ مُصبَّحٍ في أهله ... والموتُ أدني من شراك نعله

وكان بلالُ إذا أقلعت عنه يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليلُ

وهل أردن يومًا مياه مجنة ... وهل تَبدُوَنْ لي شامة وطفيلُ

قالت عائشة: فجئتُ إلى رسول اللَّه ﷺ فأخبرتُهُ، فقال: «**اللهمَّ حبِّب إلينا المدينة كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ، اللهم وصحِّحْها، وباركْ لنا في مُدِّها وصاعها، وانقل حُماها فاجْعَلَهَا بالجُحفة**».

---

(١) تزفزفين: أي تتحركين حركة شديدة، أي ترتعدين.

(٢) ومحل ذلك ـ كما أسلفنا مرارًا ـ إذا كانت الفتنة مأمونة.

(٣) البخاري (حديث ٥٦٥٤).

ويستحب نصح المريض عند عيادته والدعاء له وإرشاده إلى ما فيه مصلحة له في دنياه وأخراه .

● وأخرج مسلم في «صحيحه» عن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**هل كنتَ تدعو بشيء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم. كنتُ أقولُ: اللهمَّ ما كنتَ معاقبي به في الآخرة ، فعجِّله لي في الدنيا. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**سبحان اللَّه! لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلت: اللهمَّ آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار؟**» قال: فدعا اللَّه له. فشفاه.

وينبغي أن تحث المريض على الصبر:

● أخرج البخاري ومسلم[1] من طريق عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلتُ: بلى. قال: هذه المرأة السوداء. أتت النبيَّ ﷺ قالت: إني أصرع. وإني أتكشفُ. فادع اللَّه لي. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة. وإن شئت دعوت اللَّه أن يعافيك**» . قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف. فادع اللَّه أن لا أتكشف، فدعا لها.

وليذكَّر المريض بالدعاء وبقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠] . وبقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وكذلك بقول النبي[2] ﷺ: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل**» قيل: يا رسول اللَّه، ما الاستعجال؟ قال: «**يقول:**

(١) البخاري (حديث ٩٢٥٧٧ ومسلم (حديث ٢٥٧٦) .
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٩٦).

قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء» .

وذكِّر المريض بأنه لا يجوز له أن يدعو على نفسه بالموت من أجل المرض :

• ففي «الصحيحين»[١] من طريق قيس قال: أتيت خبابًا وقد اكتوى سبعًا . قال: لولا أن رسول اللَّه ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به .

• وفيهما[٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يتمنين أحدكم الموتَ لضرٍّ نزل به ، فإن كان لابد متمنيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»** .

• وعند البخاري[٣] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ: يقول: **«... ولا يتمنين أحدُكم الموت، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب»** .

وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة[٤] رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عُمُرُه إلا خيرًا»** .

وليُرشد المريض إلى الأنفع له في دينه ودنياه :

• أخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه قال: عادني رسول اللَّه ﷺ، في حجة الوداع، من وجع أشفيتُ منه على

---

(١) البخاري (حديث ٦٣٤٩) ومسلم (٢٦٨١).

(٢) البخاري (حديث ٦٣٥١) ومسلم (حديث ٢٦٨٠).

(٣) البخاري (حديث ٥٦٧٣).

(٤) مسلم (حديث ٢٦٨٢).

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٥٩)، وانظر مسلم (حديث ١٦٢٨) واللفظ له.

الموت[1] . فقلت: يا رسول اللَّه! بلغني ما ترى من الوجع. وأنا ذو مالٍ. ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة. أفأتصدقُ بثلثي مالي؟ قال: «**لا**» قال: قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: «**لا، الثلث. والثلث كثير. إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**[2]**. ولست تُنفق نفقة تبتغي بها وجه اللَّه، إلا أجرت بها. حتى اللقمة تجعلها في فيِّ امرأتك**» قال: قلت: يا رسول اللَّه! أخلف بعد أصحابي[3] ؟ قال: «**إنك لن تُخلف**[4] **فتعمل عملاً تبتغي به وجه اللَّه، إلا ازددت به درجة ورفعة. ولعلك تخلفُ حتى ينفع بك أقوام**[5] **ويضر بك آخرون. اللهمَّ أمض لأصحابي هجرتهم**[6] **. ولا تردهم على أعقابهم . لكن البائس سعد بن خولةَ**»[7] .

قال: رثي له رسول اللَّه ﷺ من أن توفي بمكة[8] .

(١)أشفيت منه على الموت أي أشرفت معه على الموت.

(٢)يتكففون: يسألون الناس بأكفهم.

(٣)مراده: أنه خشي أنه يموت بمكة وقد هاجر منها، أو خشي أن يبقى بمكة بعد انصراف رسول اللَّه ﷺ عنها.

(٤)المراد بالتخلف هنا طول العمر والبقاء في الحياة بعد موت جماعات من أصحابه.

(٥)هذا الحديث من المعجزات: فإن سعدًا رضي اللَّه عنه عاش حتى فتح العراق وغيره. وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم. وتضرر به الكفار في دينهم ودنياهم. وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم، من الكفار ونحوهم.

(٦)أي أتمها ولا تبطلها ولا تردهم على أعقابهم بترك هجرتهم ورجوعهم من مستقيم حالهم المرضية.

(٧)البائس هو الذي عليه أثر البؤس، وهو الفقر والقلة.

(٨)قال العلماء: هذا من كلام الراوي، وليس من كلام النبي ﷺ . بل انتهى كلامه ﷺ بقوله: «لكن البائس سعد بن خولة» فقال الراوي، تفسيرًا لمعنى هذا الكلام: إنه يرثيه النبي ﷺ ويتوجع له ويرق عليه لكونه مات بمكة. واختلفوا في قصة سعد بن خولة. فقيل: لم يهاجر من مكة حتى مات بها. وذكر البخاري أنه هاجر وشهد بدرًا ثم انصرف إلى مكة ومات بها. ذكر ذلك النووي ونقل أقوالاً أخر(انظر ترتيب محمد فؤاد وتعليقه على مسلم).

فالمريض ينبغي أن يُواسى، يواسى بعيادته وزيارته كما قدمنا ويواسى بالدعاء له كذلك ، فقد كان النبي ﷺ يدعو للمرضى عند عيادتهم ومن صور هذا الدعاء ما يلي:

• ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا أتى مريضًا[٢] أو أُتيَ به إليه قال عليه الصلاة والسلام: «**اذهب الباس ربَّ الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**».

• وأخرج البخاري[٣] من طريق عبد العزيز قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتكيتُ، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول اللَّه ﷺ ؟ قال: بلى، قال: اللهم رب الناس مُذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يُغادر سقمًا[٤] .

• وعند البخاري[٥] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ كان يرقي يقول: «**امسح الباس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت**».

وأخرج مسلم[٦] في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيت؟ فقال: «**نعم**» قال: «**باسم اللَّه أرقيك، من كل شيءٍ يؤذيك، من شر كل نفسٍ أو عين حاسدٍ اللَّه**

(١) البخاري (حديث ٥٦٧٥) ومسلم (حديث ٢١٩١).

(٢) في بعض الروايات « مسحه بيمينه ثم قال . . الحديث».

(٣) البخاري (حديث ٥٧٤٢).

(٤) لا يغادر سقمًا: أي لا يترك أثرًا للمرض إلا وذهب به.

(٥) البخاري حديث (٥٧٤٤).

(٦) مسلم (مع النووي ١٤/ ١٧٠).

يشفيك، باسم اللَّه أرقيك» .

ويواسي المريض بتذكيره بالأجر والثواب من اللَّه إنْ هو صَبَرَ على ما ابتلاه اللَّه به واحتسب، وأن ما هو فيه من مرض إنما هو ابتلاء من اللَّه عزَّ وجل ثم هو كفارات للذنوب والخطايا ومحوٌ للأوزار والآثام:

• فعند البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ دخل على رجلٍ يعوده فقال: « **لا بأس**[2] ، **طهور إن شاء اللَّه**»، فقال: كلا، بل هو حُمى تفور على شيخٍ كبير حتى تُزيره[3] القبور ، قال النبي ﷺ: «**فنعم**[4] **إذًا**».

• وفي «الصحيحين»[5] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ : «**ما من مصيبة تصيب المسلمَ إلا كفَّر اللَّه بها عنه حتى الشوكة يُشاكها**».

• وفي «صحيح مسلم»[6] من طريق الأسود قال: دخل شباب من قريش على عائشة، وهي بمنى، وهم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: فلان خرَّ على طنب فُسطاط[7] ، فكادت عُنُقُه أو عينه أن تذهب. فقالت:

---

(1) البخاري (حديث ٥٦٦٢).

(2) طهور: أي أن المرض يكفر الخطايا.

(3) تزيره القبور: أي تحمله على الزيارة بغير اختياره.

(4) أي: أن الأمر كما ظننت ما دمت أبيت أن تكون طهورًا، وهذا يحتمل أن يكون دعاءً عليه، أي فلكونك لم تقبل أن تكون طهورًا فليكن كما أردت.

(5) البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (١٩٩٢).

(6) مسلم (حديث ٢٥٧٢).

(7) طُنب: الطنب هو الحبل، والفسطاط هو الخباء، فطنب الفسطاط هو الحبل الذي يُشدُّ به الخباء.

لا تضحكوا. فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها: إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة**».

• وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما أنهما سمعا رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما يُصيبُ المؤمنَ من وصبٍ**[٢]**، ولا نصبٍ**[٣]**، ولا سقمٍ، ولا حزنٍ، حتى الهمِّ يهمُّه**[٤] **، إلا كُفِّرَ به من سيئاته**» .

• وفي «صحيح مسلم»[٥] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: لما نزلت ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**قاربوا**[٦] **وسددوا**[٧]**، ففي كلِّ ما يُصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها**[٨] **، أو الشوكة يشاكها**».

• وفي «صحيح مسلم»[٩] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ دخل على أمِّ السائب أو أمِّ المسيب، فقال: «**مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين**[١٠] **؟**» قالت: الحُمَّى لا بارك اللَّه فيها. فقال:

---

(١) البخاري (حديث ٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) ومسلم (حديث ٢٥٧٣).
(٢) الوصب الوجع الملازم الثابت، ومنه قوله تعالى: ﴿ ولهم عذاب واصب﴾ [الصافات: ٩].
(٣) النصب : التعب.
(٤) يهمه : يغمه.
(٥) مسلم (حديث ٢٥٧٤).
(٦) قاربوا: توسطوا واقتصروا، فلا تغلوا ولا تقصِّروا.
(٧) سددوا معناه: اقصدوا السداد، وهو الصواب.
(٨) النكبة هي العثرة.
(٩) مسلم حديث (٤٥٧٥).
(١٠) تزفزفين: تتحركين حركةً شديدة (ترتعدين).

«لا تَسُبِّي الحُمَّى. فإنها تذهب خطايا بني آدم. كما يُذهبُ الكيرُ خَبَثَ الحديد» .

● وفي «الصحيح»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من يُرد اللَّه به خيرًا يُصب[٢] منه»**.

● وكذلك قال النبي ﷺ: **«إذا أحب اللَّه قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع»**[٣] .

● وعند البخاري[٤] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: **«إن اللَّه قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة»** يريد عينيه.

ذكِّر المريض بأن حال المؤمن في الدنيا يدور بين الصبر والشكر كما قال بعض أهل العلم: إن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر، وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [الشورى: ٣٣]. فمن شأن المؤمن أنه صبَّار شكور، صبَّار على ما يصيبه من بلاء ومرض وأذى، وشكور للنعماء، فهذه حاله دائمًا كما قال الرسول[٥] ﷺ : **«عجبًا لأمر المؤمن. إن أمره كله خيرٌ. وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراءُ شكر. فكان خيرًا له. وإن أصابته ضراءُ صبر، فكان خيرًا له»**.

---

(١) البخاري (حديث ٥٦٤٥).

(٢) قال بعض أهل العلم: معناه: يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد في «المسند» (٥/٤٢٩) ، وله شاهد من حديث أنس عند الترمذي (٢٣٩٦) مرفوعًا ولفظه: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن اللَّه إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط».

(٤) البخاري (حديث ٥٦٥٣).

(٥) مسلم (حديث ٢٩٩٩).

• وفي البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسـول اللَّه ﷺ: «**مثلُ المؤمن كـمثل الزرع. لا تزالُ الريحُ تميلهُ ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء. ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز. لا تهتزُ حتى تستحصد**[٢]».

• وفي «الصحـيحين»[٣] من حديث كعب بن مـالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسـول اللَّه ﷺ: «**مثل المؤمن كـمثل الخـامة**[٤] **من الزرع، تفـيئُهـا الريحُ، تصرعُـها مرةً وتعـدلها أخرى. حـتى تهيج. ومثـل الكافر كمـثل الأرزة المُجذية**[٥] **على أصلها. لا يفيئُها شيءٌ حتى يكون انجعافها مرةً واحدة**».

وليذكَّـر كذلك بسيـر أهل الفضل والصلاح الذين ابتـلاهم اللَّه عزَّ وجل واشتد بلاؤهم ولكنهم صبروا واحتسبوا ذلك عند اللَّه عزَّ وجل.

• أخرج الترمذي[٦] وغيره بإسناد حسن من طريق مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول اللَّه، أي الناس أشدُ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثلُ، فالأمثل، فـيبتلى الرجل علي حـسب دينه فإن كان دينه صلبًا اشـتد بلاؤه، وإن فى كان دينـه رقةٌ ابتلي حـسب دينه، فمـا يبرح البلاء بـالعبد حـتى يتركـه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة**».

• وقد ذكَّرنا اللَّه سبحانه بنبيه أيوب ﷺ فقال سبحانه: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ**

---

(١) البخاري (٥٦٤٤)، ومسلم (٢٨٠٩).

(٢) تستحصد: تنقلع مرةً واحدة.

(٣) البخاري (حديث ٥٦٤٣) ومسلم حديث (٢٨١٠).

(٤) الخامة هي الغضة اللينة من الزرع.

(٥) المجذية هي الثابتة المنتصبة.

(٦) الترمذي (حديث ٢٣٩٨) وله شواهد يصح بها، وانظر «المستدرك» للحاكم (١/ ٤٠) والترمذي (حديث ٢٣٩٩).

رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

فجعل اللَّه أمر نبيه أيوب عليه السلام ذكرى للعابدين، فذكَّر الناس به ذكرَّهم بحديث رسول اللَّه ﷺ الذي أخرجه أبو يعلى[١] بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أيوب نبي اللَّه كان في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلان من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان إليه فقال أحدهما لصاحبه: أتعلم واللَّه لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد، قال صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه اللَّه فيكشف عنه؟ فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما يقول غير أن اللَّه يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران اللَّه فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر اللَّه إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى إلى أيوب في مكانه أن ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ [ص:٤٢] فاستبطأته فلقيته ينتظر وأقبل عليها قد أذهب اللَّه ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت: أي بارك اللَّه فيك هل رأيت نبي اللَّه هذا المبتلى؟ وواللَّه على ذلك ما رأيت أحدًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا. قال: فإني أنا هو.**

وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث اللَّه سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض».

---

(١) أبو يعلى (٣٦١٧).

• وفي «الصحيحين» [١] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: ما رأيتُ أحدًا أشد عليه الوجع من رسول اللَّه ﷺ.

• وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: دخلت على رسول اللَّه ﷺ وهو يُوعكُ. فمسسته بيدي. فقلت: يا رسول اللَّه! إنك لتوعكُ وعكًا شديدًا[٣]. فقال رسول اللَّه ﷺ: **«أجل. إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»** قال: فقلت: ذلك، أن لك أجرين؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«أجل»** ثمَّ قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من مسلم يُصيبُه أذىً من مرض فما سواه، إلا حطَّ اللَّه به سيئاته، كما تحُطُّ الشجرة ورقها»**.

فإذا ذهبتَ إلى مريض تعوده فذكِّره بابتلاءات الآخرين كي تهوِّن عليه مصابه: وكذلك فذكِّر صاحب أي ابتلاء بما ابتلى اللَّه به الآخرين في أجسادهم وأسماعهم وأبصارهم فإنك إذا دخلت مستشفى لكسرٍ في رجلك تدخل وأنت تصيح وتظن أن لا أحد في الدنيا في مثل ما أنت فيه من الألم ثم ما هي إلا لحظات حتى تنظر من حولك فترى جرحك لا يساوي شيئًا من جروح الآخرين ولا واحد بالمائة من جروح الآخرين.

ثم ما هي إلا لحظات أُخر حتى يدخل عليك من كسرت رجلاه، بل ومن كسرت أيضًا يداه مع رجليه.

ثم يأتي بعد ذلك شخص مهشم الرأس مقطع الأوداج قد فقئت له عين بل عيناه، فحينئذٍ تضحك من نفسك إذا جئت تصيح فسترى نفسك بالنسبة

---

(١) البخاري (حديث ٥٦٤٦) ومسلم (حديث ٢٥٧٠).

(٢) البخاري (٥٦٦٠) ومسلم (٢٥٧١).

(٣) الوعك هو الحُمى.

لمن حولك في تمام النعمة، نعمة تحتاج إلى شكر أمام ابتلاءات الآخرين!!!

وهل تطعم طعامًا أو تشرب شرابًا عند مريض إذا عدته؟

ليس في هذا خبر ثابت عن رسول اللَّه ﷺ فيما اطلعت عليه، والمدار في ذلك على حال المريض فربَّ مريض يُشق عليه طول جلوس الأضياف عنده، ويشق عليه كذلك إحضار الطعام لهم، فمثل هذا لا يُشق عليه بطول الجلوس ولا بتناول الطعام عنده، وربَّ مريض يستأنس بزيارة الأضياف والإخوان له ويسعد بقدومهم إليه فمثل هذا ينبغي أن يفعل معه ما يُدخل عليه السرور.

وكذلك ثمَّ صور أُخر لمواساة المريض كأن تذهب معه إلى الأطباء وتداوم السؤال عنه والاطمئنان عليه ولو بالهاتف، وكذلك كأن تتحمل عنه قيمة الدواء في بعض الأوقات أو تأتيه بهدية عند زيارتك له، وكذلك ترشده إلى طبيب ماهر أو تشفع له عند صديق من الأطباء، فكلها صور من صور المواساة تُحمد عند أهل الفضل، وتستحسن عند أهل الإحسان، وما يجحد ذلك إلا كلُّ كفور!

ومن حضرته الوفاة فيذكر كذلك بجميل فعاله وبأنه مقبلٌ على رب رحيم كما في قصة مقتل عمر[1] رضي اللَّه عنه ففيها . . جاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى اللَّه لك من صحبة رسول اللَّه ﷺ وقدم في الإسلام ما قد عملت ثم وليت فعدلت ثم شهادة . .

وأخرج البخاري[2] من طريق ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس على

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٢) البخاري (حديث ٤٧٥٣).

عائشة - قبيل موتها - وهـي مغلوبة قالت: أخشى أن يُثني عليَّ، فقيل: ابن عمٍّ رسول اللَّه ﷺ، ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له.

فقال: كيف تجـدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت. قال: فـأنت بخير إن شاء اللَّه تعالى، زوجـة رسول اللَّه ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيـرك ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى عليَّ، ووددت أني كنت نسيًا منسيًا[1] .

* * *

(١) في بعض روايات الحديث عند أحـمد (١/ ٢٧٦)، وفي «فضائل الصـحابة» (١٦٣٩) من الزيادة: وأنزل اللَّه براءتك من السمـاء جاء به الروح الأمين فأصبح ليس لله مـسجد من مساجد اللَّه يذكر اللَّه إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار. وإسنادها حسن.

• مواساة من مات له ميت •

فالموت مصيبة من كبرى المصائب، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ**﴾ [المائدة: ١٠٦] . فليواس من مات له ميت بالوقوف بجانبه عند هذه المصيبة للتخفيف عنه، ويكون ذلك أحيانًا بتذكيره باللَّه، كما قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥] . وكما قال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾ [الأنبياء: ٣٤] .

وأحيانًا أخر بتذكيره بتقوى اللَّه والصبر على المصاب والاحتساب كما قال النبي ﷺ للمرأة التي رآها تبكي على ميت لها عند قبر: «**اتقي اللَّه واصبري**».

• وليذكر أيضًا بقوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧] .

• وكذلك فيذكَّر بما أخرجه مسلم[١] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها أنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره اللَّه: إنا للَّه وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها ـ إلا أخلف اللَّه له خيرًا منها**» .

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول اللَّه ﷺ . ثم إني قلتها فأخلف اللَّهُ لي رسولَ اللَّه ﷺ.

قالت: أرسل إليَّ رسول اللَّه ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له،

---

(١) مسلم (حديث ٩١٨) .

فقلت: إن لي بنتًا وأنا غيور، فقال: **«أما ابنتها فندعو اللَّه أن يغنيها عنها. وأدعو اللَّه أن يذهب بالغيرة»**.

● وفي رواية لمسلم[1] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها أنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها ـ إلا أجره اللَّه في مصيبته. وأخلف له خيرًا منها»**.

قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول اللَّه ﷺ فأخلف اللَّه لي خيرًا منه: رسول اللَّه ﷺ.

ثمَّ إن أهل الميت قد يكونون في حاجة إلى شيء من التعليم والتوجيه والإرشاد ففي الذهاب إليهم نفعٌ من هذا الباب كذلك:

● أخرج مسلم[2] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا حضرتم المريض، أو الميت، فقولوا خيرًا. فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»** قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت رسول اللَّه ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه إن أبا سلمة قد مات. قال: **«قولي: اللهم اغفر لي وله. وأعقبني منه عقبى حسنة»** قالت: فقلت. فأعقبني اللَّه من هو خيرٌ لي منه محمد ﷺ.

وها هو أبو بكر رضي اللَّه عنه يواسي المسلمين في وفاة رسول اللَّه ﷺ ويحثهم على الصبر ويحضهم عليه ويذكِّرهم باللَّه عزَّ وجل:

● أخرج البخاري[3] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: أقبل أبو

---

(١) مسلم ص ٦٣٣.

(٢) مسلم (حديث ٩١٩).

(٣) البخاري (حديث ١٢٤١ و ١٢٤٢).

بكر رضي اللَّه عنه على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي اللَّه عنها، فتيمم النبي ﷺ - وهو مسجى ببرد حبرة - فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبلهُ، ثم بكى فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي اللَّه، لا يجمعُ اللَّه عليك موتتين : أما الموتةُ التي كتبت عليك فقد مُتها. قال أبو سلمة: فأخبرني ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أن أبا بكر رضي اللَّه عنه خرج وعمر رضي اللَّه عنه يكلم الناس، فقال: اجلس، فأبى. فقال: اجلس، فأبى، فتشهد أبو بكر رضي اللَّه عنه، فمال إليه الناس وتركوا عمر، فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبُدُ محمدًا ﷺ فإن محمدًا ﷺ قد مات، ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حيٌّ لا يموت، قال اللَّه تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤] الحديث.

ومن صور المواساة تذكير أهل الميت بشيء من فضل هذا الميت:

• أخرج البخاري[1] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «**ويحك أوهَبِلت أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس**» .

ولتجتهد مع أهل الميت بل تنوب عنهم في إحضار الكفن ومستلزماته أو توكيل من يقوم بذلك ولتصنع لهم طعامًا كما ورد عن رسول اللَّه ﷺ:

(١) البخاري (حديث ٣٩٨٢) .

«اصنعوا لآل جعفر طعامًا»[1] .

ولتشهد معهم الجنازة ولتقم معهم على دفن الميت والدعاء له والاستغفار ولتقم بتعزيتهم أيضًا لتخفيف الآلام والأحزان عنهم.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٣١٣٢) والترمذي (٩٩٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (١٦١٠) والحاكم (١/ ٣٧٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وجعفر بن سارة من أكابر مشائخ قريش ـ وهو كما قال شعبة اكتبوا عن الأشراف فإنهم لا يكذبون، وقال الذهبي صحيح.
قلت (مصطفى) والقواعد تقتضي أن خالد بن سارة مجهول، لكن قد ورد في «الصحيحين» من طريق عروة، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها كانت إذا مات الميتُ من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببُرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت: كلن منها فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن» أخرجه البخاري ومسلم (٢٢١٦).

• وهذا بابٌ في التعزية •

فالتعزية من المواساة أيضًا، وبها يخفف اللَّه الأحزان، ويذهب اللَّه الهموم، فكم من كلمة صدرت من رجل جاء يُعزي أهل الميت أذهب اللَّه بها همومًا وغمومًا وكان لها عظيم الأثر في تهدئة أهل الميت والتسرية عنهم، فلذلك ولغيره شرعت التعزية.

• وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وكما قدمنا فالتعزية تحمل كلمات طيبة بها يطمئن أهل الميت، وها هو بعض الوارد في ذلك:

• أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما قال: «كنا عند النبي ﷺ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه، وتخبره أن صبيًا لها أو ابنًا لها في الموت، فقال للرسول: «**ارجع إليها، فأخبرها: أن للَّه ما أخذ وله ما أعطى. وكل شيء عنده بأجل مسمى. فمرها فلتصبر ولتحتسب**» فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها. قال: فقام النبي ﷺ، وقام معه سعد ابن عبادة ومعاذ بن جبل وانطلقت معهم. فرفع إليه الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شنةٍ. ففاضت عيناه. فقال له سعد: ما هذا يا رسول اللَّه؟ قال: «**هذه رحمة. جعلها اللَّه في قلوب عباده. وإنما يرحم اللَّه من عباده الرحماء**».

• وأخرج الإمام أحمد[2] في «مسنده» بإسناد صحيح من حديث عبد اللَّه

(١) البخاري (حديث ١٢٨٤) ومسلم (حديث ٩٢٣).
(٢) «المسند» (١/ ٢٠٤).

ابن جعفر رضي اللَّه عنهما قال: بعث رسول اللَّه ﷺ جيشًا استعمل عليهم زيد بن حارثة، وإن قتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد اللَّه بن رواحة. فلقوا العدو، فأخذ الراية زيد، فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر، فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد اللَّه بن رواحة، فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، ففتح اللَّه عليه. وأتى خبرهم النبي ﷺ، فخرج إلى الناس، فحمد اللَّه وأثنى عليه، وقال: **«إن إخوانكم لقوا العدو، وإن زيدًا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية عبد اللَّه بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد، ثم أخذ الراية سيف من سيوف اللَّه خالد بن الوليد ففتح اللَّه عليه»** . فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: **«لا تبكوا على أخي بعد اليوم أو غد، إلى ابني أخي»** . قال: فجيء بنا كأنا أفرخ، فقال: **«ادعو إلى الحلاق»** ، فجئ بالحلاق، فحلق رءوسنا، ثم قال: **«أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد اللَّه فشبيه خلقي وخلقي»** ثم أخذ بيدي فأشالها فقال: **«اللهم اخلف جعفر في أهله، وبارك لعبد اللَّه في صفقة يمينه»**. قالها ثلاث مرات. قال: فجاءت أمنا، فذكرت له يتمنا، وجعلت تفرح له فقال: **«العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة!!»**.

● وأخرج النسائي [1] بإسناد حسن من طريق معاوية بن قرة عن أبيه قال: كان نبي اللَّه ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه. فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ ، فقال: **«مالي لا أرى**

---

(١)النسائي (٤/ ٥٩) .

فلانا؟» . قالوا: يا رسول اللَّه بنيه الذي رأيته هلك. فلقيه النبي ﷺ، فسأله عن بنيه، فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه ثم قال: «**يا فلان: أيما كان أحب إليك؟ أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي غدًا إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟**» . قال: يا نبي اللَّه، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهو أحب إليَّ. قال: «**فذاك لك**».

وإذا وجدت عند أهل الميت ما يستدعي الإنكار أو الإرشاد فلتفعل ما يستدعيه المقام مع عدم إحداث منكرٍ أعظم.

فإذا وجدت صياحًا وعويلاً ونياحةً ولطم خدود أو شق جيوب فذكِّر بالآتي إن رأيت أن الذكرى تنفع:

- أخرج البخاري[1] من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ « **ليس منا من لطم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**».

- ذكِّرهم بأن رسول اللَّه[2] ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة وذكرهم أيضًا - إن رأيت المقام يحتمل ذلك - بحديث النبي ﷺ: «**أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**» وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جَرَب**»[3] .

---

(١) البخاري حديث (١٢٩٤).

(٢) مسلم (مع النووي ٢/ ١١٠) . والصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة.
والحالقة : هي التي تحلق شعرها عند المصيبة.
والشاقة : هي التي تشق ثوبها عند المصيبة.

(٣) مسلم (حديث ٩٣٤).

ومن مواساة أهل الميت تذكيرهم بثواب الصبر إن هم صبروا واحتسبوا:

● أخرج البخاري[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ما من الناس من مسلمٍ يتوفى له ثلاثٌ لم يبلغوا الحنث. إلا أدخله اللَّه الجنة بفضل رحمته إياهم»** .

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت: يا رسول اللَّه، ذهب الرجالُ بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك اللَّه. قال: **«اجتمعن يوم كذا وكذا»** . فاجتمعن. فأتاهن رسول اللَّه ﷺ فعلمهن مما علمه اللَّه. ثمَّ قال: **«ما منكنَّ من امرأةٍ تُقَدِّمُ بين يديها من ولدها ثلاثة، إلا كانوا لها حجابًا من النار»** فقالت امرأة: واثنين، واثنين، واثنين؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«واثنين، واثنين ، واثنين»** .

● وفي «الصحيحين»[٣] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يموت لمسلمٍ ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم[٤]»** .

● وفي رواية لمسلم؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال لنسوةٍ من الأنصار: **«لا يموتُ لإحداكنَّ ثلاثة من الولد فتحتسبه، إلادخلت الجنة»**. فقالت امرأة منهن: أوِ اثنين يا رسول اللَّه؟ قال: **«أو اثنين»**.

● وعند مسلم[٥] من طريق أبي حسان قال: قلتُ لأبي هريرة: إنه قد مات

---

(١) البخاري (١٢٤٨). (٢) البخاري (١٢٤٩) ومسلم (٢٦٣٣).

(٣) البخاري (حديث ١٢٥١) ومسلم (٢٦٣٢).

(٤) تحلة القسم هي تحلة قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾.

(٥) مسلم (حديث ٢٦٣٥).

لي ابنان. فما أنت محدثي عن رسول اللَّه ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم «**صغارهم دعاميص**[١] **الجنة يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال: أبويه ـ فيأخذ بثوبه، أو قال: بيده، كما آخذ أنا بصنفة**[٢] **ثوبك هذا. فلا يتناهى، أو قال لا ينتهي**[٣] **حتى يدخله اللَّه وأباه الجنة**» . وفي رواية سُويد قال: حدَّثنا أبو السَّلِيلِ، وحدثنيه عبيد اللَّه بن سعيد، حدثنا يحيى (يعني ابن سعيد) عن التيمي، بهذا الإسناد. وقال: فهل سمعت من رسول اللَّه ﷺ شيئًا تطيبُ به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم.

• وعند مسلم كذلك من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال[٤]: أتت امرأةٌ إلى النبي ﷺ بصبي لها. قالت: يا نبي اللَّه! ادع اللَّه له. فلقد دفنت ثلاثة. قال: «**دفنت ثلاثة؟**» قالت: نعم. قال: «**لقد احتظرت**[٥] **بحظار شديد من النار**».

• ذكِّر من مات له ولد بقول رسول اللَّه ﷺ [٦]: «**ما تعدون الرَّقوب**[٧] **فيكم؟**» قال: قلنا: الذي لا يولد له. قال: «**ليس ذاك بالرقوب، ولكنه الرجل**

---

(١) دعاميص: واحد دُعموص، أي صغار أهلها، وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه. أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها.

(٢) بصنفة: هو طرفه . ويقال لها أيضًا : صنيفة.

(٣) يتناهى ـ ينتهي: أي لا يتركه.

(٤) مسلم (حديث ٢٦٣٦).

(٥) احتظرت: أي امتنعت بمانع وثيق، وأصل الحظر المنع.

(٦) مسلم (حديث ٢٦٠٨).

(٧) قال النووي رحمه الله : الرقوب: أصل الرقوب، في كلام العرب، الذي لا يعيش له ولد، ومعنى الحديث، إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به ، وثواب صبره عليه. ويكون له فرطًا وسلفًا.

الذي لم يقدم من ولده شيئًا» قال: «**فما تعدُون الصرعة**[١] **فيكم؟**» قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال. قال: «**ليس بذلك. ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب**».

- وذكرهم أيضًا بقوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].
- وبقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٤].
- وبقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠].
- وبقوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

ومن صور تعليم أهل الميت:

- أخرج[٢] مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره[٣]. فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**[٤]». فضج ناسٌ من أهله. فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير. فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون**». ثم قال: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين**[٥]. **واغفر لنا وله يا**

(١) الصرعة: أصله في كلام العرب، الذي يصرع الناس كثيرًا. ومعنى الحديث: إنكم كذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال، بل يصرعهم. وليس هو كذلك شرعًا، بل هو من يملك نفسه عند الغضب. فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قلَّ من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته، بخلاف الأول.

(٢) مسلم (حديث ٩٢٠).

(٣) شق بصره: أي حضره الموت وصار ينظر إلى شيء لا يرتد إليه طرفه.

(٤) تبعه البصر أي نظر إليه أين تذهب.

(٥) الغابرين: أي الباقين.

رب العالمين. وافسح له في قبره . ونور له فيه» .

ومن صور إرشاد أهل الميت:

• ما أخرجه مسلم[١] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريبٌ وفي أرض غُربة[٢]. لأبكينه بكاءً يتحدثُ عنه. فكنت قد تهيأت للبكاء عليه. إذ أقبلت امرأة من الصعيد[٣] تريد أن تسعدني[٤] ، فاستقبلها رسول اللَّه ﷺ وقال: **«أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتًا أخرجه اللَّه منه؟»** مرتين. فكففت عن البكاء فلم أبك

• وأخرج البخاري[٥] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : إن رسول اللَّه ﷺ قال : **«يقول اللَّه تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيَّه[٦] من الدنيا ثم احتسبه[٧] إلا الجنة»** .

• وأخرج النسائي[٨] بإسناد صحيح عن معاوية بن قرة عن أبيه رضي اللَّه عنه أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ ومعه ابن له: فقال له: **«أتحبه؟»** فقال: أحبك اللَّه كما أحبه. فمات ففقده. فسأل عنه فقال: **«ما يسرك أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك»** .

• وله طريق آخر عند النسائي[٩] عن معاوية بن قرة عن أبيه أيضًا قال:

---

(١) مسلم (حديث ٩٢٢).
(٢) معناه أنه من أهل مكة ومات بالمدينة.
(٣) الصعيد هو عوالي المدينة.
(٤) تسعدني : تساعدني في البكاء والنوح.
(٥) البخاري (٦٤٢٤).
(٦) صفيه، الصفي هو الحبيب المصافي كالأخ والابن ونحو ذلك.
(٧) احتسبه : أي صبر وطلب ثواب فراقه من اللَّه عز وجل.
(٨) النسائي في «السنن» ٤/ ٢٣ .
(٩) النسائي (٤/ ١١٨)، وهو صحيح لما قبله.

كـان نبيُّ اللَّه ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفرٌ من أصـحابه وفيهم رجلٌ له ابن صغير يأتيـه من خلف ظهره فيقعده بين يديه فهلك فـامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه فحزن عليه ففقده النبي ﷺ فقال «**مالي لا أرى فلانًا؟**» قالوا: يا رسول اللَّه بنيه الذي رأيتـه هلك، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيـه، فأخبره أنه هلك فعـزاه علـيه، ثـم قـال: «**يـا فـلان: أيما كـان أحب إليك أن تمتـع بـه عُـمـرك أو لا تأتي غـدًا إلى بـاب من أبـواب الجنـة إلا وجـدتـه قـد سـبقك إلـيه يفتحه لك**» قال: يا نبي اللَّه بل يسبقني إلى الجنة فيفتحها لي، لهو أحبُّ إليَّ قال: «**فذلك لك**».

● وأخرج أحـمد[١] بإسناد حسن عن بعض أصـحاب النبي ﷺ يقـول: «**يقال للولـدان يوم القيامـة: ادخلو الجنة قال: فـيقولون: يا رب حـتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا قال: فيأتون قال: فـيقول اللَّه عز وجل: ما لي أراهم محبنطئين[٢] ادخلـوا الجنة قال: فيقولون:يا رب آباؤنا وأمهاتنا قال: فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**».

● وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث عائشة زوج النبي ﷺ؛ أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساءُ، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمـة من تلبينة[٤] فطبخت. ثم صنع ثريد. فصبَّـت التلبينة عليها. ثم قالت: كلن منها. فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**التلبينة مجمَّة[٥] لفؤاد**

(١) أحمد (٤/ ١٠٥).
(٢) أحبنطأ الرجل أي انتفخ جوفه، واحبنطأ أي امتنع، وقيل هو المتغضب المستبطئ.
(٣) البخاري (حديث ٥٤١٧) ومسلم (حديث ٢٢١٦).
(٤) التلبينة هي حساء يصنع من دقيق ونخالة وربما جعل فيها عسل.
قال الهروي وغيره: سميت تلبينة تشبيها باللبن لبياضها ورقتها.
(٥) مُجمة: أي تريح الفؤاد وتزيل عنه الهم وتنشطه.

المريض تذهب بعض الحزن» .

والرسول ﷺ يواسي ابنته فاطمة رضي اللَّه عنها لما استشعر الموت:

• أخرج مسلم[١] في «صحيحه» من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت: إنَّ رسول اللَّه ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارّها. فبكت. ثم سارَّها فضحكت؟ فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول اللَّه ﷺ فبكيت، ثم سارك فضحكت؟ قالت: سارني فأخبرني بموته، فبكيت. ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكت.

• وفي رواية لمسلم[٢] عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: كنَّ أزواجُ النبي ﷺ عنده. لم يغادر منهن واحدة. فأقبلت فاطمة تمشي. ما تخطئ مشيتها من مشية رسول اللَّه ﷺ شيئًا. فلما رآها رحب بها. فقال: **«مرحبًا يا ابنتي»** ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم سارها فبكت بكاءً شديدًا فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصك رسول اللَّه ﷺ من بين نسائه بالسرار. ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول اللَّه سألتها ما قال لك رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول اللَّه ﷺ سرَّه. قالت: فلما توفي رسول اللَّه ﷺ قلت: ما كنت عزمت عليك، بما لي عليك من الحق، لما حدثتني ما قال لك رسول اللَّه ﷺ؟ فقالت: أمَّا الآن، فنعم. أما حين سارَّني في المرة الأولى، فأخبرني: **«أنَّ جبريل كان يُعارضه القرآن كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب. فاتقي اللَّه واصبري. فإنه نعم السلف أنا لك»** قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: **«يا فاطمة! أما ترضي أن تكوني سيدة نساء**

---

(١) مسلم (حديث ٢٤٥٠).
(٢) مسلم (١٩٠٤).

المؤمنين. **أو سيدة نساء هذه الأمة»** ؟ قالت: فضحكتُ ضحكي الذي رأيت.

والمقصود من التعـزية تسلية أهل المصيبة، وقضاء حـوائجهم وتعليمهم إنِ احتاجوا إلى تعليم.

ولا تحد التعزية بثلاثة أيام فحديث: «**لا عزاء بعد ثلاث**» ضعيف.

وقد أمـهل النبي ﷺ آل جعفر أن يأتيهم بعـد قتل جعفر ثم آتاهم ... الحديث.

وهذا متوقف على أحـوال أهل الميت فإذا كانت أحوالهم تستـدعي التعزية ولو بعد ثلاث فليُعزوا بعد ثلاث، وإن كانـت التعزية بعد ثلاث تجدد عليهم الأحزان فتركها حينئذ أولى.

وليست للتـعزية صيغٌ معينة يـجب لزومها ولا يجوز تخطيـها، بل يُعزى الشخص بما يظن أنه يُسرى عنه ويخفف عنه الأحزان، وقد قدمنا بعض ذلك في الأحاديث السابقة.

ومما ورد عن السلف من صيغ التـعزية[1] أن تقول: أعظم الـلَّه أجركم، وأحسن عزاءكم، ورحم اللَّه ميتكم.

قال ابن قدامة رحمه اللَّه[2] : ويستحب تعزية جميـع أهل المصيبة كبارهم وصـغارهم ويخص خـيـارهم والمنظور إليـه من بينهم ليـستن به غيـره، وذا الضعف منهم عـن تحمل المصيـبة لحاجتـه إليها، ولا يـعزى الرجل الأجنبي شواب النساء مخافة الفتنة.

---

(١) ابن قدامة في «المغني» (٢/ ٥٤٤).

(٢) «المغني» (٢/ ٥٤٤).

وقال الشافعي رحمه اللَّه[١] : والتعزية من حين موت الميت في المنزل والمسجد وطريق القبور وبعد الدفن ومتى عزى فحسن، فإذا شهد الجنازة أحببت أن تؤخر التعزية إلى أن يُدفن الميت إلا أن يرى جزعًا من المصاب فيعزيه عند جزعه ويعزي الصغير والكبير والمرأة إلا أن تكون امرأة شابة ولا أحب مخاطبتها إلا لذي محرم وأحب لجيران الميت أو ذي قرابته أن يعملوا لأهل الميت في يوم الموت وليلته طعامًا يُشبعهم فإن ذلك سُنَّةٌ وذكرٌ كريم وهو من فعل أهل الخير قبلنا وبعدنا، لأنه لما جاء نعي جعفر قال رسول اللَّه ﷺ: **«اجعلو لآل جعفر طعامًا فإنه قد جاءهم أمر يشغلهم»**[٢] .

ثم قال الشافعي: وأحب لقيِّم أهل الميت عند المصيبة أن يتعاهد أضعفهم عن احتمالها بالتعزية بما يظن من الكلام والفعل أنه يسليه ويكف من حزنه.

● وكان الشافعي قبل ذلك قد قال: قد عزى قومٌ من الصالحين بتعزية مختلفة فأحب أن يقول قائل هذا القول[٣]. ويترحم علي الميت ويدعو من خلفه.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] رحمه اللَّه عما يتعلق بالتعزية:

فأجاب: التعزية مستحبة ففي «سنن الترمذي» عن النبي ﷺ: «من عزى

---

(١) «الأم» (١/ ٢٧٨).

(٢) تقدم.

(٣) أورد الشافعي قبل هذا حديثًا ضعيف الإسناد جدًا ففي إسناده القاسم بن عبد اللَّه بن عمر وهو متروك.

ومتن هذا الحديث: لما توفي رسول اللَّه ﷺ وجاءت التعزية سمعوا قائلاً يقول: إن في اللَّه عزاء من كل مصيبة وخلفًا من كل هالك ودركًا من كل ما فات فباللَّه فثقوا وإياه فأرجوا فإن المصاب من حُرم الثواب.

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٨٠).

مصابًا فله مثل أجره»[1] وأما قول القائل: ما نقص من عمره زاد في عمرك فغير مستحب، بل المستحب أن يدعى له بما ينفع مثل أن يقول: أعظم اللَّه أجرك وأحسن عزاك وغفر لميتك.

* * *

• مواساة الأرامل والأيتام •

ومن أعظم من يحتاج إلى مواساة: الأرامل والأيتام.

فَقَدْ فَقَدَ هؤلاء عزيزًا عليهم . . وقائمًا كان يقوم بأمرهم ويدبر شئونهم بعد اللَّه سبحانه وتعالى.

فقدوا هذا الذي كان يهمه أمرهم ويسعى في قضاء حوائجهم ويفرح لفرحهم ويسعد لسعادتهم ويحزن لحزنهم.

فقدوا عائلهم الذي كان يعولهم ويربيهم ويدفع عنهم السوء والمكروه بإذن اللَّه ويدافع عنهم وينافح.

فقدوا من كان يدخل عليهم بالهدايا والإتحافات، ويقابلهم بالمعانقات والابتسامات.

فهذه طفلة كانت دائمًا تقول: - إذا سمعت صوته - أبي قد جاء، أبي قد جاء، وهذا طفل آخر يجري مستقبلاً أباه مرحبًا به مهتشًا بشوشًا، وتلك زوجة تنتظر منه الحنان وترفع إليه أمر بيتها وأولادها، وتبث إليه بشجونها وأحزانها، وتفرح بابتساماته وتسعد بمقدمه، ففجأة فقد هؤلاء عائلهم الوحيد

---

(١) ضعيف، أخرجه الترمذي (١٠٧٣) وغيره، وفي إسناده علي بن عاصم وقد استنكر هذا الحديث عليه.

من البشر، فحرموا هذا الحنان وانقطعت عنهم وجوه ذلك الإحسان، فمن ثم احتاجوا إلى مواساة، واحتاجوا إلى مداواة، ولذلك فقد تواردت نصوص الكتاب والسنة تحث على إكرام اليتيم والإحسان إلى الأرامل وترغب في صلتهم ومواساتهم وتحذر من أذاهم وقهرهم غاية التحذير.

وهذا بعض الوارد في ذلك:

•أخرج البخاري[(١)] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«أنا وكافل اليتيم[(٢)] في الجنة هكذا»**، وقال بأصبعيه السبابة والوسطى.

• وأخرج مسلم[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ: قال: **«كافل اليتيم له أو لغيره[(٤)] أنا وهو كهاتين في الجنة»**[(٥)] .

• وقال تعالى في بيان مصارف الإنفاق: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢١٥].

• وجعل اللَّه إيتاء المال للأيتام ونحوهم من أصول البر قال تعالى:

---

(١)البخاري (٦٠٠٥).

(٢)قال النووي رحمه اللَّه تعالى: (٥/ ٨٣٣ طبعة الشعب). كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية.

(٣)مسلم (٢٩٨٣).

(٤)أما قوله: (له أو لغيره) فالذي له أن يكون قريبًا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وعمته وخالته وخاله وغيرهم من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبيًا، قاله النووي رحمه اللَّه.

(٥)وأشار مالك بالسبابة والوسطى.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

• بل ومن المواثيق التي أخذها اللَّه على بني إسرائيل الإحسان إلى الأيتام قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [البقرة : ٨٣] .

• وجعل اللَّه لليتامى قسطًا من الفيء قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ [الحشر: ٧] .

• ونصيبًا من الغنيمة . . قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

• وهذا ثناءٌ حسنٌ من رسول اللَّه ﷺ على نساء قريش لحنوهن على الأيتام.

• أخرج البخاري[1] ومسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**خير نساء ركبن الإبل صالحُ نساء قريشٍ أحناه[2] على ولدٍ في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده**».

(١) البخاري (حديث ٥٠٨٢) ومسلم (٢٥٢٧).

(٢) قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ (شرح مسلم ٥/٣٨٨) معناه: أحناهن وأرعاهن. وقال ـ رحمه اللَّه ـ والحانية على ولدها التي تقوم عليهم بعد يتمهم فلا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية، ونقل ذلك عن الهروي.
قلت: ومما يؤيد هذا التأويل سبب ورود هذا الحديث عند مسلم، وفيه أن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول اللَّه إني قد كبرت ولي عيال. فقال رسول اللَّه ﷺ : «خير نساء ركبن الإبل. . . » الحديث. =

• وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول اللَّه، إني قد كبرت ولي عيالٌ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**خير نساء ركبن ...**» الحديث.

• وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل اللَّه**» وفي بعض الروايات: «**أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل**»[2].

• وفي أخرى (على الشك من بعض الرواة): «**كالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم لا يُفطر**»[3].

• وقال عليه الصلاة والسلام: «**وأن هذا المال خضرة حلوة فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل**»[4].

• والإحسان إلى الأيتام يبقى للشخص في ذريته، وكذلك الإساءة إليهم قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴾ [النساء: ٩].

• وقال تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا**

= وليس هذا التفسير - أعني تفسير الحانية بأنها التي لا تتزوج - على إطلاقه فالأمر يختلف من امرأة لأخرى، وقد تزوج النبي ﷺ بأم سلمة - رضي اللَّه عنها - ولها أولاد، فإذا تزوجت المرأة الشيب ولها أولاد رجلاً طمعًا في حفظه - بعد حفظ اللَّه عز وجل - لأولادها فلا يخدش ذلك في حنوها على أطفالها - واللَّه تعالى أعلم.

(١) البخاري (حديث ٦٠٠٧) ومسلم (حديث ٢٩٨٣).

(٢) انظر البخاري (٦٠٠٦).

(٣) انظر البخاري (٦٠٠٧).

(٤) البخاري (١٤٦٥) ومسلم (ص٧٢٩).

نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢] .

وبين سبحانه أن من أسباب اقتحام العقبة وتجاوزها بخير وسلام الإحسان على الأيتام :

- فقال سبحانه: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٨] .

ولا يُنصح الضعيف بتولي مال اليتيم:

- وبهذا أوصى النبيُّ ﷺ أبا ذر، فقال له: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**»[1] .

وجاءت النصوص صريحة تنهى عن ظلم الأيتام وتحذر من إيذائهم غاية التحذير :

- قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩] .

- وقال تعالى: ﴿ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ

(١) مسلم (حديث ١٨٢٦).

لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾

[الفجر: ١٧ - ٢٦].

ومن أخص صفات المكذبين بالدين أنهم يظلمون الأيتام ويقهرونهم:

• قال اللَّه تبارك وتعالى: **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** [الماعون: ١- ٣].

وحذر اللَّه أشد التحذير من أكل أموال اليتامى ظلمًا:

وبين رسول ﷺ أن ذلك من السبع الموبقات

• قال اللَّه تبارك وتعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾** [النساء: ١٠].

• وقال سبحانه: **﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾** [النساء: ٢].

• وقال النبي ﷺ: «**اجتنبو السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول اللَّه، وما هن؟ قال: «**الشرك باللَّه والسحر وقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(١).

* * *

(١) البخاري (٢٧٦٦).

• مواساة المطلقة •

وتلك المطلقة التي كُسر خاطرها بتطليقها ينبغي أن تواسى ويُجبر كسرها من مطلقها ومن الناس أيضًا.

• قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤١].

• وقال تعالى: ﴿**لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣٦].

• وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٤٩].

• وقال تعالى: ﴿**وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ**﴾[البقرة: ٢٣٧].

فهكذا ينبغي أن يجبر خاطر المطلقة وأن تُواسى من قِبَل زوجها ومن قبل الناس، كذلك فلتذكَّر بقوله تعالى: ﴿**وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ١٣٠].

فليقل لها إذا طلقت وانتهت معيشتها مع زوجها: لعل في هذا الطلاق خيرًا، لعلك ترزقين بذرية صالحة من رجل آخر، لا تذهب نفسك حسرات على الزوج الذي ذهب ولا تجزعي جزعًا على الأولاد فالله يتولاهم، واللَّه خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين.

فمثل هذه الكلمات الطيبة تصبرها وتخفف عنها شيئًا من الأحزان، هذا

مع الدعاء لها بالتوفيق والسداد، وأن يعوضها ربها خيرًا من الذي فقدت. ولا يمنع من أن تبحث لها عن زوج صالح ما دمت تراها على خيرٍ وصلاح.

• صور أخرى للمواساة •

• وليذُكَّر من لم يرزق الولد بقوله تعالى: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

• وليذكَّر بيحيى عليه السلام إذ يقول اللَّه فيه: ﴿**وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران: ٣٩].

• وليذكَّر من رزق بالبنات أن هناك من لم يرزق بالذرية أصلاً لا بنين ولا بنات، لِيُخبَر أيضًا بأن نبينا ﷺ رُزق بالبنات ومات أبناؤه الذكور في صغرهم!!

• ومن وُلد له ولدٌ معاق فليذكَّر بأن سليمان عليه السلام ولد له نصف إنسان!!

• وليذكَّر من رُزِقَ بولدٍ غَوِيٍّ بولد نوح، حتى لا تذهب نفسه حسراتٍ على ولده.

•وليذكَّر من خسر خسارة فادحة بخسائر الآخرين التي هي أعظم وأفدح.

• وليُذكَّر من كذبه قومه بأن أبا لهب عم رسول اللَّه ﷺ كذب النبيَّ ﷺ!!

• وليذكَّر من مات له ميت بمصابه في رسول اللَّه ﷺ وبمصائب الناس في أمواتهم.

• ذكِّر من اتهم ظلمًا وزورًا بأن أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها اتهمت

ظلمًا وزورًا وقبلها الصديقة مريم عليها السلام، قال لها قومها: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾.

وكذلك فالصِّدِّيق يوسف عليه السلام، اتهم هو الآخر، وكذلك موسى ﷺ وغيرهم وغيرهم وغيرهم، ودائمًا كانت العاقبة للتقوى، ودائمًا النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، ومع العسر يسر.

وهذا أيضًا من التسلية والمواساة:

• أخرج مسلم رحمه اللَّه في «صحيحه»[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما: دخلَ أبو بكرٍ يستأذنُ على رسول اللَّه ﷺ جالسًا حوله نساؤهُ واجمًا ساكتًا قال: فقال: لأقولن شيئًا أضحك النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فوجأت عنقها؟ فضحك رسول اللَّه ﷺ، وقال: «**هن حولي كما ترى يسألنني النفقة**» فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول اللَّه ﷺ، شيئًا أبدًا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرًا أو تسعًا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ**﴾ حتى بلغ ﴿**لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب:٢٨، ٢٩] قال: فبدأ بعائشة فقال: «**يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحبُّ أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك**» قالت: وما هو يا رسول اللَّه، فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول اللَّه أستشير أبويَّ؟ بل أختار اللَّه ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلتُ قال: «**لا تسألني امرأة منهم إلا أخبرتها إن اللَّه لم يبعثني مُعنِّتًا ولا مُتعنتًا، ولكن بعثني مُعلمًا مُيسرًا**».

---

(١) مسلم (حديث ١٤٧٨).

• تذكير الناس بأحوال غيرهم لتخفيف المصائب والأهوال عليهم •

وهذا باب له أثره في تهوين المصائب على الناس وتخفيف أحزانهم، وقد وردت له جملة أدلة في الكتاب والسنة.

• قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

• وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

• وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

• وقال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

• وقال سبحانه لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤].

• وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].

• وقال النبي ﷺ لعائشة لما حاضت وحزنت وبكت في الحج وقالت: أيرجع كل أصحابك بحجة وعمرة وأرجع بحجة فقط؟! فقال لها النبي ﷺ:

«إن هذا شيءٌ كتبه اللَّه على بنات آدم».

ومن ذلك القول المشهور المنسوب للخنساء تهون على نفسها مصابها بأخيها:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولا يكون مثل أخي ولكن أعزي النفس معهم بالتأسي

* * *

• وَصْلُ ومواساة من كان أحباؤك يصلوه •

ومن برِّك بآبائك وأصدقائك أن تواسي وتصل من كان آباؤك وأصدقاؤك يصلونهم ويواسونهم، فإذا كان أبوك مثلاً قبل موته يصل أهل بيت ويتصدق عليهم ويحسن إليهم، فلا شك أنهم بموته فقدوا عزيزًا عليهم، فقم بما كان أبوك يفعل، وصِلْ من كان أبوك يصل.

• قال النبي ﷺ: «إن أبرَّ البرِّ أن يصل الرَّجُلُ أهلَ وُدِّ أبيه بعد موته»[1].

• وقد امتثل ذلك عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما: فأخرج مسلم[2] من طريق عبد اللَّه بن دينار، عن عبد اللَّه بن عمر: أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلَّم عليه عبدُ اللَّه، وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك اللَّه، إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبدُ اللَّه: إن أبا هذا كان وُدًّا[3] لعمر

(١، ٢) كل ذلك عند مسلم (ص١٩٧٩) (حديث ٢٥٥٢).
(٣) ودًا: أي صديقًا من أهل مودته ومحبته.

ابن الخطاب، وإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ أبرَّ البرِّ صلة الولد أهلَ وُدِّ أبيه**».

● وفي رواية أخرى عند مسلم[1] أيضًا من طريق ابن عمر أيضًا: أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه[2]، إذا ملَّ ركوب الراحلة. وعمامة يشد بها رأسه، فبينا هو يومًا على ذلك الحمار، إذْ مرَّ به أعرابيٌّ، فقال: ألست ابن فلان ابن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، وقال: اركب هذا. والعمامة، وقال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر اللَّه لك، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك، فقال: إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنَّ من أبرِّ البرِّ صلة الرَّجُلِ أهل وُدِّ أبيه بعد أن يُولى**» وإن أباه كان صديقًا لعمر.

● وعند أبي يعلى[3] بإسناد صحيح عن أبي بردة قال: أتيت المدينة فأتاني عبد اللَّه بن عمر فقال: هل تدري لم أتيتك؟ قال: قلتُ: لا، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده**» وإنه كان بين أبي عُمر وبين أبيك إخاءٌ ووُدٌّ فأحببت أن أصل ذلك.

● ومن ذلك قول أبي بكر رضي اللَّه عنه: ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته[4].

● وقوله: والذي نفسي بيده لقرابة رسول اللَّه ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي[5].

---

(١) كل ذلك عند مسلم (ص١٩٧٩) (حديث٢٥٥٢).

(٢) يتروح عليه أي يستريح عليه.

(٣) أبو يعلى: (٥٦٦٩).

(٤) البخاري (حديث ٣٧١٣).

(٥) البخاري (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩).

● **ومن هذا البـاب:** قول أبي بكر لعمـر رضي اللَّه عنهما: «انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، فقد كان النبي ﷺ يزورها».

فقد فقدت أم أيمن رضي اللَّه عنها أعزَّ شخص عليها وهو رسولُ اللَّه ﷺ الذي كان يزورها ويتـفقد أحوالهـا، وكانت تُدَلُّ عليه وتصخب عليـه وتذمَّرُ عليه[1] . فلما فقدت أم أيمن رسولَ اللَّه ﷺ أراد أبو بكر أن يذهب مع عمر لتعويـض شيء عن هذا الذي قد فُقِد، وذلك بزيارتهـما لأم أيمن رضي اللَّه عنها.

● ومن ذلك قول رسول اللَّه ﷺ[2] : **«أذكركم اللَّهَ في أهل بيتي، أذكركم اللَّهَ في أهل بيتي، أذكركم اللَّهَ في أهل بيتي»**.

---

(١) في «صحـيح مسلم» (حديـث ٢٤٥٣) من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: انـطلق رسول اللَّه ﷺ إلى أم أيمن. فانطلقت مـعه، فناولته إناءً فيه شـراب قال: فلا أدري أصادفتـه صائمًا أو لم يُردْهُ فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه.

وقولها: «تصخب عليه»: أي تصيح وترفع صوتها إنكارًا لإمساكه عن الطعام والشراب.

وقولها: «تذمر عليه»: أي تتذمر وتتكلم بالغضب ـ وذكره النووي.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه قال: قام رسول اللَّه ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمًا(*) ـ بين مكة والمدينة ـ فحمد اللَّه وأثنى عليه. ووعظ وذكر. ثم قال: «أما بعـد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فـأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين(**) : أولهما كتاب اللَّه فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب اللَّه واستمسكوا به» فحث على كتـاب اللَّه ورغب فيه، ثم قال: «وأهـل بيتي أذكركُم اللَّه في أهل بيـتي، أذكركم اللَّه في أهل بيتي أذكـركم اللَّه في أهل بيتي» فـقال له حـصين: ومن أهل بيته يا زيد! أليـس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

(*) خمًا: اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، غدير مشهور يضاف إلى الغيضة. فيقال: غدير (خم) قاله النووي.

(**) ثقلين: قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما وقيل: لثقل العمل بهما. قاله النووي.

وها هو ابن عمر رضي الله عنهما يرى ابنًا لأسامة بن زيد، وأسامة هو الحِبُّ ابنُ الحِبِّ أسامة حِبّ رسول الله ﷺ وأبوه من قبله حب رسول الله ﷺ فماذا فعل ابن عمر مع أيمن بن أسامة؟! نتركك مع هذه الرواية:

● أخرج البخاري[١] من طريق عبد الله بن دينار قال: نظر ابن عمر يومًا - وهو في المسجد - إلى رجلٍ يسحب ثيابه في ناحية من المسجد فقال: انظر من هذا؟ ليت هذا عندي! قال له إنسان: أما تعرف هذا يا أبا عبد الرحمن؟ هذا محمد بن أسامة، قال: فطأطأ ابن عمر رأسَه ونقر بيديه في الأرض ثم قال: لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه.

● وأخرج البخاري[٢] أيضًا من طريق حرملة مولى أسامة بن زيد أنه بينما هو مع عبد الله بن عمر إذ دخل الحجاج بن أيمن فلم يتم ركوعه ولا سجوده فقال: أَعِدْهُ. فلما ولَّى قال ابن عمر: من هذا؟ قلتُ: الحجاجُ بن أيمن ابن أم أيمن، فقال ابنُ عمر: لو رأى هذا رسول الله ﷺ، لأحبه فذكر حبه ما ولدته أمُّ أيمن.

● وأخرج ابن سعد في «الطبقات»[٣] من طريق زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب فضَّل المهاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر، فقال عبد الله بن عمر: فقال لي رجل فضَّل عليك أميرُ المؤمنين من ليس بأقدم منك سنًا ولا أفضل منك هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد، قال عبد الله - وكلمته فقلت -: يا أمير

(١) البخاري (٣٧٣٤).
(٢) البخاري (حديث ٣٧٣٧).
(٣) صحيح لغيره، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/١/٤٩).

المؤمنين فضلت عليَّ من ليس هو بأقدم مني سنًا ولا أفضل منِّي هجرة، ولا أشهد من المشاهد ما لم أشهد! قال: ومن هو؟ قلتُ: أسامة بن زيد، قال: صدقتَ لعمر اللَّه، فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحبَّ إلى رسول اللَّه ﷺ من عبد اللَّه بن عمر، فلذلك فعلت.

• **ومن ذلك**: حفظ رسول اللَّه ﷺ حق خديجة بعد موتها لأصدقائها وإحسانه إلى أقربائها:

• أخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ، إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت: وكان رسول اللَّه ﷺ، إذا ذبح الشاة فيقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**» قالت: فأغضبته يومًا، فقلتُ: خديجة! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إني قد رزقت حبها**».

(١) مسلم (ص١٨٨٨).

• المواساة بتذكير الناس بالأجر الأخروي •

فكل المصائب تهون ما دام المآل إلى جنات النعيم، تلك الجنان التي فيها ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

تلك الجنان التي يورثها اللَّه من عبـاده من كان تقيًا، ويأتيهم رزقـهم فيها بكرةً وعشيًا.

ذكِّر من ابتلي بجزاء من صبر، وهوِّن عليه مصائب الدنيا.

• فقد قال النبيُّ ﷺ[1] : «**يؤتى بأنعم أهلِ الدنيا من أهلِ النارِ يوم القـيامة، فيصبغ في النار صبغـة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيتَ خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فـيقول: لا والـلَّه، يا رب ما رأيت نعـيمًـا قط، ويؤتى بأشدِّ الناسِ بؤسًـا في الدنيا من أهل الجنة. فيصبغُ صبـغةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا، واللَّه يا ربِّ، ما مرَّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدةً قط**».

• **ومن ذلك**: أن النبي ﷺ كان إذا دخل على مريضٍ يعوده قال له: «**لا بأس، طهور إن شاء اللَّه**»[2] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٦٥٦).

• ومن المواساة أن تشارك إخوانك أحزانهم •

فلا يكونون في همٍّ وحزنٍ وبكاء لألم حلَّ بهم، وأنت تضحك وتبتسم ولا تبالي بما هم فيه من هموم وأحزان!! فالمسلم أخو المسلم يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويسعد لسعادته.

• ألا ترى أن النبي ﷺ قد قال: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**(١) .

• وفي رواية: **«المؤمنون كرجلٍ واحدٍ إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**(٢) .

• وفي رواية ثالثة: **«المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسُه اشتكى كله»**(٣) .

• وذكر النبي ﷺ من أهل الجنة: **«... ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم...»**(٤) .

• وكذلك فانظر إلى فعل عمر رضي اللَّه عنه لما قبل الرسول ﷺ الفدية من أسارى بدر ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]:

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

(٢) مسلم (٢٥٨٦).

(٣) مسلم (٢٥٨٦).

(٤) مسلم (٢٨٦٥).

• أخرج مسلم في «صحيحه»[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبي اللَّه، هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى اللَّه أن يهديهم للإسلام، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قلتُ: لا، واللَّه يا رسول اللَّه، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيبًا لعمر)، فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول اللَّه ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان. قلتُ: يا رسول اللَّه أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» - شجرة قريبة من نبي اللَّه ﷺ - وأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا**﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٩] فأحل اللَّه الغنيمة لهم.

فإذا كان في بيت جيرانك مصيبةُ موتٍ أو أية مُصيبة وعندك مناسبة سعيدة فلا تظهر سعادتك أمام إخوانك، فإن هذا يزيدهم همًا إلى ما هم فيه من هموم وأحزانٍ.

فإذا كان لك ولد نجح في الاختبارات وابن الجيران رسب فيها، فلتراعِ

(١) مسلم (حديث ١٧٦٣).

مشاعر إخوانك ففي هذا نوع مواساة، والموفق من وفقه اللَّه.

وانظر إلى أثر تهنئة طلحة بن عبيد اللَّه لكعب بن مالك لما تاب اللَّه على كعب، وذلك في قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا.. .قال كعب: فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحِبَيَّ مبشرون، وركض إليَّ رجلٌ فرسًا، وسعى ساعٍ من أسْلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته بشرني نزعتُ له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشراه، واللَّه ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول اللَّه ﷺ، فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة اللَّه عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول اللَّه ﷺ جالس حوله الناسُ، فقام إليَّ طلحة بن عبيد اللَّه يهرول حتى صافحني وهنأني، واللَّه ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيرُهُ، ولا أنساها لطلحة... الحديث[1].

وثمَّ محاولة يائسة قام بها ملك غسَّان يواسي بها كعب بن مالك رضي اللَّه عنه لما هجره رسولُ اللَّه ﷺ والمسلمون، شاهدي من ذكرها أن المواساة كانت معلومة ومعروفة حتى عند غير المسلمين:

● ففي «الصحيحين» من حديث كعب بن مالك رضي اللَّه عنه في قصة توبته.. قال: فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام[2]، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، قال: فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسَّان.

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) نبطي: النبط هو فلاحو العجم.

وكنت كاتبًا، فقرأته فإذا فيه:

«أما بعد.. فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك اللَّه بدار هوان ولا مضيعة، فالْحَقْ بنا نواسِكَ». قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء. فتيامَمت[1] بها التنور فسجرتها[2] بها.

* * *

● **ويلحق بالمواساة: قول الرسول ﷺ: «يُسلم الراكبُ على الماشي»**[3]:

فلما كان الراكب قد نال شيئًا من التعالي لكونه راكبًا كان من حق الماشي عليه أن يبدأه الراكب بالسلام، وفي هذا - فيما أرى - نوع من التوازن، فالراكب في الغالب يشعر بنوعٍ من التعالي على من هو يمشي، فحتى تتزن الأمور ينبغي أن يسلم الراكب على الماشي، وعلى هذا فتقاس الأمور.

* * *

وبعد هذا العرض لأبواب المواساة فجدير بالمسلم أن يحرص عليها ففيها أجرٌ عظيم عند اللَّه سبحانه وتعالى، وفيها تقويةٌ لعلاقات الشخص بإخوانه المؤمنين ومن ثمَّ فهي - كما قدمنا - سببٌ في جلب مودتهم وكسب محبتهم، ثم إن فيها وقايةً من شح النفس، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر:٩] ثم إن الشخص بهذه المواساة يؤكد حسن ظنه باللَّه سبحانه ويؤكد ثقته بوعد اللَّه عزَّ وجلَّ فضلاً عما فيها من ترويح عن

---

(١) تيامَمت: قصدت.

(٢) سجرتها: أي أحرقتُها.

(٣) البخاري (حديث ٦٢٣٢)، ومسلم (حديث ٢١٦٠).

المسلمين وتفريج كـربات المكروبين، وقضاء حـوائج المحتاجين وإشـاعة روح الأخوة وإماتة الأحقاد والضغائن، وهذا كله يـعود بالخير على الشخص نفسه وعلى عموم المسلمين وأيضًا على بلاد المسلمين.

* * *

• باب في الاستئذان •

والاستئذان من الآداب التي يجب أن يتأدب بها المسلم مع الناس:

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٧ - ٢٩].

وللاستئذان آدابٌ ينبغي التأدب بها:

من ذلك أن الاستئذان ثلاثٌ، فإذا استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لك فانصرف.

• ففي «صحيح البخاري»[١] من حديث أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه[٢]، وإذا أتى على قومٍ فسلَّم عليهم سلم عليهم ثلاثًا[٣].

---

(١) البخاري (حديث ٦٢٤٤).

(٢) وهذا في باب التعليم إذا كان المتعلم لم يفهم إلا بالتكرير، أو في باب التنبيه على أمر من الأمور الهامة، كما في قول النبي ﷺ: «ألا هل بلغت» (ثلاثًا).

أخرجه البخاري (٦٧٨٥) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ في حجة الوداع: «ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة..» فذكر الحديث وفيه: «فإن اللَّه قد حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت» (ثلاثًا).

بل قد يزيد الشخص على الثلاث إن احتاج الأمر إلى ذلك كما في قول النبي ﷺ: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قال الصحابة: ليته سكت.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٩): واختلف فيمن سلم ثلاثًا فظن أنه لم =

والمراد بالسلام في هذا الحديث سلام الاستئذان كما هو واضح في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**» فقال: واللَّه لتقيمن عليه ببينة، أمنكم أحدٌ سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أُبي بن كعب: واللَّه لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

هذا وقد قال بعض أهل العلم: ولو سلَّم وظن أنه لم يُسمع فتسن الإعادة، فيعيد مرة ثانية وثالثة، ولا يزيد على الثالثة.

ومن آداب الاستئذان أيضًا :

- **﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾** [النور:٢٨].

أي إن لم يأذن لك صاحب البيت في الدخول، وقال لك: ارجع، فرجوعك خير لك، لما فيه من امتثال لأمر اللَّه عز وجل، ثم إنك قد تُواجه بما تكره، أو تجد في البيت شيئًا يكره صاحب البيت اطلاعك عليه فإذا اطلعت عليه أثِمْتَ.

= يُسمع، فعن مالك له أن يزيد حتى يتحقق، وذهب الجمهور وبعض المالكية إلى أنه لا يزيد اتباعًا لظاهر الخبر، وقال المازري: اختلفوا فيما إذا ظن أنه لم يُسمع هل له أن يزيد على الثلاث؟ فقيل: لا، وقيل: نعم، وقيل: إذا كان الاستئذان بلفظ السلام لم يزد، وإن كان بغير لفظ السلام زاد.

(١) البخاري (حديث ٦٢٤٥)، ومسلم (حديث ٢١٥٣).

فللبيوت أسرار، والنفوس ليست مهيأة لاستقبال الأشخاص في كل وقت.

قد يكون صاحب البيت مغضبًا، قد يكون في ضيق وهم وحزن، قد لا يكون في البيت شيء يُكرمك به، قد يكون مريضًا... إلى غير ذلك من الأعذار المانعة لاستقبال الناس.

عليك حينئذٍ إن قيل لك: ارجع، أن ترجع، فترجع وأنت راضٍ، فهذا أمر اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ...** ﴾ [النور: ٢٨].

ولا يكن في صدرك حرج:

• فقد قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

• وقال سبحانه: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥].

والاستئذان إنما جُعل من أجل البصر، فالرجل إذا دخل بغير إذن لرأى بعض العورات التي يكره أصحاب البيت أن تُرى.

ولذلك جاءت الأوامر بغض البصر:

• قال اللَّه تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...** ﴾ [النور: ٣٠].

• وقال سبحانه: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...** ﴾ [النور: ٣١].

فإذا نظرت في بيت قوم بغير إذنهم فقد خالفت الأوامر الواردة بالاستئذان، وأيضًا ما امتثلت أمر اللَّه: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ﴾.

• وقد قال رسول الله ﷺ فيما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»[١] بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إذا دخل البصر فلا إذن**».

فلا معنى للاستئذان إذا أمكنت النظر من الدخول!

• وقد أخرج البخاري ومسلم[٢] في «صحيحيهما» من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رجلاً اطلع من جُحْرٍ في حُجَر النبي ﷺ، ومع النبي مدرى يحك به رأسه فقال: «**لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر**».

• وقال النبي ﷺ: «**لو أن امرءًا اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح**»[٣].

---

(١) البخاري «الأدب المفرد» (١٠٨٩).

(٢) البخاري (حديث ٦٢٤١)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٢/ ٢٤٣)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٣٨).

وأورد هنا ما ذكرته في كتاب «فقه التعامل بين الزوجين» مما يتعلق بهذا الموطن:

ذكرت هناك أن الله سبحانه وتعالى أرشد الأبوين إلى أدب رفيع وهو تعليم أبنائهما المميزين الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوا عليهما في هذه الأوقات الثلاثة التي هي مظنة انكشاف العورات وخلع الثياب، هي:

- من قبل صلاة الفجر.
- حين تضعون ثيابكم من الظهيرة.
- من بعد صلاة العشاء.

فالغالب أن الرجل وزوجته يتكشفان في هذه الأوقات، وهي أوقات مظنة للجماع، فأمر الأبوين أن يعلما الأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم الاستئذان عليهما في هذه الأوقات الثلاثة، فقد يدخل الولد أو تدخل البنت على أبويهما في هذه الأوقات، فيجدا الوالدين على حالة يكرها أن يُريا عليها من التكشف أو الجماع أو نحو ذلك، فيخرج الولد وتخرج البنت وقد ارتسمت في أذهانهما المناظر التي رأوها من أمهما وأبيهما فيتلوث فكرهما، ويخرج الطفل يبحث عن طريقة لتطبيق ذلك الذي رآه من أمه وأبيه، فيطبق ذلك مع جارته ومع زميلته بل ومع أخته، في بيوت =

كراهية قول المستأذن : أنا :

ويكره لك إذا استأذنت فقيل: من أنت؟ أن تقول: أنا، (دون ذكر اسمك) ولكن قل: (أنا فلان. .).

• وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: أتيت النبي ﷺ في دَيْنٍ كان على أبي فدققت الباب، فقال: «من ذا؟» فقلت: أنا، فقال: «**أنا أنا**» كأنه كرهها.

• **قلت**: وكراهية النبي ﷺ لقول: (أنا) في هذا الموطن محتملة لأمور:

أحــدها: أن كلمة: (أنا) لم يقع بهـا التعريف الكافي فاحـتيج إلى ذلك الاسم حتى لا يقع الالتباس والاشتباه.

والثــاني: أنه لم يُقـدم السلام بين يدي كلمـة: (أنا) فكان من الأولى أن يقول: السلام عليكم، أنا فلان.

= الذين لا يتحفظون، ولا يفرقون بين الأبناء في المضـاجع، طفل ينام بجوار أخته، ويرى من أمه وأبيه منظرًا مـثيرًا فكـيف يصنع مع أخته؟!! إن الشـيطان حريص على الفـساد فقـد يقوده إلى الفساد والرذيلة مع أخته.

فديننا دين نظيف يحـفظ تصورات الأطفال نظيـفة، ويحفظ عقـولهم نظيفة، ويحفظ أفـئدتهم وألسنتهم كـذلك نظيفـة، ألا فليمتـثل المسلم والمسلمة لأوامـر اللَّه عز وجل وأوامر نبـيه ﷺ، ولتتـحفظ الأم في سيـرها في البيت أمام أولادها المراهقين، فـلا تتبرج تبـرجًا زائدًا أمام بنيـها فالشيطان يزين لهم الحرام، وكذلك فليتحفظ الـوالد ولا يمشي في البيت بثياب تثير بناته، كهذا الذي يمشي بالسروال القصـير في البيت أو يمشي بالكلوت (الشورت القصيـر جدًا) داخل البيت فَيُحدِّد هذا الشورت وهذا السروال عورته أمام بناته ويقودهن ذلك إلى طريقة لا تحمد عقباها.

(١) البخاري (حديث ٦٢٥٠)، ومسلم (حديث ١٢٥٥).

الثـالث: أن كلمة (أنا) فيـها نوع من الكِبْر[١] ، كأنه قـال: أنا الذي لا أحتـاج إلى ذكر اسـمي أو نسبي، فأنا مـعروف مـشهور، نقلـه الحافظ ابن حجـر[٢] عن ابن الجوزي، وقال: وتعقـبه مغلطاي بأن هذا لا يتأتى في حق جابر في مـثل هذا المقام، وأجـيب بأنه ولو كان كـذلك فلا يمنع من تعليـمه ذلك لئلا يستمر عليه ويعتاده، واللَّه أعلم.

• **قلت (مـصـطفى)**: وهذا يجـرنا إلى شيء ألا وهو إن كـان المستـأذن معـروف الصوت وصـوته لا يلتبس بصـوت غيره ولا يشـتبه بـه فهل له أن يقول: أنا، عند استئذانه؟!!

ظاهر الحديثُ يفيد الكراهية، لكن للقول الآخر القائل بالجواز وجه أيضًا، واللَّه أعلم.

* * *

(١) وليس هذا على إطلاقـه، وكـذلك قول العـامة عـند قولهم: (أنا) أعـوذ باللَّه من كلمـة (أنا) فمحمل هذا إذا كـان الشخص رأى في نفسه الكبر، والعجب، أما في حـالة عدم وجود الكبر والعجب، فلا بأس بقول أنا، وقد قال النبي ﷺ:

« أنا النبي لا كـذب أنا ابن عبد المطلب »

مسلم (١٧٧٦)، والبخاري (٢٣١٧).

وقال النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» مسلم (حديث ٢٢٧٨).

وقال عليٌّ رضي اللَّه عنه: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة» مسلم (ص ١٤٤١).

وقال سلمة بن الأكوع: «خذها وأنا ابن الأكوع» (ص ١٤٣٦).

وفي الباب أحاديث وآثار أخر.

(٢) «فتح الباري» (١١/٣٨).

صورة للاستئذان :

• أخرج أبو داود[١] في «سننه» بإسناد صحيح عن ربعي قال: حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «**اخرج إلى هذا فعلِّمه الاستئذان فقال: قل له: قل: السلام عليكم أأدخل؟**» فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل.

وفي «مسند الإمام أحمد» بإسناد حسن[٢] إلى كلدة بن الحنبل أن صفوان ابن أمية بعثه في الفتح بلبأ[٣] وجداية[٤] وضغابيس[٥] والنبي ﷺ بأعلى الوادي قال: فدخلت عليه ولم أسلِّم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: «**ارجع فقل: السلام عليكم أدخل؟**».

ومن آداب الاستئذان أيضًا ألا تستقبل الباب بوجهك :

• فقد ورد[٦] عن عبد اللَّه بن بسر صاحب النبي ﷺ «أن النبي ﷺ إذا أتى بابًا يريد أن يستأذن لم يستقبله جاء يمينًا وشمالاً فإن أذن له وإلا انصرف».

---

(١) أبو داود (٥/ ٣٦٩).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٣/ ٤١٤).

(٣) هو ما يأتي من البقرة أو الجاموسة بعد الولادة من اللبن.

(٤) الجداية: من أولاد الظباء ما بلغ ستة أشهر أو سبعة.

(٥) الضغابيس: صغر القثاء.

(٦) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٥١٣ رقم ١٠٧٨) بإسناد صحيح لشواهده، وله شاهد عند أبي داود من طريق طلحة عن هزيل قال: جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن فقام على الباب، وفي رواية: مستقبل الباب ـ فقال له النبي ﷺ: «هكذا عنك أو هكذا، فإنما الاستئذان من النظر»، أبو داود (٥/ ٣٦٧).

وهل رسول الرجل إلى الرجل إذنه ؟!

بمعنى إذا أرسلت رجلاً يستدعي لك آخـر، فهل يلزم إذا جاء الآخر عنده أن يستأذن أم أن إرسالك إليه للحضور يُعدُّ إذنًا له في الدخول؟!!

الذي يظهر لي من ذلك والله تعالى أعلم، أن الحكم يختلف باختلاف المقام:

فإذا أرسلت رجلاً إلى آخر كي يحضره وطالت مـدة إحضاره وتأخر فعليه أن يستأذن فقد تكون حالة المرسل تغيرت ووضعه اختلف، أما إذا كان المرسل أرسل شخـصًا إلى آخر وأحـضره في الحال فـهذا، والله أعلم لا يلزم مـعه جديد استئذان.

اللهم إلا إذا كان الوضع يحتاج إلى استئذان أيضًا، فالمسألة تقدر بقدرها.

وكذلك مكان المُرسِل وهل هو جالس في بيتـه أم في مجلس عام للقضاء؟ كل ذلك يدخل في الاعتبار، وقد جاءت الأدلة تُفيد ما قررته، والله أعلم.

وها هي بعض الأدلة على ذلك:

● قال الله تبـارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النور: ٢٧].

● وقال النبي ﷺ: «**رسول الرجل إلى الرجل إذنه**»[1].

● وفي «صحيـح البخاري»[2] من حديث أبي هريرة رضـي الله عنه قال: دخلت مع رسول الله ﷺ فوجد لبنًا في قدحٍ فقال: «**أبا هِر، الحق أهل الصُّفة فادعهم إليَّ**»، قال: فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فدخلوا!!

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ٣٧٦) وإسناده صحيح.
(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ٣١).

وإياك أن تستمع إلى حديث قوم وهم يكرهون استماعك أو يفرون منك :

• أخرج البخاري[١] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من تحلَّم بحلم لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قومٍ وهم له كارهون أو يفرون منه صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة**[٢]**، ومن صوَّر صورةً عُذِّب وكلِّف أن ينفخ وليس بنافخ**».

وإذا دعاك شخص إلى بيته فذهبت وصحبك أقوام فاستأذن لهم من صاحب البيت، فقد يكون في حاجة إليك في أمر خاص، أو تكون ظروفه في البيت لا تسمح باستقبال أكثر من شخص أو تكون نفسياته لا تتحمل أو غير ذلك.

فعليك حينئذٍ أن تستأذن إذا صحبك شخص إلى بيت من دعاك، كما فعل الرسول ﷺ إذ قال لمن دعاه: «**إن هذا قد تبعنا فإن شئت أذنت له وإلا رجع**»:

• أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي اللَّه عنه قال: كان رجل من الأنصار، يُقال له: أبو شُعْيب، وكان له غلامٌ لحَّامٌ[٤] فرأى رسول اللَّه ﷺ فعرف في وجهه الجُوع فقال لغُلامه: ويحك! اصنع لنا طعامًا لخمسة نفر فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة، قال: فصنع، ثم أتى النبيَّ ﷺ فدعاه خامس خمسة واتَّبَعَهم رجل فلما بلغ البابَ قال

(١) البخاري (مع الفتح ١٢/٤٢٧)، وأشار البخاري إلى اختلاف وقع في سند هذا الحديث فبعض الرواة جعله من حديث ابن عباس، وبعضهم جعله من حديث أبي هريرة، انظر «المنتخب» لعبد ابن حميد (بتحقيقي حديث ٥٩٩).

(٢) وهذا له فقه متسع يأتي في محله إن شاء اللَّه.

(٣) البخاري (حديث ٥٤٦١)، ومسلم (حديث ٢٠٣٦).

(٤) لحَّام: أي يبيع اللحم.

النبي ﷺ: «**إن هذا اتَّبعنا، فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع**» قال: لا بل آذن له يا رسول اللَّه!.

• وأخرج مسلم في «صحيحه»[1] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن جارًا، لرسول اللَّه ﷺ فارسيًا كان طيِّب المرق فصنع لرسول اللَّه ﷺ ثم جاء يدعوه فقال: «**وهذه؟**» لعائشة فقال: لا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا**»، فعاد يدعوه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وهذه؟**» قال: لا، قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا**» ثم عاد يدعوه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وهذه؟**» قال: نعم، في الثالثة، فقاما يتدافعان[2] حتى أتيا منزله.

لكن إذا كان لك دلالٌ على الداعي الذي دعاك، وتعرف من ظروف بيته ومن أخلاقياته أنه لا يتضايق من مجيئك بأضياف، فلك في هذه الحالة أن تصطحب الأضياف وإن لم تستأذن، دل على ذلك ما فعله الرسول ﷺ لما دعاه أبو طلحة، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «**قوموا إلى أبي طلحة**»:

• ففي «الصحيحين»[3] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال أبو طلحة لأمِّ سُلَيم: قد سمعتُ صوتَ رسول اللَّه ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوعَ، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير: ثم أخذت خمارًا لها فلفَّت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي، وردتني[4] ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول اللَّه ﷺ قال: فذهبتُ به فوجدتُ رسول اللَّه ﷺ

(١) مسلم (حديث ٢٠٣٧).
(٢) أي يمشي كل واحدٍ منهما في إثر صاحبه.
(٣) البخاري (حديث ٥٣٨١)، ومسلم (حديث ٢٠٤٠).
(٤) ردتني: أي جعلت بعضه رداءً على رأسي.

جالسًا في المسجد ومعه الناسُ فقمتُ عليهم فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أرسلك أبو طلحة؟**» فقلت: نعم، فقال: «**ألِطَعَامٍ؟**» فقلتُ: نعم، فقال رسول اللَّه ﷺ لمن معه: «**قوموا**» قال: فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أم سُليم! قد جاء رسول اللَّه ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نُطْعمهم، فقالت: اللَّهُ ورسوله أعلم، قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول اللَّه ﷺ فأقبل رسول اللَّه ﷺ معه حتى دخلا فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هَلُمِّي، ما عندك يا أم سليم!**» فأتتْ بذلك الخُبْز، فأمر به رسول اللَّه ﷺ فَفُتَّ، وعصرت عليه أم سليم عُكَّة[1] لها فأدمته[2] ثم قال فيه رسول اللَّه ﷺ ما شاء اللَّه أن يقول ثم قال: «**ائذن لعشرة**» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**» حتى أكل القومُ كلُّهم وشبعوا، والقومُ سبعون رجلاً أو ثمانون.

● وفي «صحيح مسلم»[3] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: لما حُفر الخندقُ رأيت برسول اللَّه ﷺ خمصًا[4] فانكفأت[5] إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول اللَّه ﷺ خمصًا شديدًا فأخرجت لي جرابًا[6] فيه صاع من شعير ولنا بُهيمةٌ[7] داجن[8] قال: فذبحتها

---

(١) العكة: وعاء صغير من جلد للسمن خاصة.

(٢) آدمته وأدمته: أي جعلت فيه إدامًا، وهو الطعام الذي يؤكل مع الخبز.

(٣) مسلم (حديث ٢٠٣٩). (٤) الخمص: خلاء البطن من الطعام.

(٥) انكفأت: أي رجعت.

(٦) جراب: هو وعاء من جلد.

(٧) بهيمة: تصغير بهمة، وهي الصغير من أولاد الضأن، قال الجوهري: وتطلق على الذكر والأنثى كالشاة والسخلة الصغيرة من أولاد المعز.

(٨) داجن: الداجن ما ألف البيوت.

وطحنتْ ففرغتْ إلى فـراغي، فقطّعتها في بُرْمتـها ثم ولّيتُ إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت: لا تفـضحني برسول اللَّه ﷺ ومن معه، قال: فجـئته فساررته فقلتُ: يا رسول اللَّه ﷺ! إنا قد ذبحنا بُهَيْمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت في نفر معك، فصاح رسول اللَّه ﷺ وقال: **«يا أهـل الخندق! إن جابرًا قد صنع لكم سُورًا[(١)]، فحيلا[(٢)] بكم»** وقال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تنزلُنَّ بُرْمتكم ولا تخبـزُنَّ عجينتكم، حتى أجيءَ»** فجئت وجـاء رسول اللَّه ﷺ يقدم الناسَ حتى جئت امرأتي فقالتْ: بك، وبك[(٣)]، فقلتُ: قد فعلت الذي قلـتِ لي[(٤)] فأخرجت له عجينتنا فبصـق فيها وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: **«ادْعي خابزة فلتخبـزْ معكِ،واقدحي من برمتكم[(٥)] ولا تنـزلوهـا»** وهم ألفٌ، فأُقسم باللَّه! لأكلوا حـتى تركوه وانحرفوا[(٦)] وإن برمـتنا لتَـغِطُّ[(٧)] كما هي، وإن عجـينتنا ـ أو كما قال الضحاك ـ لتُخْـبَزُ كما هو[(٨)].

---

(١) سورًا: بضم السين وإسـكان الواو، غير مـهموز، هو الطعـام الذي يدعى إليه، وقـيل: الطعام مطلقًا، وهي لفظة فارسية.

(٢) فحيـهلا: بتنوين هلا، وقيل: بلا تنوين، على وزن علا، ومعـنى حيهل، عليك بكذا، أو ادع بكذا، هكذا قاله أبو عبيد وغيره، قيل: معناه أعجل به، وقال الهروي: معناه هات وعجل به.

(٣) بك وبك: أي ذمتـه ودعت عليه، وقيل: معناه بك تلحق الفـضيحة وبك يتـعلق الذم، وقيل: معناه جرى هذا برأيك وسوء نظرك وتسببك.

(٤) قد فعلت الذي قلت لي: معناه أني أخبرت النبي ﷺ بما عندنا، فهو أعلم بالمصلحة.

(٥) واقدحي برمتكم: أي اغرفي، والمقدح المغرفة يقال: قدحت المرق أقدحه غرفه.

(٦) تركوه وانحرفوا: أي شبعوا وانصرفوا.

(٧) فتغط: أي تغلي ويسمع غليانها.

(٨) كما هو: يعود إلى العجين.

● وإذا علمت من حال صاحب البيت أن ظـروفه لا تسمح، وإمكانياته لا تساعـده لاستقـبال آخـرين معك فلا تحـرجه أصلاً، وكـذلك إذا علمت أنه يريدك في مسألة خاصة.

وإذا دخل الشخص بيتًا بعد أن استـأذن، هل له أن يتجول ببصره في البيت هنا وهناك، وأن يقلب في هذا، ويفتش في هذا، أم أنه يسكن في مكانه ؟

في هذه المسألة تفصيل، حاصله، والـلَّه أعلم: أن من البيوت ما قد هُيئ وأُعدَّ للأضياف، ولا يتحرج صـاحب هذا البيت من اطلاع الأضياف على ما فيـه والنظر إلى مـا قد حـواه، ومن البيـوت بيوت لم تهـيئ ولم تُعد لـهذا وصاحـبهـا يكره من الداخل أن يتجـول ببصره هنا وهناك أو يـفتش في هذا وذاك.

فعلى الشخص حينئذ أن ينظر إلى طبيـعة البيت الذي دخله، وإلى سجية الأشخاص الذين استضافوه، وهل هناك عورات ستكتشف.

● وها هو عـمر رضي اللَّه عنه قـد اسـتأذن ودخل على رسـول اللَّه ﷺ قال: فدخلت فسلمت على رسول اللَّه ﷺ فإذا هو متكئ على رملِ حصير قد أثر في جنبـه فقلت: يا رسـول اللَّه، أطلقت نساءك؟! فـرفع رأسه إليَّ، وقـال: «لا»؛ فقلت: اللَّه أكبر . . فذكر الحـديث وفيه: فقلت: أستأنس يا رسول اللَّه؟! قال: «نعم»؛ فجلست فرفعت رأسي في البيت فواللَّه ما رأيت فيه شيئًا يرد البصر إلا أُهبًا ثلاثة فقلت: ادع اللَّه يا رسول اللَّه أن يوسِّع على أمتك فقد وسَّع على فارس والروم وهم لا يعبدون اللَّه . . . الحديث[1].

---

(1) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٦٨)، ومسلم (ص١١١٢ ـ ١١١٣) واللفظ له.

ويشرع الاستئذان على الأم وعلى الأخت، وكذلك على البنت أيضًا خشية أن تراهما عريانتين فيسوؤهما ذلك، وقد تحدثك نفسك بالسوء، والعياذ بالله، ويتشوش عليك فكرك ويتسلط عليك شيطانك.

• ومن ثمَّ أخرج البخاري في «الأدب المفرد»[١] بإسناد صحيح عن عطاء قال: سألت ابن عباس فقلت: أستأذن على أختي؟ قال: نعم، فأعدت فقلت: أختان في حجري وأنا أمونهما وأنفق عليهما أستأذن عليهما؟! قال: نعم أتحب أن تراهما عريانتين؟! ثم قرأ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ**﴾ [النور: ٥٨].

قال: فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث.

• قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [النور: ٥٩].

قال ابن عباس: فالإذن واجب على الناس كلهم

• وأخرج البخاري[٢] في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح عن علقمة قال: جاء رجل إلى عبد الله قال: أأستأذن على أمي؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها.

---

(١) البخاري «الأدب المفرد» (حديث ١٠٦٣).

(٢) البخاري «الأدب المفرد» (حديث ١٠٥٩).

• وعنده أيضًا[1] بإسناد صحيح عن مسلم بن نذير قال: سأل رجل حذيفة فقال: أستأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره.

* * *

(1) البخاري «الأدب المفرد» (حديث ١٠٦٠)، وقد صحح أسانيد هذه الآثار الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (١١/٢٧).

• إكرام الضيف •

وإكرام الضيف من جميل الخصال، وكريم الفعال، ومن أخلاق الأنبياءعليهم السلام، والبخل من مساوئ الأخلاق وذميم الصفات، ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون، واعلم أن: ﴿**اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً** ﴿٣٦﴾ **الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧].

إكرام الضيف خصلة كريمة تحلَّى بها الأنبياء وحثَّ عليها المرسلون، وتخلَّق بها المؤمنون، وخاصة إذا كان هذا الإكرام ابتغاء وجه اللَّه ورجاء ما عنده وامتثالاً لأمره واتباعًا لهدي رسله عليهم الصلاة والسلام.

هذا هو الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أتاه أضيافه فراغ إلى أهله فجاء بعجلٍ حنيذ[1]:

• قال اللَّه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ** ﴿٦٩﴾ **فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ** ﴿٧٠﴾ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾ [هود: ٦٩ - ٧١].

• وقال اللَّه سبحانه: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ** ﴿٢٤﴾ **إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ** ﴿٢٥﴾ **فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ** ﴿٢٦﴾ **فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ** ﴿٢٧﴾ **فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ** ﴿٢٨﴾ **فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ**

---

(١) وستأتي بعض آداب الضيافة المستنبطة من هذه الآيات قريبًا إن شاء اللَّه.

عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٣١].

وها هو الخليل ينصح ولده إسماعيل عليهما السلام بفراق زوجته لما وجدها ساخطةً بخيلةً غير محسنة لاستقبال الأضياف:

● ففي «الصحيح»[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتقفي أثرها على سارة... فذكرت الحديث وفيه: وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا في جهدٍ وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها.

● **ويوسف الصديق عليه الصلاة والسلام يقول لإخوته:** ﴿أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:٥٩].

وقوله: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:٥٩] أي: خير من أكرم الأضياف وأحسن إليهم، وأجلسهم أحسن المجالس، وأطعمهم أحسن الطعام.

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٦٤).

● **ولـوطٌ ﷺ** يغتم غمًّا شديدًا للمكروه الذي يراه سيصيب الأضياف، فيقول لقومه: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**﴾ [هود: ٧٨].

بل وانظر إليه وهو يعرض على القوم أن يتزوجوا ببناته حماية لجناب الأضياف وحفاظًا عليهم فيقول لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ...**﴾ [هود: ٧٨].

ونبينا ﷺ كذلك يكرم الأضياف قبل البعثة وبعدها:

فقد جُبل رسول اللَّه ﷺ على هذه الخصلة الطيبة أيضًا فتصفُهُ أم المؤمنين خديجة رضي اللَّه عنها لما رجع إليها وقد جاءه الوحي بحراء ـ فتقول: كلا واللَّه ما يخزيك اللَّه أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، **وتقري الضيف**، وتعين على نوائب الحق[1].

وصاحبه أبو بكر كذلك:

وأبو بكر الصديق لما خرج مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدَّغِنة ـ وهو سيدُ القارة ـ فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ، إنك تَكْسِبُ المعدوم وتَصِلُ الرحم وتحمل الكلَّ **وتقري الضيف** وتُعين على نوائب الحق.. الحديث[2].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣)، ومسلم (حديث ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣٩٠٥).

ويحث نبينا محمد ﷺ على إكرام الضيف :

• ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه**[2]**، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

• وفيهما[3] أيضًا من حديث أبي شريح العدوي رضي اللَّه عنه قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلَّم النبي ﷺ فقال: «**من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**»، قيل: وما جائزته يا رسول اللَّه؟ قال: «**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقةٌ عليك**[4]**، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

• وقال النبي ﷺ لعبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما: «**... وإن لزورك**[5] **عليك حقًا..**»[6].

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠١٨) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٧).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى «فتح الباري» (١٠/ ٤٦٠) طبعة الريان: ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحبًا، ويجمع الجميع على أنه من مكارم الأخلاق.

(٣) البخاري (٦٠١٩) وفي عدة مواطن من «صحيحه»، ومسلم (حديث ٤٨) (ص ١٣٥٢).

(٤) نقل الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه «فتح الباري» (١٠/٥٤٩) عن الخطابي قوله: معناه أنه إذا نزل به الضيف أن يُتحفه ويزيده في البرّ على ما بحضرته يومًا وليلةً، وفي اليومين الأخيرين يُقدم له ما يحضره، فإذا مضى الثلاث فقد قضى حقه فما زاد عليها مما يقدمه له يكون صدقة.

(٥) الزور: هو الضيف، يُقال: هؤلاء زور.

(٦) الحديث أخرجه البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

• ويقرُّ النبي ﷺ سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: «**وإن لضيفك عليك حقًا**»(١).

• وأخرج أحمد(٢) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: خطب رسول اللَّه ﷺ يوم تبوك فقال: «**ما من الناس مثل رجلٍ آخذ بعنان فرسه فيجاهد في سبيل اللَّه ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل بادٍ في غنمه يقري ضيفه، ويؤدي حقه**».

واقرأ هذا الحديث فلعلك تنتفع به:

• أخرج مسلم(٣) في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تَعُدْني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟! أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي**».

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٣) بإسناد صحيح من حديث أبي جحيفة رضي اللَّه عنه وفيه أن سلمان قال لأبي الدرداء رضي اللَّه عنهما: إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولضيفك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك فقال له: «صدق سلمان».

وأصل الحديث عند البخاري (بدون ذكر الضيف) (حديث ١٩٦٨ و٦١٣٩).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٣١١).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٩).

وانظر إلى هذا المثل الرائع من أمثلة الإيثار والكرم :

● أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهودٌ، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أُخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماءٌ، فقال: **«من يُضيفُ هذا الليلة، رحمه الله»** فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيءٌ؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيءٍ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيفُ، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: **«قد عجب اللهُ من صنيعكما بضيفكما الليلة»**.

وإلى هذا المثل أيضًا :

● أخرج البخاري[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت ألزم النبيَّ ﷺ لشبع بطني، حينَ لا آكلُ الخمير، ولا ألبسُ الحرير، ولا يخدُمني فلانٌ ولا فلانة، وألصقُ بطني بالحصباء؛ وأستقرئ الرجل الآية - وهي معي - كي ينقلبَ بي فيطعمني، وخيرُ الناس للمساكين جعفرُ بن أبي طالب:

---

(1) أخرجه البخاري (حديث ٤٨٨٩)، ومسلم (حديث ٢٠٥٤).
هذا الرجل هو أبو طلحة رضي الله عنه كما في رواية مسلم.
قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦٣٢) في حديث أنس عند ابن أبي الدنيا (فجعل يتلمظ وتتلمظ هي حتى رأى الضيف أنهما يأكلان).

(2) البخاري (حديث ٥٤٣٢).

يَنقلبُ بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرجُ إلينا العُكة[1] ليس فيها شيء، فنشتقها، فنلعق ما فيها».

وإكرامك **للأضياف يجلب لك محبة اللَّه سبحانه وتعالى**؛ لامتثالك أمره وطاعتك لرسله عليهم الصلاة والسلام، ثم هو أيضًا يجلب لك محبة المخلوقين، وثناءً حسنًا عطرًا فيهم، ولا تظن أن إكرامك للضيف سيسبب لك الفقر، وسيذهب بمالك، ولكن احتسب الأجر والثواب عند اللَّه، وأيقن بقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩].

فلا تخشَ من فقرٍ ولا تَتَحرج من ضيف فالبركة من اللَّه سبحانه، وطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية[2]، كما قال رسول اللَّه ﷺ.

وانظر إلى هذه القصة وتبين ما فيها من خير وبركة:

● أخرج البخاري ومسلم[3] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول اللَّه ﷺ ضعيفًا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيءٍ؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعيرٍ: ثم

---

(١) العُكَّة: وعاء من جلد يوضع فيه السمن.

(٢) بهذا السياق أخرجه مسلم (حديث ٢٠٥٩) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.

وفي «الصحيحين» البخاري (٥٣٩٢)، و مسلم (٢٠٥٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة».

(٣) البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

أخذت خمارًا لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت ثوبي، وردَّتني[1] ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول اللَّه ﷺ، قال: فذهبت به فوجدت رسول اللَّه ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«أرسلك أبو طلحة؟»** قال: فقلت: نعم، فقال: **«ألِطَعَامٍ؟»** فقلتُ: نعم، فقال رسول اللَّه ﷺ لمن معه: **«قوموا»** قال: فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أم سُليم! قد جاء رسول اللَّه ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نُطْعِمهم، فقالت: اللَّهُ ورسوله أعلم، قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول اللَّه ﷺ فأقبل رسول اللَّه ﷺ معه حتى دخلا فقال رسول اللَّه ﷺ: **«هَلُمِّي، ما عندك يا أم سليم!»** فأتتْ بذلك الخُبْز، فأمر به رسول اللَّه ﷺ فَفُت، وعصرت عليه أم سليم عُكَّة[2] لها فأدمته[3] ثم قال فيه رسول اللَّه ﷺ، ما شاء اللَّه أن يقول ثم قال: **«ائذن لعشرة»** فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: **«ائذن لعشرة»** حتى أكل القومُ كلُّهم وشبعوا، والقومُ سبعون رجلاً أو ثمانون.

والنفس مجبولة على كراهية من لم يكرمها ولم يحسن إليها :

فهذا كليم اللَّه موسى عليه السلام لما نزل هو والخضر قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، قال موسى عليه السلام للخضر لما أقام الجدار بلا أجر من أهل القرية البخلاء: ﴿**لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ [الكهف:٧٧] فهذا جزاء البخيل! لا يكرم الناس فلا يُكْرَمَ هو الآخر.

(١) ردتني ببعضه أي: غطتني ببعضه (أي: جلعت بعضه رداءً لي).

(٢) العكة: وعاء صغير من جلد يوضع فيه السمن.

(٣) أدمته: أي: جعلت فيه إدامًا.

وقد يقـول قائل: إن الخضـر بنى الجدار مع بخل أهل القـرية عليه وعلى موسى! فنجيب إن بناء الخـضر الجدار فيه منع لهؤلاء البـخلاء من مال كانوا سيـستحـوذون عليه، فقـد كان تحت الجدار مـالٌ لأيتام سيـسطو عليه هؤلاء البخلاء إذا لم يبن الجدار كما قال الخضر: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف: ٨٢].

وحتى الضيف الكافر له حق:

● وذلك لأن أحاديث النبي ﷺ المذكورة من قبل كحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**». . إلى غير ذلك من الأحاديث، ليس فيها التقييد بكون الضيف مسلمًا، بل فيها الإطلاق، وقال عليه الصلاة والسلام: «**في كل كبد رطبة أجر**»[١].

أما حديث: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[٢] فابتداء في إسناد هذا الحديث ـ عندي ـ ضعف.

وعلى فرض تحسينه فـهو محمول على طول الملازمة، فالمصاحـبة تقتضي طول الملازمة، فـلا ينبغي أن تكثر من مجـالسة الفجار ولا الكـفار والأشرار ولا ينبغي أن يكونوا من بطانتك ولا من خاصتك، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ**﴾ [آل عمـران: ١١٨] أي: لا تتخذوا مسـتشارين ولا أصدقاءً ولا أحبـابًا من غيركم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٥)، وأحمد (٣/٣٨)، وغيرهم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا، وفي إسناده ضعف، وله طرق أخرى ضعيفة أيضًا.

تفشون إليهم بأسـراركم وتستشيرونهم في أموركم وتبتغـون عندهم النصحية فـإنهم: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾، أي: لا يُقصِّرون في إغـوائكم وإضلالكم ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾، أي: رغبوا وأحبوا نزول المشقة والعسر بكم.

وقد حـمل بعض أهل العلم قـول النبي ﷺ : **«.. ولا يأكل طعـامك إلا تقـي»** - في حال صحته - على طـعام الوليمة والدعوة[1] دون طعام الحاجة، وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا**﴾ [الإنسان: ٨، ٩]، والأسير إنما يكون من الكفار.

● هذا وقد أخرج مسلم[2] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: إن رسـول اللَّه ﷺ ضافهُ ضَيْفٌ، وهو كافـرٌ، فأمر له رسول اللَّه ﷺ بشاةٍ فحلبت، فشرب حلابها، ثم أُخرى فشربهُ، ثم أُخرى فشربهُ، حتى شرب سبع شياهٍ، ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول اللَّه ﷺ بشاةٍ فشرب حلابها، ثم أمر بأُخرى فلم يستتمها، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«المؤمن يشـرب في معىً واحدٍ، والكافر يشرب في سبعة أمعاءٍ»**.

---

(١) وسيأتي لذلك مـزيدٌ إن شاء اللَّه، وحتى طعام الدعوة إن كان يقـصد به تأليف القلوب والدعوة إلى الخير والبر والإسـلام فلا بأس بإطعام الكافر منه، بل ويستحب في مـثل ذلك إطعامه واللَّه أعلم.

(٢) مـسلم (حـديث ٢٠٦٣)، وانظر البـخـاري (٥٣٩٣، ٥٣٩٤، ٥٣٩٥، ٥٣٩٦)، ومـسلم (٢٠٦٠، ٢٠٦١، ٢٠٦٢، ٢٠٦٤)، ففي هذه الطرق قول رسول اللَّه ﷺ: «المؤمن يأكل في معىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاءٍ».

ولك أن تقبل دعوة الكافر إذا دعاك لطعام وذلك لأن النبي ﷺ دعته يهودية إلى طعام فقبل النبي ﷺ دعوتها[1].

وانظر إلى عظيم حق الضيف في هذه الأحاديث :

• أخرج البخاري[2] من حديث عقبة بن عامر قال: قلنا للنبي ﷺ إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يَقْرُوننا فـما ترى فيه؟ فقال لنا: «**إن نزلتم بقومٍ فـأُمِرَ لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف**».

• وقد أورد البخـاري رحمه اللَّه تعالى هذا الحديـث في كتاب المظالم من «صحـيحه» مُـشيرًا بذلك ـ فـيما يبدو لـي ـ إلى أن رب البيت إذا لم يُكرم الضـيف فقـد ظلمه؛ إذ قـد أورده تحت باب قصـاص المظلوم إذا وجد مـال ظالمه.

• وأخرج أحـمد[3] بسندٍ حسن من حـديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أيما ضيف نزل بقومٍ فأصبح الضيف محرومًا فله أن يأخذ بقدر قِراه ولا حرج عليه**».

• وأخـــرج أبو داود[4] بإسناد صحيح من حديـث المقدام بن معد يكرب (أبي كريمة) رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليلة الضيف حق على كل مسلم، فمن أصبح بفنائه فهو عليه دين إن شاء اقتضى وإن شاء ترك**».

---

(١) انظر البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

(٢) البخـاري (حديث ٢٤٦١)، ومـسلم (حديث ١٧٢٧)، وقد اسـتدل بهـذا الحديث من يرى أن الضيافة واجبة، بينمـا ذهب الجمهور إلى أنها مستحبة وأنها سنة مـؤكدة، ومن حجج الجمهور على استحبابها قول النبي ﷺ: «جائزته يوم وليلة» وإعطاء الجائزة ليس بواجب فالجائزة تفضلٌ.

(٣) أحمد (٢/ ٣٨٠).

(٤) أبو داود (٣٧٥٠).

فأفادت هذه الأحاديث أن للضيف حقًا، حتى إن من لم يكرم ضيفه ويعطيه حقه فللضيف أن يأخذ منه بقدر ضيافته.

ولما نزل أصحاب رسول اللَّه ﷺ بقومٍ فلم يُقروهم ولم يكرموهم واحتاج أهل القرية من يعالج سيدهم فماذا كان؟!:

● أخرج البخاري في «صحيحه»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه: أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوْا على حيٍّ من أحياء العَرب، فلم يَقروهم، فبينما هم كذلك إذ لُدغَ سَيِّدُ أولئكَ، فقالوا: هل معكم من دَواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تَقروناً، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قَطيعًا من الشاء، فجعلَ يَقرأ بأم القرآن، ويجمعُ بزاقَهُ ويَتْفل، فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا تأخُذه حتى نسألَ النبي ﷺ، فسألوهُ، فضحكَ وقال: **«وما أدراكَ أنها رُقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم»**.

وأُخذَ من هذا الحديث أن للضيف أن يطلب من القوم قدر قِراه وأن يطلب منهم أن يضيفوه، وقد قال تعالى في شأن موسى مع الخضر عليهما السلام: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا** ﴾ [الكهف: ٧٧].

والناس مع الأضياف على قسمين:

قسم منهم تغمرهم السعادة، ويظهر عليهم أثر الفرح والسرور بمقدم الضيف عليهم، فتعلو وجوهَهم البشاشة، وينطلق من أفواههم الكلم الطيب، وتخرج عبارات الترحيب التي تنم عما في صدورهم من حب وتقدير وامتنان وترحيب.

(١) البخاري (حديث ٥٧٣٦).

فقد علم هؤلاء أن خيرًا قد ساقه اللَّه إليه، فقاموا بضيافته حق قيام.

أيقن هؤلاء بحـديث النبي ﷺ: «**ما من يـوم يصبح العـباد فيـه إلا ملكان ينزلان، فيقـول أحدهما: اللَّهم أعط منفقًا خلفًـا، ويقول الآخر: اللَّهم أعط ممسكًا تلفًا**»[1].

وأيقنوا كـذلك بقوله تعـالى: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩].

فجدير بهـؤلاء أن يُكرموا هم الآخرون، وأن يُجازوا بالإحسـان إحسانًا، وأن تخـرج من الضيف كلمـات طيبـة في شأنهم ودعـوات صالحـة لهم في حضورهم وعند غيابهم فالإحسان جـزاؤه الإحسان كما قال سبحانه: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: ٦٠].

جديرٌ بالضـيف أن يصطحب معـه هدية لهم، وأن يجازيهم ولـو بكلمة: جزاكم اللَّه خيرًا.

وقسـمٌ آخر يكتئبون ويغتـمون عند حلول الضيف بهم، تنزل بهم الكربات إذا رأوا ضيفًا قادمًا، فيظهر الضيق ويبدو التبرم ويظهر الحزن على الوجوه.

وكما قال القائل:

رأيت الفـضـل مـتكئًـا	**يناغي الخـبـز والسـمكا**
فـقـطب حين أبصـرني	**ونكـس رأسـه وبكـى**
فـلمـا أن حلـفت لـه	**بأنـي صـائم ضـحكا**

وقال آخر:

إن كنت تطمع في كـلامه	**فـارفع يمينك عن طعـامه**
سيـان كَسـر رغيـفُـهُ	**أو كَسرَ عظم من عظامه**

فنعوذ باللَّه من البخل، ونعوذ باللَّه من البخلاء.

فلا تكن يا عبد اللَّه محشورًا في عداد هؤلاء البخلاء.

هل يليق بك أن يقال عنك: بخيل؟! هل ترضى بهذا الوصف؟!

قد لا تبالي بكلام الناس، ولكن هل أنت محمود عند اللَّه مع بخلك؟!

هل أنت ممتثل أمر رسول اللَّه ﷺ وأنت شحيح بخيل؟!

كلا، فإن اللَّه عز وجل يقول: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التغابن: ١٦].

وقال أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه[١]: «وأي داء أدوى من البخل».

وقد ورد أن النبي ﷺ قد قال ذلك أيضًا، وسيأتي إن شاء اللَّه.

فحقيقٌ بهذه الخصلة أن تتفشى بين المؤمنين، وجديرٌ بها أن تنتشر في أوساط الصالحين لما لها من عظيم الأثر في توطيد أواصر المحبة بين المؤمنين وتدعيم العلاقات بينهم.

فهنيئًا له من أكرم الأضياف، وأطعمهم، وقابلهم بالبشاشة، والابتسامات قال النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[٢].

هنيئًا له من أدخل السرور على أضيافه، فخرجوا من عنده مثنين عليه وعلى أهله، وداعين له ولأهله بالبركة وسعة الأرزاق قائلين لهم: «**اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم**».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٣)، وأحمد (٣/٣٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

قائلين لهم: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة**».

هنيئًا له من جاد بما عنده، وأعطى مما وسع اللَّه عليه بنفس طيبة وبنفس سعيدة منشرحة لامتثالها أمر اللَّه بإكرام الضيف!!

● ولكن، كما قال اللَّه تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾

[الطلاق: ٧].

إذن فلا يتحرج الفقير من مجيء ضيف إليه وحلول إخوانه به: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

● فليكرم الضيف بما تيسر، وقد قال النبي ﷺ: «**لو دعيت إلى ذراع أو كُراع لأجبت، ولو أُهدي إليَّ ذراعٌ أو كراعٌ لقبلت**»[(١)].

● وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تحقرن جارة جارتها ولو فِرْسن شاة**»[(٢)].

فالإكرام بما تيسر، والجود بالموجود.

إكرامٌ بلا إسراف، وجودٌ بلا تَبْذير.

مع حسن خلق، وطلاقة وجه، وبشاشة وابتسامة في كل الأحوال.

---

(١) البخاري (حديث ٢٥٦٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا بلفظ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة جارتها ولو فرسن شاة..».

توديعٌ مع كلماتٍ طيبة وعبارات تدل على المحبة والصفاء :

خطوات قليلة تمشيها مع ضيفك مودعًا له ومُشعرًا إياه بحفاوتك به واهتمامك من أجله، هذه الخطوات لا تعلم مدى تأثيرها على أخيك وضيفك! كلمات التوديع لها وقع جميل وأثر طيب على قلب أخيك المسلم!

* * *

• مزيدٌ من فقه الضيافة وآدابها •

هل الضيافة واجبة ؟

بالنسبة لما يتعلق بوجوب الضيافة من عدمه:

فابتـداءً أجمع العلـماء على إن إكرام الـضيف من مكارم الأخـلاق، وقد قدمنا ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في ذلك.

ثم اختلفوا في وجوب ذلك من عدمه:

فذهب جمـهور العلماء[1] إلى أن الضيافة مستـحبة وليست بواجبة، ومن أدلتهم على عدم الـوجوب قول النبي ﷺ: «**من كان يؤمن باللَّه واليـوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته**»، قيل: وما جائزته يا رسول اللَّه؟ قال: «**يوم وليلة...**».

قالوا: (أي الذين ذهبوا إلى عدم الوجوب)، والجائزة (وهي العطية والهبة والصلة) ليست بواجبة، فكما أن الجائزة ليست بواجبة فكذلك الضيافة ليست بواجبة.

واستـدلوا أيضًا باقتـران إكرام الضيف بـإكرام الجار في الحـديث فكما أن إكـرام الجار ليس بواجب عندهم، فكذلـك إكرام الضـيف ليس بواجب عند عامـة أهل العلم، لقوله ﷺ: «**الضيافة ثلاثة أيام، وجـائزته يوم وليلة فما كان وراء ذلك فـهـو صـدقـة**» والجائزة الـعطية والصلة التي أصلهـا على الندب، (القرطبي ٩/ ٤٣).

---

(١) قال القرطبي رحمه اللَّه: وليست (أي الضيافة).

أما الذين قالوا بالوجوب فاستدلوا بالأحاديث التي قدمنا ذكرها كحديث: **«من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**[(١)].

● وقول النبي ﷺ: **«وإن لزورك عليك حقًا»**[(٢)].

● وقول سلمان لأبي الدرداء رضي اللَّه عنهما: «وإن لضيفك عليك حقًا»[(٣)].

● وما أخرجه البخاري من حديث عقبة بن عامر وفيه: **«إن نزلتم بقوم فأُمِرَ لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف»**[(٤)].

● وبحديث المقدام بن معد يكرب رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ: **«ليلة الضيف حق على كل مسلم، فمن أصبح بفنائه فهو عليه دين إن شاء اقتضى وإن شاء ترك»**[(٥)].

● ونحوه حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه: **«أيما ضيف نزل بقوم فأصبح الضيف محرومًا فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه»**[(٦)].

● هذا، وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه تعالى قولاً موجزاً جامعًا في ذلك وقد قدمناه فقال: ثم الأمر بالإكرام يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون فرض عين، وقد يكون فرض كفاية، وقد يكون مستحبًا.

* * *

(١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦) كلها صحيحة، وقد تقدمت.

• مسألة التكلف للضيف •

تقدم شيء مما يتعلق بهذه المسألة، وهذا مزيد بيان، وباللَّه التوفيق: وردت في هذه المسألة جملة من الأدلة التي يمكن الاستدلال بها:

• من ذلك قوله تعالى في شأن خليله إبراهيم لما أتاه الأضياف: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:٦٩]

• وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه في قصة ذهاب رسول اللَّه ﷺ وأبي بكر وعمر إلى بيت الأنصاري، ففيه أن

---

(١) مسلم (حديث ٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: خرج رسول اللَّه ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول اللَّه، قال: «وأنا والذي نفسي بيده! أخرجني الذي أخرجكما، قوموا» فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلا، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «أين فلانٌ؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد للَّه، ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافًا مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذقٍ[١] فيه بسرٌ وتمرٌ ورطبٌ، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدية[٢]، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «إياك! والحلوب»[٣] فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم[٤] يوم القيامة! أخرجكم من بيوتكم الجوعُ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

---

(١) العذق: هو الغصن من النخل، وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب.

(٢) المدية: هي السكين.

(٣) الحلوب: ذات اللبن، فعول بمعنى مفعول، كركوب ونظائره.

(٤) «لتسألن عن هذا النعيم» أما السؤال عن هذا النعيم، فقال القاضي عياض: المراد السؤال عن القيام بحق شكره، والذي نعتقده أن السؤال هنا، سؤال تعداد النعيم وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها. لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة.

الأنصاري انطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمرٌ ورطب فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدية، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**إياك والحلوب**» فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا.. الحديث.

ففي هذه النصوص ما يفيد أن الضيف يُفعل له ما هو خارج عن اعتياد أهل البيت، وذلك لأن الخليل عليه السلام أتى بالعجل الحنيذ من أجل الأضياف، وأبو التيهان ذبح من أجل الأضياف فلاشك أن في هذا نوعًا من التكلف، أضف إلى ذلك العمومات الواردة في الحث على إكرام الضيف التي قدمنا ذكرها.

أما ما ورد في معرض المنع، وهو حديث: «**نهي عن التكلف للضيف**» فابتداءً فهذا الحديث في أسانيده مقال[1].

ثم في حالة تحسينه عند من حسَّنوه فهو محمول على التكلف الذي هو فوق الطاقة الذي يحمل صاحبه على الاستدانة والإغراق في الديون أما ما دون ذلك فلا بأس به فهو محمود لما قدمناه.

ثم إن الأضياف يختلفون من ضيف إلى آخر، فليس الضيف الذي أتى من دولة بعيدة كالضيف الذي هو لك جار، وليس الضيف ذو القدر والعلم والوقار الذي يندر قدومه كالضيف الذي يحل بك على الدوام، ولا شك أن هذه مسائل توضع في الاعتبار، واللَّه أعلم.

---

(١) وقد أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٤٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٩٨)، وغيرهم من حديث سلمان رضي اللَّه عنه مرفوعًا، وفي أسانيده مقال، وهو عندي ليس بثابت، وقد صححه بعض العلماء منهم الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٩٢)، (٢٤٤٠) وكما أسلفت =

• الاجتماع على الطعام •

وإن شئت أن تأكل مع الأضياف أكلت، وإن شئت أن تتركهم يأكلوا وحدهم أكلوا، وإن شاءوا فرادى، وإن شاءوا أكلوا مجتمعين، وإن كان الاجتماع أقرب إلى البركة، ومن أدلة ما ذكرنا ما يلي:

• قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١].

أي مجتمعين أو متفرقين.

• وقول النبي ﷺ: «**طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة..**»[1] الحديث.

• وقد كان النبي ﷺ في كثير من الأحيان يُدخل الصحابة على الطعام عشرة عشرة[2].

أما حديث: «**اجتمعوا على طعامكم... يبارك لكم فيه**» فالراجح عندنا ضعفه.

وكما قدمنا فيجوز لك أن تقدم الطعام للضيف وتُقبل على عملك،

= ففي تصحيحه لهذا الحديث عندي نظر، وفضلاً عن ذلك فمعارضه أقوى منه، ثم إنه قد وردت في بعض طرقه زيادة، فقد روي بلفظ: «لا يتكلفن أحد للضيف ما لا يقدر عليه».

وقد بوَّب البخاري في «صحيحه» في كتاب باب صنع الطعام والتكلف للضيف وأورد فيه حديث أبي جحيفة في قصة مؤاخاة الرسول ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء وفيه فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا (أي لسلمان) (حديث ٦١٣٩) وقال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٤/ ٢١١): وأشار بذلك إلى حديث يُروى عن سلمان في النهي عن التكلف للضيف أخرجه أحمد وغيره بسندٍ لين.

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) انظر البخاري (حديث ٥٤٥٠).

ومحل هذا إذا كان الضيف لا يتأثر بذلك:

● وقد دلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال:

كنت غلامًا أمشي مع رسول اللَّه ﷺ فدخل رسول اللَّه ﷺ على غلام له خياط فأتاه بقصعة فيها طعام وعليه دباء فجعل رسول اللَّه ﷺ يتتبع الدباء، قال: فلما رأيت ذلك جعلت أجمعه بين يديه قال: فأقبل الغلام على عمله، قال أنس: لا أزال أحب الدباء بعد ما رأيت رسول اللَّه ﷺ صنع ما صنع.

وقد يكون مع الأضياف من هو يستحي، ومنهم من هو جريء فقد يأكل الجريء حق الحيي، وخاصة إن كان في الطعام نوع جيد مرغوب، فلك حينئذ أن تقسم عليهم الجيد المرغوب لكل قطعة منه:

● دلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللَّه عنهما قال:

كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائةً، فقال النبي ﷺ: **«هل مع أحد منكم طعامٌ؟»** فإذا مع رجل صاعٌ من طعامٍ أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجلٌ مشركٌ مشعانٌ[3] طويلٌ بغنمٍ يسوقها، فقال النبي ﷺ: **«أبيعٌ أم عطيةٌ** - أو قال - **أم هبةٌ؟»** فقال: لا، بل بيعٌ، فاشترى منه شاةً فصنعت، وأمر رسول اللَّه ﷺ بسواد البطن[4] أن يشوى.

---

(١) البخاري (٥٤٣٥)، ومسلم (٢٠٤١).

(٢) البخاري (حديث ٢٦١٨)، ومسلم (حديث ٢٠٥٦).

(٣) مشعان: أي منتفش الشعر ومتفرقه.

(٤) بسواد البطن: أي بالكبد.

قال: وايم اللَّه ما من الثلاثين ومائة إلا حَزَّ له رسول اللَّه ﷺ حزة[1] من سواد بطنها، إن كان شاهدًا أعطاه، وإن كان غائبًا خبأ له.

قال: وجعل قصعتين، فأكلنا منهما أجمعون، وشبعنا، وفضل في القصعتين، فحملته على البعير، أو كما قال.

* * *

(١) الحزة هي: القطعة من اللحم وغيره.

• وهذه جملة أخرى من آداب الضيافة •

ذكرها العلماء عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ..﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧١].

فمن هذه الآداب ما يلي:

تعجيل الضيافة وتقديم الطعام على وجه السرعة لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:٦٩].

أي: فما أبطأ وما تأخر بل أسرع وأتى بالعجل الحنيذ.

فلا ينبغي أن تترك الضيف يتلوى من الجوع والعطش ويزهد في مجلسك، بل قد يستأذنك للخروج من عندك، أو يخرج بلا استئذان! فعليك أن تبادر بتقديم ما تيسر عندك على وجه السرعة، ثم ما تلاه شيئًا فشيئًا إن لم يتيسر لك تقديم الجميع دفعة واحدة.

ومنها مباشرة خدمة الضيف بنفسك بتقريب الطعام له ودعوته إليه لقوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٧].

ومنها الملاطفة في الكلام لقوله: ﴿أَلا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٧].

وقد قال الصحابي الذي نزل عليه رسول الله ﷺ: ما أحد أكرم أضيافًا مني[1].

---

(١) مسلم (حديث ٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد تقدم.

ومنها تقديم أطيب وأفضل ما عندك : لقول اللَّه تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]، ولم يقل بعجل هزيل ولا ضعيف.

ومنها الاهتمام بجودة الطهي: فإبراهيم عليه السلام جاء بعجل حنيذ، أي مشوي.

ومنها اهتمام الزوجة أيضًا بأضياف زوجها: فقد قال فريق من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ [هود: ٧١].

أي: قائمة على خدمة أضياف زوجها، وعلى ذلك جملة أمثلة أخرى.

وقد كان هناك عروس تخدم أضياف زوجها على عهد رسول اللَّه ﷺ[1].

ويجوز لك أن ترسل أضيافك إلى غيرك من إخوانك المسلمين : كي يضيفوهم إذا لم يكن عندك ما تضيفهم به، أو إذا كان هناك عذرٌ آخر:

● دلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ، فقال: «**من ضيف هذا الليلة، رحمه اللَّه**» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول اللَّه، فانطلق به إلى رحله، وقد تقدم هذا الحديث مطولاً.

● وفي «الصحيحين» من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللَّه

---

(١) انظر البخاري (٥٥٩٧)، ومسلم (حديث ٢٠٠٦).

(٢) البخاري (حديث ٣٧٩٨)، ومسلم (حديث ٢٠٥٤).

عنهما: أن أصحاب الصفة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول اللَّه ﷺ قال مرة: **«من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس»**[1].

وثَم استضافات مذمومة ينبغي أن لا تقبل عليها ولا تشهدها ولا تدعو إليها:

● فلا تدعو أهل بدعة إلى طعام لإحياء بدعتهم، فإن في ذلك نوعًا من التعاون على الإثم والعدوان، وأيضًا فإن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨].

● وقال سبحانه: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾ [النساء: ١٤٠].

● وكذلك لا تدعو قومًا يتآمرون على فعل منكرٍ من المنكرات للتآمر على المنكر في بيتك.

وينبغي أن تتجمل للأضياف، وتستقبلهم في جميل الثياب وحسن المنظر:

● وقد قال عمر لرسول اللَّه ﷺ - لما رأى على رجلٍ حلةً من إستبرق - يا رسول اللَّه، اشتر هذه، فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك[2].

---

(١) البخاري (حديث ٦١٤٠ و٦١٤١)، ومسلم (حديث ٢٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٨١)، ومسلم (٢٠٦٨) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: رأى عمر على رجل حلةً من إستبرق فأتى بها النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه اشتر هذه فالبسها لوفد الناس إذا قدموا عليك فقال: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له..». =

وإذا كان بوسعك أن تهدي لضيفك هدية عند انصرافه فافعل جزاك اللَّه خيرًا.

● قال النبي ﷺ: «**أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**»[(١)].

فراش للضيف:

وينبغي أن يكون بالبيت فراشٌ استعدادًا لقدوم ضيف، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال له: «**فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف والرابع للشيطان**»[(٢)].

وأنت أيها الضيف:

لا تتحرج من ضيافة أخيك لك، فلك عند أخيك حق، وأنت اليوم ضيفٌ وغدًا مضيف إن شاء اللَّه، لا تكسر خاطر أخيك الذي تكلف لك، بل اجبر خاطره، وكُلْ مما قربه إليك، ألا ترى أن الخليل عليه السلام لما قَرَّبَ الطعام إلى الملائكة فامتنعوا عن الأكل ورأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة!!

أيها الضيف:

لا تشق على المضيف، ولا تحرجه، ولا تجرحه بألفاظ وكلمات.

خذ ما تيسر واستر ما واجهت، وسرِّي عن المضيف، ولا تثرِّب عليه.

= قلت: وإنما ردها النبي ﷺ لكونها من الحرير، ولم يرد الرسول ﷺ على عمر قوله: (فالبسها لوفد الناس).

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا.
قال النووي رحمه اللَّه تعالى: قال العلماء: هذا أمر منه ﷺ بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييبًا لنفوسهم وترغيبًا لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم.

(٢) مسلم (حديث ٢٠٨٤).

ليكن مدخلك مـدخل خيرٍ على أهل البيت، ولتكـن مفتاح خيـر عليهم فتؤنسـهم بوجودك، وتسعدهم بقدومك، ولتكن مـباركًا أينما كنت وحيـثما حللت، ويا حبذا لو أخذت هدية معك إن كـان ذلك بوسعك فقد قال ﷺ: **«تهادوا تحابوا»**[١].

● لا تُثِر الفتن بين الزوج وزوجته ولا بين الوالد وولده.

● سمِّ اللَّه عند دخولك البـيت وعند طعامك وشرابك، واحمـد اللَّه بعد فراغك، واشكر لأهل البـيت حسن ضيـافتهم، فـلا يشكر اللَّهَ من لا يشكر الناس.

● إذا طعمت فـانتشر[٢] ولا تثقل على أهل البـيت، وانظر إلى ما يجلب السعادة لأهل البيت فافعله.

● إذا تناجيت فلا تتناجَ إلا بالبر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [المجادلة: ٩].

وتذكر قول اللَّه عز وجل: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٤].

● احرص أن تغنم الخـير من البـيت، ولا تؤثِّم أهل البيت بالقـيل والقال واغتيـاب المؤمنين والمؤمنات، بل كن مُذكرًا باللَّه عز وجل ذاكـرًا له ومصليًا على نبيه محمدٍ ﷺ، حاثًا على فعل الخير، محرضًا على أبواب البر.

---

(١) حسن لشواهده، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤).

(٢) إذا كانت الدعوة لطعام فقط، أما إذا حللت من بلاد بعيدة فلك حق آخر.

● ولا تَعِب الطعام أيها الضيف، فإن النبي ﷺ ما عاب طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركه[١].

● غضَّ بصرك أيها الضيف عن النظر إلى عورات البيوت، ولا تنتهك حرماتها، فهذا أمر الله لك: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

● وانظر إلى حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم ففيه أن النبي ﷺ قال: «**لو أن امرءًا اطلع عليك بغير إذن، فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح**»[٢].

● احفظ سمعك عن استماع المحرمات، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦].

● وقال النبي ﷺ: «**من استمع إلى قومٍ وهم له كارهون أو يفرون منه، صُبَّ في أذنه الآنك يوم القيامة**»[٣].

● لا تخلو بامرأة أخيك المضيف لك ولا بإحدى محارمه، فالخلوة بالمرأة الأجنبية محرمة، قال النبي ﷺ: «**لا يخلون رجلٌ بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**»[٤].

---

(١) البخاري (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البخاري (مع الفتح ١٢/٢٤٣)، ومسلم (مع النووي ١٤/١٣٨).

(٣) البخاري (مع الفتح ١٢/٤٢٧).

(٤) صحيح، أخرجه أحمد في «المسند» (١/١٨)، وانظر: تخريجه في «المنتخب» لعبد بن حميد (بتحقيقي).

● وقال عليه الصلاة والسلام: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يا رسول اللَّه، أفرأيت الحمو[1]؟ قال: «**الحمو الموت**»[2].

ولكن إذا كنتم جماعة وذهبتم إلى بيت أحد إخوانكم ولم تحدث خلوة من أحدكم بامرأته والفتنة مأمونة فلكم حينئذٍ أن تدخلوا وتنتظروه:

● أخرج مسلم في «صحيحه»[3] من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أن نفرًا من بني هاشمٍ دخلوا على أسماء بنت عميسٍ، فدخل أبو بكرٍ الصديق، وهي تحته يومئذٍ، فرآهم، فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ وقال: لم أر إلا خيرًا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه قد برأها من ذلك**»، ثم قام رسول اللَّه ﷺ على المنبر فقال: «**لا يدخلن رجلٌ بعد يومي هذا على مُغيبةٍ إلا ومعهُ رجلٌ أو اثنان**».

● وسيأتي قريبًا في حديث أبي هريرة عند مسلم قصة ذهاب رسول اللَّه ﷺ وأبي بكر وعمر إلى رجل من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً... الحديث[4].

ولا تكن طُفيليًّا:

أتدري من الطفيلي؟!

الطفيلي غير الضيف.

---

(١) الحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن العم ونحوه.

(٢) أي خطر دخول الغريب على المرأة وخلوته بها كخطر الموت، والحديث أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/ ٣٣٠)، ومسلم (٥/ ١٦).

(٣) مسلم (حديث ٢١٧٣).

(٤) مسلم (حديث ٢٠٣٨).

إنه رجل متطفل يفرض نفسه على الناس بدون دعوة منهم له.

رجل يدخل على القوم بدون إذن.

رجل يتحين أوقات الطعام، فيطرق على الناس بيوتهم وقت تناولهم الطعام حتى يحرجهم.

● قال اللَّه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**[١] **وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ**﴾ [الأحزاب: ٥٣].

● وقد ثبت أن رجلاً دعا النبي ﷺ وبعض أصحابه إلى طعام فتبعهم رجلٌ فقال النبي ﷺ لصاحب الدعوة: «**إن هذا اتبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع**»[٢].

وينبغي إذا قُرِّب الطعام للضيف أن يأكل:

فإن الخليل إبراهيم ﷺ لما رأى أيدي الملائكة لا تصل إلى طعامه، خاف منهم، وظن أنهم يريدون به شرًا، لخروجهم عن المعتاد، فالضيف الذي لا يأكل ـ بلا سبب وبلا عذر ـ يثير الرِّيب والشكوك في نفس أهل البيت.

ومن ثمَّ يتألق المثل القائل في بلادنا لمن أكلوا سويًا: (قد أكلنا معًا عيشًا وملحًا) فهذا يعني: أن بينهما مودة.

● وقد قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**﴾ [هود: ٧٠].

---

(١) أي غير متحينين نضجه واستواءه.

(٢) البخاري (حديث ٥٤٦١)، ومسلم (حديث ٢٠٣٦) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي اللَّه عنه.

وقد استنبط العلماء آدابًا من هذه الآية الكريمة تتعلق بآداب الضيافة:

فقال القرطبي رحمه اللَّه في معرض ذكره لمسائل تتعلق بالآية الكريمة[1]:

السنة إذا قُدِّم للضيّف الطعام أن يبادر المقدَّم إليه بالأكل؛ فإن كرامة الضيّف تعجيل التقديم؛ وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول؛ فلما قبضوا أيديهم نكرهم إبراهيم؛ لأنهم خرجوا عن العادة، وخالفوا السنة، وخاف أن يكون وراءهم مكروه يقصدونه، ورُوي أنهم كانوا يَنكُتون بقداح كانت في أيديهم في اللحم ولا تصل إيديهم إلى اللحم، فلما رأى ذلك منهم ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أضمر، وقيل: أحسَّ؛ والوجوس الدخول، قال الشاعر:

جاء البريدُ بقرطاسٍ يَخُبُّ به ... فأوجَسَ القلبُ من قرطاسه جَزَعَا

﴿خِيفَةً﴾: خوفًا؛ أي: فزعًا، وكانوا إذا رأوا الضيف لا يأكل ظنوا به شرًا؛ فقالت الملائكة: ﴿لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

السادسة: من أدب الطعام أن لصاحب الضّيف أن ينظر في ضيفه هل يأكل أم لا؟ وذلك ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر، روي أن أعرابيًا أكل مع سليمان بن عبد الملك، فرأى سليمان في لقمة الأعرابيّ شعرة فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك؛ فقال له: أتنظر إليّ نظر من يرى الشّعرة في لقمتي؟! واللَّه لا أكلت معك.

قلت: وقد ذُكر أن هذه الحكاية إنما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع سليمان، وأن الأعرابي خرج من عنده وهو يقول:

---

(١) القرطبي (٩/ ٤٤ - ٤٥).

وللمـوتُ خيـرٌ من زيـارة باخل يُلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عَمْدِ

الضيف وصوم التطوع :

إن كنت صائمًا صوم تطوعٍ، فلك أن تتم صومك وتدعو لأخيك بالبركة، ولك كذلك أن تفطر عند أخيك وتدخل السرور عليه :

• أخرج مسلم من حديث جابر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن شاء طعم وإن شاء ترك**»[١].

• وعند مـسلم[٢] من حديث أبي هريرة أيضًا قـال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا دُعي أحدكم فليجب فإن كان صائمًا فليُصل[٣] ، وإن كان مفطرًا فليطعم**».

• وقد أخرج البخاري[٤] من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال: دخل النبي ﷺ على أم سليم فأتته بتمرٍ وسمنٍ قال: «**أعيدوا سـمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه فـإني صائم**»، ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقـالت أم سليم: يا رسول اللَّه إن لي خُويصة، قال: «**اللَّهم ارزقه مالاً وولدًا وبارك له...**».

وقد بوَّب البخاري لهذا الحديث بباب من زار قومًا فلم يُفطر عندهم.

قال الحـافظ ابن حجـر رحمـه اللَّه[٥] : هذه التـرجمـة تقابل التـرجمـة

---

(١) مسلم (حديث ١٤٣٠).

(٢) مسلم (حديث ١٤٣١).

(٣) المراد الدعاء لأهل البيت بالبركة، وقيل الصلاة الشرعية بركوعها وسجودها ويؤيده الحديث الذي أوردته بعده.

(٤) البخاري (١٩٨٢).

(٥) «الفتح» (٤/ ٢٢٨).

الماضـية[1] وهي من أقسم على أخيه ليفطـر في التطوع، وموقعها ألا يظن أن فطر المرء من صيام التطوع لتطييب خـاطر أخيه حتم عليه بل المرجع في ذلك إلى من علم من حـاله من كل منهما أنـه يشق عليه الصيـام فمـتى عرف أن ذلك لا يشق عليه كان الأولى أن يستمر على صومه.

● فإذا أكلـت أيها الضـيف أكلةً فاحـمد اللَّه عليـها، وإذا شربـت شربةً فاحمد اللَّه علـيها؛ فإن النبي ﷺ قـال: «**إن اللَّه ليرضى عن العـبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها**»[2].

وقم بشكر اللَّه عـز وجل على هذه النعمة واعلم أنـك مسئـول عنها يوم القيامة:

● أخرج مـسلم[3] رحمه اللَّه تعـالى من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قـال: خرج رسـول اللَّه ﷺ ذات يومٍ أو ليلةٍ، فـإذا هو بأبي بكرٍ وعمـر، فقـال: «**ما أخرجكما من بيـوتكما هذه الساعة؟**» قالا: الجـوع يا رسول اللَّه، قـال: «**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخـرجكما قوموا**» فقامـوا معه، فأتى رجلاً من الأنصارِ، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً! فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «**أين فلانٌ؟**» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد

(١)الترجمة المشار إليها أورد لها البخاري (حديث ١٩٦٨) حديث أبي جحيفة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة... فذكر الحديث وفيه: فجـاء أبو الدرداء فصنع له طعامًـا، فقال له: كل، قال: فـإني صائم، قال: مـا أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل.

تنبيه: القائل (كُل) هو سلمان.

(٢)أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٥٠) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٣)مسلم (حديث ٢٠٣٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

للَّه، ما أحدٌ اليـوم أكرم أضيافًا مني، قـال: فانطلق فجاءهم بعذق فـيه بسرٌ وتمرٌ ورطبٌ، فقـال: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقـال له رسول اللَّه ﷺ: «**إياك والحـلوب**» فذبح لهم، فأكلوا من الشـاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسي بيده لتُسألُنَّ عن هذا النَّعيمِ يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**».

ثم قدِّم الشكر لأهل البيت على ضـيافتهم لك، فـإن النبي ﷺ قـال: «**لا يشكر اللَّهَ من لا يشكر الناس**»[1].

- فقل لهم كما كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم**»[2].

- وورد كـذلك أن النبي ﷺ أكل عند سعد بن عـبادة ثم قال: «**أفـطـر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة**»[3].

ولا تُطل المقام عند صاحبك أيها الضيف، حتى لا تؤثِّمَ صاحبك، وتوقعه في الحرج، إذا لم يجد مـا يقدمه لك، أو لم يجد المقام الذي يقيـمك فيه، وقد لا تسمح ظروفه وأحواله بالبقاء معك وطول المقام:

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (مع النووي ١٣/ ٢٢٥) من حديث عبد اللَّه بن بسرٍ رضي اللَّه عنه قـال: نزل رسـول اللَّه ﷺ على أبي ـ قال: فقربنا إليه طعامًـا ووطبة فأكل منها، ثم أُتي بتمرٍ فكان يأكله ويلقي النوى بين إصـبعيه، ثـم أُتي بشراب فشربه، ثـم ناوله الذي عن يمينه، قال: فقـال أبي وأخذ بلجام دابتـه: ادع اللَّه لنا فقال: «الـلَّهم بارك لهم فيمـا رزقتهم، واغـفر لهم وارحمهم».

(٣) صحيح لشواهده، وأخرجه أبو داود (٤/ ١٨٩) من حديث أنس رضي اللَّه عنه.

● ففي حديث أبي شريح الكعبي العدوي أن النبي ﷺ قال: «.. **ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يُحرجه..**»[1].

إلا إذا كان يفرح ويسعد بوجودك، وعنده من السعة ما يقدمه لك من غير إحراج له، فلا بأس بالمقام حينئذ لانتفاء الحرج، واستئناس صاحب البيت بك.

وهل يُسأل صاحب البيت عن الطعام الذي قدَّمه ؟

الأخبار الواردة في ذلك عن رسول اللَّه ﷺ فيها ضعف، ولا تخلو من مقال، من ذلك ما أخرجه أحمد[2] من طريق مسلم بن خالد الزنجي، عن سُمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم، فأطعمه طعامًا فليأكل من طعامه، ولا يسأل عنه، فإن سقاه شرابًا من شرابه، فليشرب من شرابه، ولا يسأل عنه**».

ومسلم بن خالد الزنجي: ضعيف.

وقد وردت جملة من الآثار في هذا الباب منها الصحيح ومنها ما هو دون ذلك، فأخرج البيهقي في «الشعب»[3] جملة من الآثار في ذلك منها ما أخرجه بإسناد صحيح عن علي الأزدي قال: قلت لابن عمر: إنا نسافر فنمرُّ بالرعيان والصبي والمرأة فيطعمونا لحمًا ما ندري ما جنسه؟ فقال: إذا أطعمك المسلمون فكُل، وثمَّ آثار أخر في هذا الباب.

---

(١) البخاري (٦١٣٥).

(٢) أحمد في «المسند» (٢/٣٩٩).

(٣) البيهقي في «الشعب» (٤٤٨٣).

ولما لم يصح في الباب عندنا خبر عن رسول اللَّه ﷺ احتجنا إلى نظرٍ في فقه هذه المسألة:

فإذا كان الشخص ببلدةٍ الغالبُ على أهلها الصلاح والورع، وظاهرهم الإسلام والتمسك به، وعامة طعامهم الحلال، فحينئذ لا ينبغي للشخص أن يسأل عن الطعام والشراب من ناحية الحرمة أو الشبهة؛ لأن في السؤال آنذاك إحراجًا لأهل البيت بل واتهامًا لهم.

أما إذا كان الغالب على الناس عدم التحري في الطعام والشراب، وعدم النظر إلى حل الطعام أو حرمته، كأن يكون الغالب من أمر الناس عدم المبالاة بهذا الأمر، فلك حينئذٍ أن تسأل بتلطف وذكاء عن الطعام الذي قرب إليك، حتى تطمئن من أنه طعام طيب غير مُحرم، بطريقة لا تحمل إحراجًا لأهل البيت، واللَّه أعلم.

وهل للضيف أن يقترح على صاحب البيت نوعًا من أنواع الطعام يرغبه ويشتهيه ؟

ولإيضاح وجهة ذلك، هَبْ أن شخصًا دعاه آخر لطعام، والمدعو لا يرغب مثلاً في أكل السمك وصاحب البيت لا يشعر بذلك، ويرتب على أن يجهز الطعام من السمك، وعلم المدعو بذلك فهل له أنْ يخبره بما يشتهي حتى يتقي الطعام الذي لن يؤكل؟

فكتمهيدٍ لهذا، فمن المعلوم أن صاحب البيت إذا دعا شخصًا، وتكلف له وجاء الضيف ولم يأكل، فإن هذا يشق على صاحب البيت بلا شك.

فعلى ذلك إذا لم يكن هناك حرج على صاحب البيت أن يُخبر بالطعام

الذي يرغبه الضيف فليُخبر، ولا حرج على الضيف آنذاك ما لم يطلب من المضيف ما يشق عليه وما هو فوق طاقته أن يخبره، وقد قال النبي ﷺ للأنصاري الذي أخذ المدية وذهب ليذبح لهم: «**إياك والحلوب**»[1].

ومع الفارق، فقوله ﷺ: «**إياك والحلوب**» فيه حفاظ على الحلوب حتى يستمر درها، فالشاهد أن النبي ﷺ أشار بما لا يشق على صاحب البيت، فكذلك إذا أشار الضيف بطعام فليُشر بما لا يشق على المضيف، واللَّه أعلم.

* * *

(١) صحيح أخرجه مسلم، وقد تقدم.

• المحافظة على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم •

• فكلها عليك حرام كـما قال النبي ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حـرام: دمه، وماله، وعرضه...**»[١].

• وفي «الصـحيح»[٢] من حديث أبي بكرة رضي الـلّه عنه أن رسول اللّه ﷺ خطب الناس فقال: «**ألا تدرون أي يوم هذا؟**» قالوا: اللّه ورسولُه أعلم - قال: حتى ظننا أنه سيُسميه بغير اسمه - فقال: «**أليسَ بيوم النَّحر؟**» قلنا: بلى يا رسول اللّه، قال: «**أي بلد هذا؟ أليست بالبلدة الحرام؟**» قلنا: بلى يا رسول اللّه، قـال: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشـاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟**» قلنا: نعم، قال: «**اللّهم اشهد، فليـبلغِ الشاهدُ الغائبَ، فإنه ربَّ مـبلغٍ يبلغُه من هو أوعى له، فكان كذلك**»، قال: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقابَ بعض**»، فلما كان يوم حُرِقَ ابنُ الحضـرمي حين حرقه جارية بن قدامة قـال: أشرِفوا على أبي بكرةَ، فقالوا: هذا أبو بكرةَ يراك، قال عـبد الرحمن: فحدثتني أمي عن أبي بكرة أنه قال: لو دخلوا عليَّ ما بهشت بقصبة.

أما الأعراض: فقد قدمنا الحديث عليها في أبواب الغيبة.

فلا تنهـشها ولا تمـلأ جوفك وبطنك بتلك اللحـوم الميتة: لحـوم إخوانك المـؤمـنـين: ﴿**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه مرفوعًا.
(٢) البخاري (حديث ٧٠٧٨)، ومسلم (١٦٧٩).

فلا تـذكر إخـوانك بما يكرهونه وإن كان فـيهم مـا تقول، فـإن هذه هي الغيبة، هي: «**ذكرك أخاك بما يكره**»[1] كما قال رسول اللَّه ﷺ، فراجع ما قدمناه في ذلك.

ولا تهتك سـتر إخوانك، فإن فـعلت أوشكت أن تفضح أنت، وأوشكت أن يهتك سترك أنت الآخر.

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النور: ١٩].

وأمـا الأمـوال: كما قدمنا، فلا تقربها إلا بحـقها، قال اللَّه تبارك تعالى: ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٨].

● وقال تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٣٨].

ولا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس[2].

ثم إن أكل أموالهم بغير حق يحجب عن دعائك القبول !

فكيف ترفع يديك الملوثة بالسرقات تسأل بها ربك سبحانه وتعالى؟؟!!

---

(١) عند مسلم (٢٥٨٩) من حـديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره».

(٢) وقد روي نحـو هذا عن رسول اللَّه ﷺ من عدة طرق في كل طريق منها مقـال. وقد صححه بعض أهل العلم بمجموعها.

انظر: «مـسند أحمـد» (٥/ ٧٢)، (٣/ ٤٢٣)، و«السنن الكبـرى» للبـيهـقي (٦/ ٩٧، ١٠٠)، و«سنن الدارقطني» (٣/ ٢٦)، و«مسند أبي يعلى» (٣/ ١٤٠)، و«الإرواء» (٥/ ٢٧٩).

• والله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

• وأخرج مسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** [المؤمنون: ٥١]، **وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يطيلُ السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمُهُ حرامٌ، ومشربهُ حرامٌ، وملبسهُ حرامٌ وغذيَ بالحرامِ، فأنَّى يستجابُ لذلك؟**».

وحديث المفلس قد قدمناه مرارًا ولا بأس بإعادته في هذا الموطن فهو بابه:

• أخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلسُ؟**» قالوا: المُفلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أُمتي يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتهُ، قبل أن يُقضَى ما عليه، أُخذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه، ثم طرح في النار**».

• وتقدم أيضًا حديث رسول الله ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[٣].

وتقدمت جملة نصوصٌ أخر في هذا الباب.

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨١).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

• وعند البخاري[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا**».

واحذر غش إخوانك، بل احذر غش الناس أجمعين:

• فقد قال النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»[2]، وفي رواية: «**من غش فليس مني**»[3].

وانظر إلى فعل اللَّه سبحانه وتعالى بهذا الغشاش:

• أخرج الإمام[4] أحمد رحمه اللَّه بسندٍ صحيح عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن رجلاً حمل معه خمرًا في سفينة يبيعه**[5] **ومعه قرد، قال: فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء، ثم باعه، فأخذ القرد الكيس فصعد به فوق الدقل، قال: فجعل يطرح دينارًا في البحر ودينارًا في السفينة حتى قسمه**».

أما الدماء فإياك ثم إياك من الاقتراب منها إلا بحقها.

---

(1) البخاري (حديث ٢٤٤٠).

(2) مسلم (حديث ١٠١).

(3) أخرجها مسلم أيضًا (١٠٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ مرَّ على صُبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول اللَّه، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس من غش فليس منِّي».

(4) أحمد (٨٤٠٨) (٢/٣٠٦).

(5) ومحل هذا قبل تحريم بيع الخمر، فمن المعلوم أن الخمر كان مباحًا إلى وقت طويل من بعثة النبي ﷺ كما قال تعالى ممتنًا على عباده؟: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، ثم بعد ذلك نزل تحريم الخمر وتحريم التجارة فيها.

فقد جُعلت بينك وبينها حواجز وأبواب.

وسُدت أمامك كلُّ الطرق حتى لا تصل إلى سفك دمٍ حرام.

وجاء التحذير من قتل النفس المؤمنة بغير حق.

وجاء الوعيد، والوعيد الشديد لمن أقدم على هذا الفعل الشنيع.

فإياك أن تخترق الحواجز، وتقتحم الأبواب المؤدية لسفك الدماء.

وإياك أن تسلك الطرق الموصلة إليها أو المقربة منها.

وها هو بعض الوارد في هذا الباب:

* * *

• النهي عن ترويع المؤمنين •

ولا تُروِّع المؤمنين ولا ترهبهم ولا تُخفهم :

فإن النبي ﷺ نهى عن ترويع المؤمنين[١].

ونهى أن يأخذ الرجل متاع أخيه جادًا أو لاعبًا[٢].

ولا تروعهم بحمل سلاح، بل خذ بنصالها إذا مررت في السوق.

ولا تزعجهم بشيء ينزعجون منه.

وإياك أن تلطم وجه أخيك إذا قاتلته.

• فإن النبي ﷺ قال: **«إذا قاتل أحدكم أخاه فلا يلطمن الوجه»**[٣].

وإياك أن تحمل السلاح في وجوههم وترفعه عليهم، سيفًا كان أو سكينًا أو مسدسًا أو عصًا أو غير ذلك، فإنك حينئذ على حفرة من حُفر النار، توشك أن تسقط فيها إن أنت فعلت وقتلت.

• قال النبي ﷺ: **«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»**،

---

(١) أخرج أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسيرة فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: «ما يضحككم؟» فقالوا: لا إلا أنا أخذنا نبل هذا ففزع! فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلمًا».

(٢) أخرج عبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي) (٤٣٦)، وأحمد (٤/ ٢٢١) وأبو داود (٥/ ٢٧٣) بإسناد حسن من حديث عبد الله بن السائب بن يزيد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه جادًا ولا لاعبًا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليردها إليه».

(٣) صحيح، وقد تقدم.

قيل: هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[(١)].

● وقال النبي ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»[(٢)].

● وقال صلوات الله وسلامه عليه: «**لا يشير أحدكم على أخيه بسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يديه، فيقع في حفرة من النار**»[(٣)].

● وفي «الصحيحين» من حديث جابر رضي الله عنه قال: مرَّ رجل في المسجد بسهام فقال له رسول الله ﷺ: «**أمسك بنصالها**»[(٤)].

● وفي رواية أخرى من حديث جابر أيضًا أن رجلاً مرَّ في المسجد بأسهم قد بدا نصولها فأُمر أن يأخذ بنصولها لا يخدش مسلمًا[(٥)].

● وفي «الصحيحين»[(٦)] كذلك من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها**»، أو قال: «**فليقبض بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء**».

● وفي «الصحيح»[(٧)] كذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) صحيح وله عدة طرق عن رسول الله ﷺ، فأخرجه البخاري (٧٠٧٠)، ومسلم (٩٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا وقد ورد أيضًا من حديث أبي موسى في «الصحيحين» ومن حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (حديث ٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (حديث ٧٠٧٣) ومسلم (٢٦١٤).

(٥) أخرجها البخاري (٧٠٧٤)، ومسلم (ص ٢٠١٩).

(٦) البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥).

(٧) مسلم (حديث ٢٦١٦).

أخاه لأبيه وأمه».

• وعند أبي داود[1] بإسناد صحيح لغيره عن جابر رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ نهى أن يُتعاطى السيف مسلولاً[2].

• وعند ابن حبان[3] بإسناد صحيح عن جابر رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ مرَّ على قوم يتعاطون سيفًا بينهم مسلولاً فقال: «**ألم أزجركم عن هذا؟ ليغمده، ثم يناوله أخاه**».

• وورد من عدة طرق[4] عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**».

أما القتل فهذه عقوبته، وهذا جزاؤه :

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣].

• وقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

---

(١) أبو داود (حديث ٢٥٨٨)، وشاهده عند أحمد (٥/ ٤١ ـ ٤٢).

(٢) مسلولاً أي: خارجًا عن غمده.

(٣) ابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٥٤).

(٤) في «الصحيحين» وغيرهما من عدة طرق عن رسول اللَّه ﷺ منها حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما عند البخاري (٧٠٧٧)، ومسلم (حديث ٦٦).
وحديث جريرعند البخاري (٧٠٨٠)، ومسلم (حديث ٦٥).

• وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما قال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ إلى الحُرقة من جُهينة قال: فصبحنا القوم فهزمناهم قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا اللَّه، قال: فكف عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ، قال: فقال لي: «**يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا اللَّه؟**» قال: قلت: يا رسول اللَّه إنما كان متعوذًا، قال: «**قتلته بعدما قال: لا إله إلا اللَّه؟**» قال: فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

• وأخرج مسلم[2] رحمه اللَّه من طريق صفوان بن محرز: أنه حدث أن جندب بن عبد اللَّه البجلي بعث إلى عسعس بن سلامة زمن فتنة ابن الزبير فقال: اجمع لي نفرًا من إخوانك حتى أحدثهم فبعث رسولاً إليهم فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس أصفر، فقال: تحدثوا بما كنتم تحدثون به، حتى دار الحديث، فلما دار الحديث إليه حسر البرنس عن رأسه، فقال: إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم، إن رسول اللَّه ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلى قومٍ من المشركين، وإنهم التقوا فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجلٍ من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحدث أنه أسامةُ بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا اللَّه، فقتله، فجاء البشير إلى النبي ﷺ، فسأله، فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: «**لم قتلته؟**» قال: يا رسول اللَّه

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٧٢)، ومسلم (حديث ٩٦).

(٢) مسلم (حديث ٩٧).

أوجع في المسلمين، وقتل فلانًا وفلانًا، وسمى له نفرًا، وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا اللَّه، قال رسول اللَّه ﷺ: **«أقتلته؟»** قال: نعم، قال: **«فكيف تصنع بلا إله إلا اللَّه إذا جاءت يوم القيامة؟»** قال: يا رسول اللَّه استغفر لي، قال: **«وكيف تصنع بلا إله إلا اللَّه إذا جاءت يوم القيامة؟»** قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: **«كيف تصنع بلا إله إلا اللَّه إذا جاءت يوم القيامة»**.

• وأخرج البخاري[1] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حلِّه.

• وأخرج مسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «... **ومن خرج على أمتي يضرب برّها، وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهده، فليس مني، ولست منه**».

• وفي «الصحيحين»[3] من حديث المقداد بن عمرو الكندي رضي اللَّه عنه أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت للَّه أأقتله يا رسول اللَّه بعد أن قالها؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقتله»**، فقال: يا رسول اللَّه إنه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعد ما قطعها، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»**.

---

(١) البخاري (حديث ٦٨٦٣). (٢) مسلم (حديث ١٨٤٨).
(٣) البخاري (٤٠١٩)، ومسلم (حديث ٩٥).

• وفي «الصحيحين»[١] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[٢].

• وأخرج البخاري[٣] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصب دمًا حرامًا**».

• وعند النسائي بإسناد صحيح لغيره[٤] من حديث بريدة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**قتل المؤمن أعظم عند اللَّه من زوال الدنيا**».

• وأخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس في الدماء**».

• وأخرج أبو داود[٦] بإسناد صحيح من حديث عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من قتل مؤمنًا فاغتبط[٧] بقتله لم يقبل اللَّه منه صرفًا ولا عدلاً**».

---

(١) البخاري (حديث ٧٠٧٦)، ومسلم (حديث ٦٤).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١١٢): إن قيل: هذا وإن تضمن الرد على المرجئة لكن ظاهره يقوي مذهب الخوارج الذي يكفرون بالمعاصي، فالجواب: إن المبالغة في الرد على المبتدع اقتضت ذلك ولا متمسك للخوارج فيه لأن ظاهره غير مراد، لكن لما كان القتال أشد من السباب - لأنه مفض إلى إزهاق الأرواح - عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر، ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير، معتمدًا على ما تقرر من القواعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:١١٦]. وقد أشرنا إلى ذلك في باب المعاصي من أمر الجاهلية، أو أطلق عليه الكفر لشبهه به؛ لأن قتال المؤمن من شأن الكافر، ثم ذكر - رحمه اللَّه - أوجه أخر.

(٣) البخاري (حديث ٦٨٦٢).

(٤) النسائي (٧/ ٨٣)، وانظر الشواهد (عند ابن ماجه ٢٦١٩).

(٥) البخاري (حديث ٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

(٦) أبو داود (٤٢٧٠).

(٧) اغتبط بقتله، قال بعض العلماء: أي أنه قتل ورأى أنه على صواب في قتله (وذلك في الفتن) فلم يستغفر اللَّه من ذلك.

=

• وعنده من حديث أبي الدرداء أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يزال المؤمن معنقًا[١] صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بلَّح**»[٢].

فاتق اللَّه وابتـعد عن مواطن الفـتن، وعن جلساء السوء الذين يحـرضون على الفتن، ويشعلونها بين المسلمين.

اتق اللَّه ولا تسع في الأرض بالفساد، ولا تسمع إلى الشريرين، ولا تتبع سبيل المفسدين.

اترك مواطـن الفتن وابتعـد عنها، فكذلك كـان سلفك الصالح يفـعلون، وعلى ذلك حثهم النبي الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم:

• قـال ﷺ: «**يوشك أن يكون خيـر مال المسلم غنم يتبع بها شـعف الجبال ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن**»[٣].

وانظر إلى هذه الكلمات وأبيات الشـعر الحكيمة التي تحمل مـعنى عظيمًا قيمًا، وقد نقلها البخاري[٤] عن ابن عيينة عن خلف بن حوشب قال: كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن.

• قال امرؤ القيس[٥]:

الحـربُ أول مـا تكونُ فـتـيـةً ... تَسـعى بزينتـهـا لكلِّ جَـهـولِ

حتى إذا اشتَعلت وشبَّ ضِرامها ... ولت عـجـوزًا غـيـر ذات حَليلِ

شَـمطاءَ يُنكر لونهـا وتغـيَّرت ... مكروهـةً للشَّـمِّ والتـقـبـيلِ

= وقال آخرون: قتله من غير قصاص، وقال غيرهم: أي: سُرَّ بقتله وانشرح لذلك صدره.

(١) معنقًا: أي: خفيف الظهر سريع السير. (٢) بلَّح: أي: أعيا وانقطع.

(٣) البخاري (حديث ١٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(٤) البخاري (مع الفتح ١٣/٤٧).

(٥) وقد نقل بعض العلماء أن هذه الأبيات لعمرو بن معد يكرب الزبيدي.

فانظر إلى روعة هذه الأبيات.

الحرب أول ما تكون فتية، كالفتاة البكر الجميلة الحسناء المتزينة التي تدور بزينتها، وتطوف بزينتها، وتعرِّض بجمالها، وتبرز مفاتنها، فيسعى حولها جملة الشبان، ويتصارع من أجلها الخلان، الكل يريد أن ينال منها، الكلُّ يريد أن يُقبِّلها، الكل يريد أن يغازلها، الكلُّ يريد أن يعاشرها، كلُّ جاهلٍ يريد أن يبيت معها حيث باتت، ويقيل معها حيث قالت، ويسعى معها حيث تسعى!!

كل جاهلٍ معجبٌ بجمالها، ومبهور بحسنها، ومفتون ببهائها، حتى إذا اشتعلت الحرب واشتدت، أصبحت بعد اشتعالها واشتدادها عجوزًا بعد أن كانت فتاةً حسناء، أصبحت عجوزًا لا صديق لها ولا خليل ولا زوج لها ولا محب، أصبحت شمطاء أصبحت عجوزًا ذات شعر أبيض. وقد امتلأ رأسها بالمشيب، أصبحت عجوزًا يسيل لعابها، ويخرج منها الريح الكريه المذموم.

فكذلك الحرب والفتن، كل جاهل يسعى لخوضها، الكل مشتاق إليها، فإذا انتهت الحرب وخرج الناس منها هذا قتيل وذاك جريح، وهذا مغموم وهذا مهموم، هذا أسير، وهذا محكوم عليه بالسجن، هذا قد قطعت يده، وذاك قد بُترت ساقه، وهذا قد فُقأت عينه.

فحينئذ يكرهها الجميع، وحينئذ يبغضها الجميع، هذا فضلاً عما تجره لهم من ويلات في الآخرة[1]، وفضلاً عما تجلبه لهم من ظلمات فيها، خاصة

---

(١) وقد أحسن من قال:

ولست بقاتلٍ رجلاً يُصلي ... على سلطان آخر من قريش

له سلطانهُ وعليَّ إثمي ... معاذ اللَّه من جهل وطيشِ

أأقتل مسلمًا من غير ذنب ... فليس بنافعي ما عشت عيشي

تلك الحروب بين المؤمنين، والفتن التي يقعون فيها.

فانظر هل لخوضك الحرب ضد إخوانك المؤمنين فائدة؟!!

وهل في هذه الحرب نفع؟!!

وهل فيها رفعة لدرجاتك في الآخرة؟!

ادرس هذا جيدًا، واعقله تمامًا، وافهمه على وجهه الصحيح.

واتق اللَّه في نفسك، واتق اللَّه في دماء الآخرين وأعراض الآخرين، وأموال الآخرين.

* * *

الفهارس

١ ـ فهرس أطراف الأحاديث.

٢ ـ فهرس الموضوعات.

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس

الفهـــرس